الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
-قسنطينة-

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم: اللغة العربية
شعبة اللغة العربية والدراسات القرآنية

الرقم الترتيبي: .....

الرقم التسجيلي: .....

البيان عند الجاحظ من خلال "البيان والتبيين"

دراسة دلالية -الإشارة نموذجا-

مذكرة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالبة: بوربونة فاطمة الزهراء

إشراف الأستاذ: د.عبد الله سامي الكناني

أمام اللجنة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس:	د. رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	الجامعة الإسلامية
المشرف:	أ.د.عبد الله سامي الكناني	أستاذ محاضر	الجامعة الإسلامية
العضو:	د. رابح بن سلامة	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري
العضو:	د.حسن كاتب	أستاذ محاضر	جامعة منتوري

نوقشت يوم: الأحد 13 جوان 2004

السنة الجامعية: 1423-1424هـ

2002-2003 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كثـيرة هي الأبحاث التي اهتمت بدراسة اللغة في مجالاتها المختلفة، ففضاؤها الكبير اتســع للبحــث فــي نشــأة اللغة وتطوّر حياتها عبر العصور، وذلك من جوانبها المتعددة: كالصوت والبنية والتركيب والدلالة.

ورغم تفاوتها في الأهمية، إلا أن ثنائية الدال والمدلول هي التي أخذت نصيبها الأوفر من هذه الدراسة، ذلك أنها اكتشفت قديما على يد اليونان والهنود والعرب.

لكــن مجال التواصل لم يتحدد من خلال هذه الثنائية وحدها، بل ارتبط بالمعنى الذي مهّدت له الدراسات الدلالية أرضية خصبة للنموّ والارتقاء تحت اسم "علم الدلالة" الذي يهتم بدراســة الألفــاظ وعلاقتها بالمعنى. وتناوُل القدماء لعلم الدلالة لم يتطوّر بالشكل المعروف حالــيا، إذ أفــرد لــه المحدثــون مــناهج خاصة أدخلت ضمن علوم اللسانيات التي كانت ثمــرةجهودلأبحاث جديــدة و مــتطورة . و رغم هذا فإن اكتشاف مثل هذه العلوم قديم قد الدراســات التــي اعــتمدتها كتب اللغة والتفسير والأدب والبلاغة؛ حيث كانت مصطلحات القدامى متداخلة، لا تنفصل إلا حين تقوم بوظيفتها.

وعليه فإن البيان الذي تعرّض له الجاحظ (ت 255هـ) في منتصف القرن الثاني. قد يُفهم منه منذ الوهلة الأولى، أنه علم البلاغة الذي عُني بدراسة الكناية والاستعارة والمجاز. إلا أن معنى البيان عنده اتجه اتجاها آخر يُدرس ضمن علم الدلالة.

فالبيان هو ذلك التعبير الآخر بلغة راقية يدرس أصناف الدلالات المحدّدة عند الجاحظ بوســائل هامــة كاللفظ والخط والإشارة، غايته إيصال المعنى عن طريق الفهم والإفهام. أو بتعبــير آخــر هو ذلك التواصل الذي حدّدته ثنائية الفهم والإفهام، فتعدّى بذلك معنى البيان القــول الجميل والعبارة الفنية التي تستخدم الأسلوب أداة لها، إلى مجال آخر يدرس الدلالات اللفظية وغير اللفظية في نطاق أوسع .

إن البــيان الذي يتصوّره الجاحظ غير محدّد المعالم، إذ يفسّره صاحبه بأغراضه التي وضع لأجلها، فهو لغة القرآن المعجز بألفاظه ومعانيه، جاء للتوضيح والتفصيل والتبليغ مع الهدايــة والإرشاد، كما أنه ميزة العربي الذي يفتخر ببيانه المتمثل في لسانه الناطق بالبلاغة والحكمة والإيجاز. إضافة إلى أنه وسيلة الناس في التواصل ، أدواته: اللفظ المرتبط بالكلام

والنطق بصفة خاصة، وباللغة بوصفها موروث ثقافي وحضاري بصفة عامة. وهو كذلك بيان دال على نفسه يستعمل في مجال أوسع لا يفهمه إلا من تخصّص في هذا الميدان.

لهذا كان لزاما على الدّارس أن يرجع إلى الاعتبارات التي من أجلها تأسس هذا البيان، فأصبح يُعرف بالدلالة . وكيف استطاع أن يكون جامعا لكل شيء مهما كان جنس الدليل ونوعه، ليكشف عن المعاني الظاهرة والخفية، مداره الفهم والإفهام والقائل والسامع.

وعليه وجب تحديد المصطلح بأكثر دقة وتفصيل، ليعرف الدارس مفهوم البيان الحقيقي ومكانته من منظور لغوي ودلالي وعلامي، بحيث يستطيع كل عنصر من عناصر البيان أن يدل على نفسه أو يستعين بغيره لإيضاح المعنى.

وكمحاولة لترسيخ فكرة البيان، التي تمثلت في هذه الدلالات المعبرة من حيث الأداء والوظيفة، خصت الدراسة أسلوبا هاما من أساليب التواصل غير اللغوي كنموذج لتجسيد البيان. وهذا الأسلوب تمثل في هذه الإشارة التي تعد عنصرا بارزا من عناصر الدلالات التي عمدت مدونة الجاحظ إلى استنطاقها بيانا وتبيينا.

وقد كان الهدف من اختيارها هو معرفة العلاقة التي تربط هذه الدلالة بالبيان. ودورها الذي لعبته في مجال الدراسات اللغوية ، مع مقارنة هذه الإشارة التي أسس لها الجاحظ في بيانه، بما قامت به الدراسات الحديثة من جهود.

ولما كان منطلق الجاحظ ينبع من فكره الاعتزالي الذي يعتمد العقل منهجا له ليوصل به إلى حقيقة الأشياء ، فإن اهتمامه بالشكل كان باديا في مصطلح الإشارة ، وذلك من خلال اللفظ الذي يرمز لها . فشرط اللفظ عنده أن يكون على وزن إشارته ، وشرط معناه أن يكون موافقا للفظ . وهذا المنطلق تطور في نظر الغربيين ، إذ صار الوزن الذي أطلقه الجاحظ هنا، هو تلك العلامة التي أطلقهاالغربيون على الدال والمدلول ، فأدخل هذا المصطلح ضمن نظام كبير ومعقد هو نظام السيميولوجيا الذي يعنى بدراسة العلامات واتجاهاتها ، المشتملة للعلامات اللسانية وغير اللسانية في إطار الحياة الإجتماعية العامة .

وعليه فإن الدافع الحقيقي الذي أتاح لي الخوض في هذا المجال، هو ذلك الفضول وتلك الرغبة القوية في معرفة ما إذا كان الجاحظ على وعي كبير بمدلول الإشارة كجزء من

هذا النظام الذي يطلق عليه نظام العلامات ، وكمفهوم للحركة الجسمية التي أطلقها الغربيون أمثال فندريس و ماريو باي وغيرهم .

أمـــا الدافـــع الآخر فهو الرغبة في الوصول إلى أبعاد تطبيق هذه الدلالة على الواقع ومدى فعاليتها ودورها في التبليغ ، وهل تتجه اللغة والإشارة الاتجاه نفسه في التعبير، أم أن الإشارة تستخدم كبديل عن الكلام حين تعجز اللغة عن التعبير.

وبمـــا أن البـــيان هـــو وسيلة اللغة الفنية الجميلة لخطاب الآخرين وإقناعهم بالحجة والدليل، فهل لهذه الإشارة أسلوبها في مجال الإقناع ؟ وإذا كان الأمر كذلك، فماهي الأفعال الدلالـــية التي تتم بواسطة الحركة ، لها هذا الدور القوي في التأثير وتوصيل المعنى، وهل إعتـــنى بها الجاحظ في بيانه ؟ وأخيرا هل حققت هذه الأفعال دورهـا في المجتمع، حيث استطاع كل فعل حركي أن يدل على السياق الذي يحدد المعنى، أم أن هناك صعوبة في هذا التحديد الذي يختلف باختلاف عادات المجتمع وتقاليده؟

وعلـــى مـــا سبق ذكره، فقد جاء البحث الذي عنوانه " البيان عند الجاحظ" من خلال البيان والتبيين دراسة دلالية –الإشارة نموذجا–، دراسة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

عرّفتُ أولاً الموضوع وأهميته وسبب اختياره، وأهم الأهداف المتوخاة مـــن هـــذا البحث. ثم انتقلتُ إلى ذكر الخطة المتبعة فيه، وأهم عناصر الموضوع، والمنهج المعتمد في إنجازه، واتبعتها بذكر أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

يـــتحدث الفصـــل الأول: عن المناحي التي اتجه إليها الجاحظ في تعريفه للبيان، وهو مقسم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إرتباط البيان بالمنحى الديني المتمثل في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تعرض فيه الجاحظ للمنحى المذهبي الذي ميزه دفاعه المتواصل عن هذا البيان،الذي طعنت فيه فرقة الشعوبية .

والمبحـــث الثالـــث: تناول المنحى الفني والأدبي، وهو المنحنى الذي يدرس الجانب اللغوي والفني، مظهرا جمال التعبير بوسائل فنية راقية.

أمـــا الفصل الثاني: فقد خصصته للحديث عن الإشارة، كعنصر بارز في باب البيان وذلك في ثلاثة مباحث: تعرضت في مبحثه الأول: لمفهوم الإشارة عند اللغويين.

وفـــي المبحث الثاني: لمفهومها عند أهل اللغة والبيان، أما المبحث الثالث فخصصته للحديـــث عـــن أهم المصطلحات المتعلقة بأفعال وهيئات الإشارة التطبيقية باستخدام أعضاء الجسم المتنوعة.

وفـــي الفصـــل الأخير تعرضت للجانب النظري والتطبيقي للإشارة، وذلك في ثلاثة مباحـــث كـــان المبحـــث الأول منها تعريفا لها عند الجاحظ، كنظرية قائمة بذاتها في مجال الدراسات الحديثة، مع أقسامها ووظائفها.

أمـــا المبحـــث الثانـــي: فهو الجانب التطبيقي الذي اهتم بأكبر قدر ممكن من الأفعال والســـلوكات والحركات التي أدلى بها الجاحظ في بيانه، مبرزا أهميتها في باب الإشارة، مع مـــا يوجـــد من إشارات مادية أخرى كالإشارة بالعصا والسيف والثوب، وعلاقتها بالخطيب والخطبة، ومدى تأثيرها على الحضور.

وفـــي المبحث الثالث: مقارنة واستنتاج عام للمجهودات التي قام بها الجاحظ في هذا الميدان، بجهود المحدثين. وأخيرا أنهيت الدراسة بخاتمة تعرضت فيها لأهم النتائج المتوصل إليها من البحث.

وقـــد اعـــتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي، باعتبار أن الإشارة ظاهرة من الظواهر الجديرة بالوصف والتحليل. كما تميزت بعض المباحث بالتتبع التاريخي لـــبعض المـــراحل التي مرت بها هذه الظاهرة. ونظرا لتشعب موضوعات البحث، اعتمدت على مصادر ومراجع متنوعة، أضيفت إلى كتب المعاجم وفقه اللغة، حيث احتلت الصدارة في هـــذا البحـــث، لأنه تتبع أهم المصطلحات المتصل معناها في القديم بوصف معين، ثم تطور المصطلح بتطور الزمان والمكان إلى مناهج أخرى عصرية.

ومن أهم الكتب التي استفدت منها في هذه الدراسة، كتاب "النظريات اللسانية والأدبية والبلاغـــية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين"، لصاحبه محمد الصغير بناني، إذ تعرض لتفســـير نظرية البيان منطلقا من وظائف التعبير الكلامية المتنوعة، وهي لاتخرج عن كونها أداة للتوصـــيل وأخـــرى للتعبير مقارنة بالدراسات اللسانية الحديثة، فكان مفهوم البيان عنده مرتبطا بالمعنى والدلالة من خلال شرحه للمنازل الخمسة التي جاء بعضها إختصارا من باب التمثيل كما في دلالة الإشارة .

أمـــا الجانب التطبيقي، فقد استفدت من دراسة قام بها محمد محمد داود بعنوان الدلالة والحـــركة: وهـــي دراسة تخص الأفعال الحركية، وفق المناهج الحديثة، حيث قام الكاتب بإحصـــاء هذه الأفعال ، ودراستها دراسة معجمية، ؛ صنفها وفق الحقول الدلالية المتعلقة بهذه الأفعال، فكانت دراسته تطبيقية محضة ووفق منهج حديث ومعاصر، إذ لم يخلُ بحثه من تلك الاستنتاجات والملاحظات حول دور الفعل الحركي في مجال الدلالة، بعرضه لأهم الملامح الدلالـــية له، وهو يربط المعنى القديم للفعل بالمعنى المعاصر، ليبين مدى تطور هذه الدلالة المحكومة بقوانين تحيلها للتنقل والتحول والتطور المستمر.

كمـــا اســـتفدت مـــن دراســـة قامت بها فاطمة محجوب، خصت الإشارات الجسمية بالتفصيل، مقسمة إياها إلى أربعة عشر مبدأ، كل مبدأ له علاقة بنظرية الإشارة الحديثة، وله وضعه الخاص في مدونة الجاحظ. ومن أهم ما توصلت إليه الباحثة من نتائج: أن لكل حركة دلالة، كما أن لكل لفظ دلالة، ورأت أن هناك مواقف عبر عنها الجاحظ تزيد من تأكيد الكلام وتوضـــيحه، وأخـــرى تحـــل محله دون زيادته، مع تنويهها بأهمية الإشارة بالنسبة إلى فن الخطاب، وأثرها على حسن البيان.

كل هذه النتائج كانت حافزا لي لأن أجمع النصوص المتعلقة بهذه الإشارات، وأصنفها تصنيفا دلاليا حسب الأهمية التي ارتبطت بالوظيفة والأداء حينا، وبالوصف حينا آخر.

ولأن الكتـــب التي إستفدت منها كثيرة، لايتسع المجال لذكرها، علّه يترك مكانا لتقديم الشـــكر إلـــى كـــل مـــن قدم لي يدَ العون والنصح من أساتذتي الكرام، سواء من الجامعة الإســـلامية أم مـــن غيرهـــا،وأخص بالذكر أستاذي المشرف الدكتور سامي الكناني، الذي واكب البحث منذ بدايته حتى نهايته تسديدا وتوجيها.

وإذ لا يخلـــو بحث من صعوبات تعترضه، خاصة إذا كان الموضوع دقيق ومتشعب فـــي مجال ينفر منه كثير من الناس، فقد واجهتني صعوبات في جمع المادة العلمية، خاصة فيما يتعلق بالكتب الغربية، لهذا اكتفيت بالنزر القليل من الكتب المترجمة إلى العربية. ولأن الأمـــر مـــتعلق بمدونـــة قديمة تناولت أفكارا عميقة وقضايا دقيقة ليس من السّهل تحليلها، وبشخصـــية فـــذة وعـــبقرية كشخصية الجاحظ التي تمثل ثقافته أزهى العصور ، من حيث

التصنيف والرواية، إذ تعد كتاباته انعكاسا لأفكار المعتزلة الذين يعتدون بالعقل كمنهج لهم في الوصف والتحليل والاستقصاء، خاصة في مجال اللغة والدلالة.

وهذه الأسباب مجتمعة تحول دون الوصول إلى نتائج قيّمة ونهائية.

وحفاظا على أصالة التراث وماقدمه من أفكار ونظريات، كان لابد من استنطاق هذا الموروث، عله يدرس بمنظار أخر، وبقراءة حديثة تبعث فيه الروح من جديد.

وإذا لا أدّعي السبق في هذا المجال الذي خضعت له مقاييس التراث بمنظور جاحظي معتزلي، إلا أنها محاولة متواضعة لتأكيد أصالة الجهود القديمة، وحضورها المتواصل مع هذا الزخم الكبير من العلوم الحديثة والمتطوّرة.

فإن كنت قد أصبت فيما كتبت فمنة من الله وتوفيق، وإن كنت أخطأت فأسأله العصمة والبيان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المدخل: مفهوم البيان

1-البيان في اللغة

2-البيان في لغة القرآن

3-البيان في كتب البلاغة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-البيان في اللغة:

البيان: «ما بُيِّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها. وبان الشيء بيانًا: اتضح فـهو بيِّـن، والجمع: أبيناء، مثل: هيِّن وأهيناء، وكذلك أبان الشيء فهو مبين... وأبنته أنا أي أوضحتـه، واستبان الشيء: ظهر. واستبنته أنا: عرفته... والتبيين: الوضوح»[1].

«والبيان: هو المنطق الفصيح المعبِّر عمّا في الضمير. وقد يستعمل بمعنى الإثبـات بالدليل، وبالجملة فهو إمّا مصدر بان، وهو لازم ومعناه الظهور، أو مصدر بيّن وهـو قـد يكون لازمًا كقولهم في المثل: قد بيّن الصبح لذي عينين أي بان، وقد يكون متعديـا بمعنـى الإظهار. قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [2]، أي إظهار معانيه وشرائعه على ما وقع في بعض الكتب... وعلى هذا بيان الشيء قد يكون بالكلام والفعل والإشارة والرمـز، إذ الكـل دليل ومبين، ولكن أكثر استعماله في الدلالة بالقول، فكل مفيد من كلام الشارع وفعله وسكوته وتنبيهه بفحوى الكلام على علّة بيان، لأن جميع ذلك دليل، وإن كان بعضها يفيد غلبة الظـن فهو من حيث إنه يفيد العلم بوجوب العمل دليل وبيان»[3].

فالبيان بمعناه اللغوي يحمل هذه المعاني وغيرها. رغم أنه يصب في منبع واحد وهو الغرض الذي وُضِع لأجله هذا البيان. إذ يؤدي غرض التوضيح والتبيين والتدليـل علـى الشيء، فهو:

1-ما بيِّن به الشيء من الدلالة بالكلام وبغيره.

2-أو هو التثبت في الأمر والتأني فيه.

3-أو هو الفصاحة واللّسن.

4-أو هو كشف الحقيقة بالحجة والدليل.

---

(1)-ابن منظور: لسان العرب: دار المعارف، ج.1، مادة "بين"، ص.406.

(2)- القيامة، [19].

(3)-محمد التهانوي: كشاف إصطلاحات الفنون: ت: لطفي عبد البديع، ترجمة: عبد النعيم حسنين، مراجعة: أمين الخولي، المؤسسة المصرية، 1963، مادة "بين"، ص.219.

2-البيان في لغة القرآن:

تعدد غرض البيان في القرآن الكريم بتعدد الآيات المذكورة فيه، فقد جاء بمعنى:

1-التفصيل: في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾[1]، «نفصل الآيات: أي نميزها ونبيّنها»[2]، والتفصيل هو التبيين والتوضيح. مشتق من الفصل، وهو تفرّق الشيء عن الشيء. ولما كانت الأشياء المختلطة إذا فصلت يتبين بعضها من بعض أطلق التفصيل على التبيين بعلاقة اللزوم، وشاع حتى صار حقيقة. ... والمراد بالتفصيل: الإيضاح، أي الإتيان بالآيات الواضحة على الدلالة على المقصود منه»[3].

2-البيان هو القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[4].

«ولابد من الفرق بين البيان وبين الهدى وبين الموعظة، لأن العطف يقتضي المغايرة، فنقول فيه وجهان: الأول: -أن البيان هو الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة بعد أن كانت حاصلة، فالفرق أن البيان عام في أي معنى كان، وأما الهدى فهو بيان لطريق الرشد ليسلك دون الغي. وأما الموعظة فهي الكلام الذي يفيد الزجر... والوجه الثاني: أن البيان هو الدلالة، وأما الهدى فهو الدلالة بشرط كونها مفضية إلى الاهتداء...»[5].

3-أما في وظيفة البيان ودوره الأساسي في التبليغ، فقوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾[6].

---

(1)- الأنعام، [55].

(2)-أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي: مجاز القرآن؛ ت: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج.1، ص.193.

(3)-محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج.6، ص.260.

(4)- آل عمران، [138].

(5)-فخر الدين محمد الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط.1، لبنان، 1981، م.5، ج.9،ص.12.

(6)- القصص، [34].

«وهذا سؤال صريح يدل على أن موسى لا يريد بالأول التنصل من التبليغ ولكنه أراد تأييده بأخيه. وإنما عيّنه ولم يسأل مؤيّدا ما لعلمه بأمانيه للرسل وإخلاصه لله ولأخيه وعلمه بفصاحة لسانه. وهذه الوظيفة –وظيفة البيان– عامة للرسل جميعا عليهم الصلاة والسلام ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[1]. والتقدير: ما أرسلنا من رسول إلا ليبين لقومه بلسانهم –واللسان: –اللغة وما به من التخاطب»[2].

4–وعليه فإن خلاصة البيان وحقيقته الجوهرية في أنه نعمة من الله تعالى على هذا الإنسان، فقد أحصى الله نعمه، فقال: ﴿ الرَّحْمَٰنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[3]. «أراد الله عزّ وعلا أن يقدّم أوّل شيء من نعمة الدين في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها، وهو إنعامه بالقرآن، وتنزيله وتعليمه، لأنه أعظم وحي الله رتبة، وأعلاه منزلة. وأخر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه: ليعلم أنه إنما كان مقدّما عليه وسابقا له، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير... وأما البيان بغير النطق من إشارة وإيماء ولمح النظر، فهو أيضا من مميزات الإنسان وإن كان دون بيان النطق. ومعنى تعليم الله الإنسان البيان: أنه خلق فيه الاستعداد لعلم ذلك وألهمه وضع اللغة للتعارف...»[4].

ولحكمة من الله سبحانه وتعالى، خصّ نعمة البيان على الإنسان دون غيره من المخلوقات، ذلك أنه يتميز بالعقل والنطق اللذين يعتمدهما البيان كوسيلة للتوضيح والتبيين والتبليغ. لهذا لا تخلو آيات القرآن الكريم من ذكر مادة "البيان" بجميع مشتقاتها من فعل واسم وصفة ومصدر. «وإنما ورد مصطلح البيان ومشتقاته بهذه الغزارة في القرآن الكريم،

---

(1)– إبراهيم، [4].

(2)–محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج.3، ص.186.

(3)– الرحمن، [1–4].

(4)–محمد الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج.13، ص.186.

لتفاضل العرب يومئذ في البيان والفصاحة، فجاءهم الله بما أعجزهم من جنس ما نبغوا فيه إمعانا في إلزامهم بالحجة والدليل»[1].

3-البيان في كتب البلاغة:

لعلّ أقدم تعريف للبيان هو ما دوّنه الجاحظ (ت 255هـ) في كتابه "البيان والتبيين"، نقلا عن أصحابه، كقوله على لسان ثمامة بن أشرس (ت 213هـ) لما سأل عن البيان فقال: (قلتُ لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلّي عن مغزاك، ...ولا تستعين عليه بالفكرة، والذي لابد منه أن يكون سليمًا من التكلف بعيدا من الصنعة، بريئًا من التعقد، غنيا عن التأمل)[2]، هذا وقد عُرف البيان عند الجاحظ في موضع آخر بغزارة المعنى ووضوح الدلالة، وذلك في قوله: (البيان: اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يغضي السامع إلى حقيقته...)[3]. فالبيان ليس مقصودا منه المفهوم الدقيق للبلاغة التي تُعرف بإظهار المعنى في صور مختلفة وأساليب فنية راقية، كالمجاز والتشبيه...، وإنما مقصود معناه اللغوي الذي يرادف الوضوح والظهور والكشف. رغم أنه لم يغفل في كثير من نصوصه عن إبراز البلاغة وأهميتها في مجال التبليغ. إذ نجده يتحدث كثيرا عن شروط الكلام البليغ، ومواصفات الخطيب البليغ، مع سلامة اللّسان من جميع العيوب النطقية. ذلك أن الجاحظاستعمل مصطلح البيان كمعنى خاص وشامل في نفس الوقت.

كما أنه كان دقيقا في حسن اختياره للآيات القرآنية، التي يمدح فيها الله تعالى نعمة البيان على عباده، وأن القرآن الكريم جاء لهذا الغرض، فهو للبيان في قوله تعالى: ﴿هَـذَا

---

(1)-تاج الدين مصطفى: "تأسيس القرآنية لنشأة البلاغة"؛ مجلة التجديد؛ ع. (11)، السنة: "66" ماليزيا، فبراير "2002"، ص.117.

(2)-أبو عثمان بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين؛ ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط.2، مصر، 1960، ج.1، ص.106.

(3)-المصدر نفسه: 76/1.

بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [1]، وللإفصاح في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [2]، وللتفصيل والإيضاح في قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [3]، وللإفهام وجودته في قوله تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [4].

ولفضل هذا البيان على الناس جميعا، فهو مفضّل -قبلهم- بأن بعث الله تعالى نبيّه الكريم بهذا البيان، ومنحه الفصاحة وجودة اللّسان، وبلاغة الكلام، فكانت معجزته الخالدة للناس جميعا. يقول الجاحظ (ت 255هـ):

(ولفضل الفصاحة وحسن البيان، بعث الله تعالى أفضل أنبيائه وأكرم رسله من العرب، وجعل لسانه عربيا، وأنزل عليه قرآنه عربيا، كما قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [5]، فلم يُخَصّ اللسان بالبيان، ولم يُحمد بالبرهان إلا عند وجود الفضل في الكلام، وحسن العبارة عند المنطق، وحلاوة اللفظ عند السّمع) [6].

هذا وقد جعله ابن قتيبة (ت 276هـ) في اللّسان كذلك، لأنه آلة النطق التي يُعرف بها تميُّز صاحبها عن غيره بالفصاحة وجودة التعبير، يقول: (حدثني عبده بن عبد الله قال: حدثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: «إن من البيان لسِحْرًا»[7]، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطب. وقال العباس: فيم الجمال؟ قال: في اللّسان) [8].

---

(1)- آل عمران، [138].

(2)- الرعد، [37].

(3)- الإسراء، [12].

(4)- النحل، [89].

(5)- النحل، [103].

(6)- الجاحظ: رسائل الجاحظ: "من صدر رسالته في تفضيل النطق على الصمت": ت: عبد السلام هارون، دار الجيل. ط.1، بيروت، 1991، م.2، ج.4، ص.230،231.

(7)- صحيح البخاري: كتاب "النكاح": باب رقم "48": دار الفكر، بيروت، 1981، م.3، ج.6، ص.137.

(8)- ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار: دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 1986، م.2، ص.184.

أما الرماني (ت 384هـ) فيرى أن البيان هو «إحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك. والبيان على أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة»[1].

وهذا الكلام على وجهين: 1-كلام يظهر به تميّز الشيء عن غيره فهو بيان.

2-وكلام لا يظهر به تميز الشيء فليس ببيان، كالكلام المخلط.

فشرط الرّماني (ت 384هـ) هنا هو التميز، أي إدراك الكلام الذي يجب أن يُقال.

وقد نقل ابن رشيق (ت 456هـ) في عمدته عن الرّماني قوله: «هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك»[2]. ويعقب على ذلك بقوله: «وقيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة، لأنها إحضار المعنى للنفس وإن كان ببطاء»[3]، وقال: «إنما قيل البيان الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة، لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل، ولا يستحق اسم البيان»[4].

فالبيان يشترط فيه سرعة إدراك المعنى، لأن الدلالة يمكن أن تدرك ببطاء. ويعتريها التعقيد في بعض الأحيان، وهذا الفرق أضافه ابن رشيق (ت 456هـ) في "العمدة" خلال تعرُّضه لتعريف الرّماني (ت 384هـ).

إلا أن عبد القاهر الجرجاني (ت 474هـ) لم يذكر للبيان تعريفا محددا، سوى ما جمعه تحقيقا للقول في البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة. يقول: «... ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة، ويُنسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى...»[5]. فربط حسن البيان بحسن اختيار اللفظ المؤدّي

---

(1)-أبو الحسن الرمّاني: النكت في إعجاز القرآن: ت: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، 1999، ص.106.

(2)-ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط.5، بيروت، 1981، ج.1، ص.254.

(3)-المصدر نفسه: ص.254.

(4)-المصدر نفسه: ص.254.

(5)-عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ت: محمّد التنجي، دار الكتاب العربي، ط.2، بيروت، 1997، ص.52.

للمعنى، لأنه يزيده بهاءا ورونقا، ويُظهر فيه مزية وفضلا، وتميل له القلوب إعجابا وتأثرا. لهذا كان البيان عند الجرجاني (ت 474هـ) صناعة رائعة للكلام.

أما عند الزمخشري (ت 538هـ) فالبيان[1] لم يتغير معناه عن سابقيه، لأن المقصود منه هو الكشف والإيضاح عما في النفس والدلالة عليه.

وعند ابن الأثير (ت637هـ) هو الشامل للنظم والنثر، حيث «يرى أن علم البيان موضوعه هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية...»[2].

ولكن هذه الرؤية تبلورت أكثر عند السكاكي (ت626هـ) في مفتاح العلوم، إذ يعرّف البيان بقوله: «هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»[3]. وهو في موضع آخر يفصّل في تعريفه علم البيان، حيث حصر موضوعاته في التشبيه والمجاز بأنواعه، والاستعارة والكناية، ثم تبع القزويني (ت789هـ) السكاكي في هذا التعريف كما تبعه المتأخرون[4]، بأن اتخذوا البيان فنًّا من فنون البلاغة، التي أخذت طابعًا متميِّزًا حين راح العلماء يدرسون موضوعاتها المتنوعة تحت علم البيان والمعاني والبديع.

ورغم قِدم فكرة البيان، إلا أن العلماء اهتموا بتعريفه وتوضيحه أكثر من خلال تقسيماتهم التي أدت إلى تعدد الوظائف وتنوعها. وقد عدّه ابن خلدون (ت 808هـ) من العلوم الحديثة إذ يقول: «هذا العلم حادث في الملة بعد علوم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية، لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده، وما يقصد بها الدلالة عليه من المعاني...»[5].

---

(1)-للتفصيل أكثر: أنظر: أساس البلاغة. الزمخشري. ط.3، مصر، 1985، مادة "بين"، ص.74.

(2)-أحمد جمال العمري: المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني: مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990، ص.340. (وللتفصيل أكثر: أنظر: المثل السائر: ابن الأثير).

(3)-أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط.2، بيروت، 1987، ص.162.

(4)-استخلص السكاكي زبدة ما قدمه سابقون وضم كل شكل إلى شكله، كما يفعل المنظرون المقعدون، فوضع مفتاح العلوم، وتعقب الخطيب القزويني عمل السكاكي فسار سيرة هذا الأخير في التقعيد والتركيز. فاعتصر من البلاغة عصارتها. وأصبحت مكثفة لا يجد لها الذوق والفهم سبيلا بعد أن تمزج في الشروح والحواشي المستطيلة. (انظر: مجلة كلية الآداب: ع6. فاس، 1982، ص129-130.

(5)-عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة: دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 2000، ص.473.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

«وذلك أن الأمور التي يقصد المتكلم بها إفادة السّامع من كلامه: هي إمّا تصوّر مفردات تُسند ويُسند إليها ويفضي بعضها إلى بعض، والدلالة على هذه المفردات من الأسماء والأفعال والحروف»[1].

وهذه العلوم جميعها لم تخرج عن كونها متميزة، لأنّها ثمرة من ثمرات ما جاء به القرآن الكريم، وهو الذي علّمنا جميع هذه العلوم ودلّنا عليها بوسائل متعددة، يقول ابن خلدون (ت 808هـ):

«واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن، لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة...»[2].

هذا وقد أثبتت الدراسات الحديثة، أن مادة "البيان" التي تداولها القدماء بجميع مشتقاتها، هي كذلك عندهم بمعنى الكلام الذي يوضّح أمرا ما. حيث «تفيد نصوص العربية المعاصرة التي وردت بها هذه المادة أنّها تستعمل بمعنى الكلام الذي يوضح ويظهر أمرا ما، معنويا كان أم حسيا.

وبتأمل دلالات المادة في العربية المعاصرة في ضوء دلالاتها في الفصحى القديمة، يظهر أن التصوير الوحيد في دلالة المادة، هو تخصيص معناها في الدلالات الاصطلاحية...»[3].

ومعنى هذا أن مصطلح البيان مقصوده أعم وأشمل، وهو خاص إذا ما خضع للدراسة في مجال اللغة والدلالة والبلاغة.

---

(1)-عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة: ص.473.

(2)-المصدر نفسه: ص.475 .

(3)-محمد محمد داود: الدلالة والكلام: دار غريب، القاهرة. ص.351.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخلاصة:

إن القرآن الكريم هو الموجه والباعث الحقيقي للدرس البياني، إذ عليه قامت هذه الدراسات، ونمت وترعرعت في ظل هذا الإعجاز القرآني، الذي احتضنته البيئة العربية المتميزة بحسن البلاغة وجودة البيان. ولعلّ أقدم تعريف للبيان هو ما جاء متناثرا هنا وهناك في كتب الجاحظ (ت 255هـ) المتنوعة، إذ عدّه وسيلة هامة من وسائل فن القول، غرضه الإيضاح والتبيين بأسلوب بليغ، وعبارة جميلة. وقد غاص في هذا العلم فدرس دوافعه وأسبابه، ووظيفته الأساسية بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبما جادت به قريحة العرب من خطب وأشعار وحِكم وأمثال. وليس ببعيد عنه ابن قتيبة (ت 276هـ) الذي واصل مشواره في "عيون الأخبار" و"أدب الكاتب"، حيث عدّ البيان آلة من آلات النطق السليم، يتميز به أصحاب الفصاحة وأرباب الخطب والمقامات. ولما جاء الرّماني (ت 384هـ) أحسن اختيار تعريف البيان، إذ ربطه بكل ما ترغب به النفس من استحضار للمعنى الجميل،وذلك بحسن تميّزه عن غيره في الإدراك، لهذا قسمه إلى أربعة أقسام هي الكلام والحال والإشارة والعلامة، وجميعها تؤكد تميّز الكلام المبين عن غيره من الكلام، وقد نقل ابن رشيق (ت 456هـ) في عمدته عن الرمّاني (ت 384هـ) أقواله مع بعض الشروحات الإضافية الهامة في مجال الأدب والبلاغة، أما عبد القاهر الجرجاني (ت 474هـ) فإنّه لم يُفرد للبيان بابًا خاصًّا، سوى ما جمعه عن البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة، وعدّه من أهم وسائل تبليغ الكلام، بحسن اختيار اللفظ المناسب للمعنى المناسب. ثم بدأ اتجاه المتأخرين يذهب إلى تقسيم هذا العلم تقسيمًا تستدعيه نوعية الدراسة في هذا المجال. فها هو السكاكي (ت 626هـ) يشرح البيان ويصنفه ضمن علوم البلاغة التي تهتم بالمقام، فانحصرت موضوعات البيان في التشبيه والمجاز والكناية والاستعارة، وتبعه القزويني (ت 739هـ) وغيره في هذه التفريعات. وعدّه ابن خلدون (ت 808هـ) علمًا حادثًا في الملّة بعد علوم العربية، فهو من العلوم اللسانية المرتبطة بالألفاظ وما تفيده، وما يقصد بها للدلالة على المعنى.

هذا وقد أثبتت الدراسات الحديثة، أن مادة "البيان" التي تداولها القدماء بجميع مشتقاتها، لا تخرج عن كونها من معاني الكلام الذي يوضح أمرًا ما. ويكشف حقيقته الكامنة هنا وهناك.

الفصل الأول:

مناحي البيان عند الجاحظ

المبحث الأول: المنحى الديني

المبحث الثاني: المنحى المذهبي

المبحث الثالث: المنحى الأدبي والفني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: المنحى الديني

لقد تعدّد مصطلح البيان عند الجاحظ (ت 255هـ)، حيث توجه عنده وجهات متباينة. فهو تارة يرتبط باللغة ومجالاتها، وتارة أخرى يرتبط بالغرض الذي وُضِعَ لأجله هذا البيان. إذ جاء كردّ فعل على ما قالته الشعوبية بشأن العرب ولغتها ودينها.

فالبيان جاء لخدمة الدين بعد نزول القرآن الكريم، لفهم معانيه ومقاصده، والتصدي لهجمات الطاعنين. يقول الجاحظ: (والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعتُ الله ﷻ يمدحه، ويدعوا إليه ويحث عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العَجَم) [1].

1-أصل البيان:

أصل هذا البيان هو القرآن الكريم، الذي نزل على سيدنا محمد ﷺ ، فكان إعجازه في بيانه من حيث ألفاظه ومعانيه، مع ما وُصِفَ به بأنه هو "البيان"، وذلك من خلال آيات قرآنية دلّ عليها الجاحظ في كتابه بقوله: (وذكر الله تبارك وتعالى جميع بلائه في تعليم البيان، وعظيم نعمته في تقويم اللسان، فقال: ﴿الرَّحْمَانُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الإِنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [3]. ومدح القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل والإيضاح، وبجودة الإفهام وحكمه الإبلاغ، وسمّاه فرقانا كما سمّاه قرآنا، وقال: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [4]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [5]. وقال: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [6]. وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [7].) [8].

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 75/1.

(2)- الرحمن، [1-4].

(3)- آل عمران، [138].

(4)- النحل، [103].

(5)- الرعد، [37].

(6)- النحل، [89].

(7)- الإسراء، [12].

(8)-الجاحظ: المصدر السابق: 8/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومن هذه الآيات نستخلص تعريفا للبيان، الذي يعني التوضيح والتفصيل، مع الغرض الذي نزل لأجله القرآن الكريم، وهو التبليغ بلسان عربي فصيح.

وارتباطه بالقرآن الكريم، جعل الجاحظ يدافع عن أصل هذا البيان في قوله: (ولابد أن نذكر فيه كيف خالف القرآن، جميع الكلام الموزون والمنثور وهو منثور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج...)[1]، «والدفاع عن أصل القرآن مرتبط في ذهن الجاحظ بالدفاع عن أصل العرب، ولذلك نجده ينتقل من الحديث عن نظم القرآن إلى الحديث عن أصل إسماعيل عليه السلام [2]، قال: (...ولابد أن نذكر فيه شأن إسماعيل عليه السلام وانقلاب لغته بعد أربع عشرة سنة... وكيف لفظ بجميع حاجاته بالعربية على غير تلقين ولا تدريب، وحتى لم تدخله عُجمة ولا لُكنة ولا حُبْسة ولا تعلق بلسانه شيء من تلك العادة) [3]. «فالعلاقة بين أصل القرآن وأصل العرب هي اللغة العربية ذاتها. فكما أن القرآن الذي هو وحي نزل باللغة العربية فكذلك هذه اللغة التي تمتاز على غيرها بالطبع والبداهة أعطيت لإسماعيل على غير تلقين ولا تدريب، وقد خصص الجاحظ لقضية إسماعيل فصلا عنونه بقوله: «القول في إنطاق الله عز وجل إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين وعلى غير التدريج وكيف صار عربيا أعجمي الأبوين»[4].

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 383/1.

[2]-محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال "البيان والتبيين": ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص.38.

[3]-الجاحظ: المصدر السابق: 383/1.

[4]-محمد الصغير بناني: المرجع السابق: ص.39.

2-وظيفة البيان:

البيان مرتبط بالبراعة العقلية من جهة، وبالقوة الروحية من جهة أخرى، وهي صفات الأنبياء والمرسلين، حيث ذكر الجاحظ آيات قرآنية يبيّن فيها وظيفة الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى لعباده، للتذكير والتنذير، وذلك بلسان قومهم: لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[1]. (لأن مدار الأمر على البيان والتبيّن، وعلى الإفهام والتفهّم، وكلما كان اللسان أبين كان أحمد، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد...)[2]. ولأهمية اللسان في البيان اشترط الجاحظ أن يكون خاليا من العيوب النطقية، وأن لا يتصف بالحدّة والخصومة.

أ-أن يكون خاليا من العيوب الكلامية والنطقية، في قوله: (وسأل الله ﷻ موسى بن عمران عليه السلام حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته، والإبانة عن حجته، والإفصاح عن أدلته، فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه والحُبسة التي كانت في بيانه، ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[3]. وأنبأ الله تعالى عن تعلق فرعون بكل سبب، واستراحته إلى كل شعب، ونبهنا بذلك على مذهب كل جاحد وكل معاند، وكل محتال مكايد، حين خبّرنا بقوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[4])[5].

لقد وصف الجاحظ حالة موسى عليه السلام النطقية، فعرض لمصطلح الإبانة وما يفارقه من عقدة وحُبسة. إذ يجب على اللسان أن يكون خاليا من هذه العيوب كي يقوم بدور الإبلاغ

---

(1)- إبراهيم، [4].

(2)-الجاحظ، البيان والتبيين، 11/1.

(3)- طه، [27-28].

(4)- الزخرف، [52].

(5)-الجاحظ: المصدر السابق، 8/1.

وطلب الحجة. والإبانة كما جاء في اصطلاح "البيان": «هي كشف المعنى وتبيينه»[1].

والإبانة عن الحروف[2]، إخراجها عند النطق بها متميزا بعضها من بعض، جاء في البيان: (وقد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها. وخالف أحد شطريها الشطر الآخر)[3].

ب-أن لا يتصف اللسان بالحدة والخصومة. ففي معرض حديثه عن اللسان يقول: (وذكر الله ﷻ لنبيه ﷺ حال قريش في بلاغة المنطق، ورجاحة الأحلام، وصحة العقول، وذكر العرب وما فيها من الدّهاء والنكراء والمكر، ومن بلاغة الألسنة، واللدد عند الخصومة، فقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[4]، وقال: ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾[5]، وقال: ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[6]... ثم ذكر خلابة ألسنتهم واستمالتهم الأسماع بحسن منطقهم، فقال: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾[7]...)[8].

يصف الجاحظ بلاغة قريش في المنطق والعقل، كما يصف العرب بالدّهاء والنكراء والمكر، وقد جاء وصف هؤلاء بعبارة "بلاغة الألسنة" أي حال اللسان البليغ، و"باللّدد عند الخصومة" حال اللسان السليط، وكلها مذكورة في آيات قرآنية اختارها الجاحظ فأحسن اختيارها، إذ يستشهد بها في توظيف آخر للسان واستعمال مخالف لما ذكر من قبل، فهو يصلح للفضيلة والإحسان كما يصلح للخصومة والمكر.

---

(1)-الشاهد البوشيخي: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين، دار الآفاق الجديدة، ط.1، بيروت، 1982، ص.133.

(2)-المرجع نفسه، ص.134.

(3)-الجاحظ: البيان والتبيين، 1/61-64.

(4)- الأحزاب. [19].

(5)- مريم. [97].

(6)- البقرة. [204].

(7)-المنافقون. [4].

(8)-الجاحظ: المصدر السابق، 1/8.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-نوع البيان:

بعدما أشاد الجاحظ بأهمية اللسان في البيان العربي، أعلن بصراحة واضحة شفاهية هذا الموروث العربي. في عهد امتد بظهور الإسلام. وكيف أنه اتصل بالبلاغة العربية التي تتسم بالدقة في اختيار اللفظ المناسب للمعنى المناسب، وهذا ما يحدث للألفاظ المستعملة في القرآن الكريم، فهي تبين عن نفسها بنفسها في نسق معين يدل على معناها، وتُفصِح عن إعجازها البياني. وفي هذا يقول الجاحظ: (وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة...)[1]. «...فهذه الغاية التي ليس بعدها غاية في دقة استعمال القرآن للألفاظ، وذلك بحكم ترددها على ألسنة الناس، حيث ينحو المتكلم ولاسيما إذا كان من طبقة العامة إلى استعمالها في غير معناها الدقيق كما تشهد به نماذج الفصاحة والبلاغة، وكأننا بالمؤلف يتفطن إلى باب هام من أبواب الترادف الناشئ عن اجتثاث الكلمة عن سياقها الأصلي واستعمالها في سياق آخر أجنبي عنها فيضمحل تبعا لذلك الفارق المعنوي بينهما وبين الكلمات القريبة من معناها»[2].

ومن خلال كل هذا، نكشف أهمية البيان الذي ورد في آيات كثيرة، جعلت الجاحظ يدافع عن أصله، لأن الدفاع عن أصل القرآن مرتبط في ذهن الجاحظ بالدفاع عن أصل العرب. وإلمامه بمصطلح البيان، جعله يتجه عنده اتجاهات متباينة، حيث عنى هذا البيان بسلامة اللسان من العيوب النطقية، بالتزام شرط الفصاحة، وهو ما يناقض العقدة والحُبسة اللتين جُسِّدتا على لسان سيدنا موسى عليه السلام. فالعقدة التي في لسانه والحُبسة التي في بيانه، جعلته يستعين بأخيه هارون في التبليغ والتوجيه. ثم إن كلمة البيان في أصل معناها اللغوي تدل على التعبير باللغة عما في النفس من خواطر وأفكار.

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبين، 382/1.

(2)-حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس: منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1981، ص.271.

والبيان بهذا المعنى يُعدّ خاصية تميز الإنسان عن غيره من الكائنات؛ لأن الله تعالى هو الذي ألهمه نِعمة البيان؛ لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَانُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الإِنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[1].

وهو أولا وأخيرا صفة القرآن الذي مدحه الله بالبيان، وبجودته في الإبلاغ والإفهام. لأنه تبيان لكل شيء وتفصيل وتوضيح: (وأبين الكلام كلام الله، وهو الذي مدح التبيين وأهل التفصيل وفي هذا كفاية إن شاء الله) [2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)- الرحمن، [1-4].

(2)-الجاحظ: البيان والتبين: 314/1.

المبحث الثاني: المنحى المذهبي

جاء البيان كردّ فعل على ما قالته الشعوبية بإزاء العرب وخطاباتها، تجلت في مناظراتهم ومجادلاتهم المذكورة في البيان والتبيين. وقد قام الجاحظ بالتصدي لهذه النّحلة، لأنها طعنت في كل موروث خصّ العرب والمسلمين، يقول: (... اعلم أنّك لم تر قوما قط أشقى من هؤلاء الشعوبية، ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكا لعرضه، ولا أطول نصبا، ولا أقل غُنما من أهل هذه النّحلة...[1])[2]. ولشدة عدائهم للإسلام والمسلمين تباينت آراؤهم واختلفت، لهذا راح الجاحظ (ت 255هـ) يقسّم الشعوبية[3] إلى قسمين: قسم أراد أن يسوي بين جميع الأمم من عرب وعجم وغيره، وأطلق عليه اسم التسوية[4] والآخر يدعي التعصب للعجم، وهي نزعة تميل إلى الحطّ من شأن العرب، وتفضل غيرهم من الأمم[5]، يقول: (ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية، ومن يتحلى باسم التسوية) [6]. وهو في موضع آخر يقول: (قالت الشعوبية ومن يتعصب للعجمية...)[7].

---

(1)-النِّحلة: لفظ يُطلق على الجماعة أو الفرقة، وهو مصطلح تداوله علماء الكلام في كتب العقيدة.

(2)-الجاحظ، البيان والتبيين، 29/3.

(3)-الشعوبية: فرقة ظهرت في العصر العباسي، والشعوبي هو الذي يصغّر شأن العرب، ولا يرى لهم فضلا على غيرهم، وأقدم ما وصل إلينا من الكتب التي استعملت لفظ "الشعوبية": كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، (انظر كتاب: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج.1، ص.54-57).

(4)-أهل التسوية: هم الذين يسوّون بين الأمم والعجم، لأن روح الإسلام وقواعده تؤيّد هذا المذهب. فذهبت هذه النزعة التي تمثلها بعض العجم إلى أن العرب ليسو أفضل من غيرهم من الأمم، ولا أية أمة أفضل من غيرها، إنما التفضيل في الأفعال والأخلاق وشرف النفس وليس بالأحساب والأنساب.

(5)-وذلك لأن العرب ليست لها أية ميزة، إذا ما قورنت بالأمم الأخرى، فالرومان مثلا تفتخر بعظم سلطانها، والهند تفتخر بحكمتها وطبّها، والصين تزهى بصناعتها وفنونها الجميلة، أما العرب فكانوا في جاهليتهم يقتلون أولادهم من الفقر ولا يستقر لهم حال من الغزو والسلب وغيرها.

(6)-الجاحظ، المصدر السابق، 5/3.

(7)-المصدر نفسه، 12/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

*مظاهر الشعوبية في طعنها للعرب:

اتجهت الشعوبية في طعنها للعرب اتجاهين اثنين، وإن كانا وجهين لعملة واحدة؛ لأنهما يصبان في منبع واحد هو: الطعن في البيان العربي.

من أجل هذا نرى الجاحظ (ت 255هـ) يتصدى لهم، ويكشف عن هويتهم، ويحلل نفسيتهم الحاقدة على الإسلام، وعلى كل موروث عربي، وذلك تحت ستار التفاخر بما عند الأمم الأخرى من تراث حضاري.

فمن الهجمات التي تصدى لها الجاحظ في بيانه، تلك المنسوبة للعرب من نقائص، كاستعمالهم للعصا وما يناظرها. إذ لا يرون لها سببا في الاستعانة بها -أثناء الخطبة أو غيرها-، سوى أنها عادة العربي، الذي تأثر بكل ما يحيط به من أشياء فرضتها عليه بيئته الصحراوية القاسية.

كما أنهم يطعنون في صناعة العرب للخطابة والبيان، ويزعمون أنها ليست حِكْرًا على العرب وحدهم، بل هي موجودة في جميع الأمم.

الطعن الأول[1]:

لقد كانت العرب قديما تستعين في إشارتها أثناء الخطبة بمخْصَرة[2] تحملها، لكن الشعوبية عابت عليهم أخذهم هذه المخصرة، عند مناقلة الكلام ومساجلة الخصوم والإتكاء على القسي.

فبالرغم من حضور هذه المخضرة في جميع هذه المقامات، إلا أنه لا طائل من الانتفاع بها، فليس بين العصا والقوس مع الكلام سببا لوجودهما، سوى أنهما يشغلان الفكر عن التركيز، ويصرفان الخواطر، ويعرقلان الذهن. ولا معنى للإشارة بهما؛ لأنهما ليسا أدلّ من اللفظ.

---

(1)- لم يقتصر الشعوبيون في طعنهم على العصا وحدها، بل تعدّاه إلى كل شيء تعلق بالعربي، كارتدائه للعمامة وغيرها، وهذه في رأي الشعوبي نقائص حضارية، وليست من مميزاتها.

(2)-المخصرة: ما يُتوكأ عليه كالعصا ونحوه.

كما أن حمل العصا هي عادة العربي الذي يوصف عندهم بالجفاء والعنجهية وخاصة البدوي منهم، يقول أبو عثمان: «... وليس بين الكلام وبين العصا سبب، ولا بينه وبين القوس نسب، وهما إلى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر، ويعترضا على الذهن أشبه، وليس في حملهما ما يشحذ الذهن، ولا في الإشارة بهما ما يجلب اللفظ... وهو بجفاء العرب وعنجهية أهل البدو ومزاولة إقامة الإبل على الطرق أشكل وبه أشبه»[1].

الرد على هذا الطعن:

لم يكن الجاحظ ليغضّ الطرف عن تلك المواضيع التي أثارها الشعوبيون في "البيان والتبين"، وذلك قصد الحطّ من قيمة الإنسان العربي الذي يفتخر بثقافته وبتراثه الحضاري، المتمثل في هذه العقيدة التي تدعو إلى توحيد الله تعالى.

فالهدف أكبر من مجرّد الهجوم على شخصية العربي، لهذا كان لزاما على الجاحظ أن يدافع عن كل رمز ارتبط بصورة مباشرة أو غير مباشرة بهذا الدين، وما العصا إلا رمزًا من هذه الرموز التي ميّزت المجتمع العربي دون غيره من المجتمعات.

وفي معرض دفاع الجاحظ عن هذه العصا، يدافع عن المخصرة أيضا، وذلك في قوله: (ومما يدلّك على استحسانهم -أي العرب- شأن المخصرة، حديث عبد الله بن أنيس ذي المخصرة، وهو صاحب ليلة الجهني[2]، وكان النبي عليه السلام أعطاه مخصرة، وقال: «تلقاني بها في الجنة»[3]...)[4]. فقيمة المخصرة هي من قيمة هذا الرجل الشريف والمؤمن التقي، الذي شرّفه النبي ﷺ بدخوله إلى الجنة وفي يده مخصرته.

هذا وقد اتخذها الجاحظ وسيلة هامة لتأدية وظائف سامية، تمثلها الأنبياء في دعوتهم لله تعالى، والشاهد على قيمة العصا عند الأنبياء مايلي:

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 12/3.

(2)-ليلة الجهني: نُسبت إليه ليلة الجهني لأنه كان ينزل إلى مسجد رسول الله ﷺ ليلة ثلاث وعشرين ويبقى فيه من صلاة العصر فلا يخرج إلا بعد أن يصلي الصبح.

(3)- لم أقف على هذا الحديث في كتب السنة.

(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 11/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-العصا التي شرّف الله تعالى بها موسى بن عمران عليه السلام بأن جعلها معجزة لقومه، فكانت دليل نبوته التي كذّب بها فرعون وأتباعه. كما كانت دليل السّحرة لإيمانهم، يقول: (وقد جمع الله موسى بن عمران عليه السلام في عصاه من البرهانات العِظام، والعلامات الجسام، ما عسى أن يفي ذلك بعلامات عدة من المرسلين وجماعة من النبيين... ألم تر أن السحرة لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم إلا بالعصي، ولا عارضهم موسى إلا بعصاه) [1].

هذا وقد استشهد الجاحظ بآيات قرآنية أخر، تخص عصا موسى عليه السلام، وفائدتها العظيمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [2]، فانقلاب العصا إلى ثعبان مبين، دليل قاطع على صدق نبوة موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [3]، فتفوق موسى عليه السلام على هؤلاء السحرة الذين استرهبوا الناس، دليل آخر على أن هذه العصا جاءت لتبين علوّ الحق وفوزه على الباطل بإذن الله تعالى، (...ولم يجعل الله للحبال من الفضيلة في إعطاء البرهان، ما جعل للعصا، وقدرة الله على تصريف الحبال في الوجوه، كقدرته على تصريف العصا) [4]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [5]، فقد بارك الله تعالى لهذه الشجرة، إذ كلم موسى عليه السلام من خلالها، وإنما العصا جزء من هذه الشجرة ذات الفوائد العظيمة، لأن القرآن الكريم تحدث عنها، كما تحدثت عنها كتب التاريخ: (فبارك كما ترى على تلك الشجرة، وبارك في تلك العصا، وإنما العصا جزء من الشجر) [6].

(1)-الجاحظ: البيان والتبين: 31/3.
(2)- الأعراف، [107].
(3)- الأعراف، [117].
(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 31/3-32.
(5)- القصص، [30].
(6)-الجاحظ: المصدر السابق : 3/ 31-32.

ولأن استعمالات العصا كثير، ومرافقها متنوعة، فإن منافعها لا تعد ولا تحصى، (...فأي شيء يبلغ في المرفق والردّ مبلغ العصا، وفي قول موسى: ﴿ قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴾[1]، وهذا دليل على كثرة المرافق فيها، لأنه لم يقل ولي فيها مأربة أخرى، والمآرب كثيرة، فالذي ذكرنا قبل هذا داخل في تلك المآرب)[2]. وما زال الجاحظ يبرّر موقفه من الدفاع عن العصا من خلال احتجاجه لبعض استعمالاتها عند الأنبياء، لأن الشعوبية طعنت في جملة مذهبهم الذي إعتمد على العصا في جميع المجالات. وهو تأكيد آخر من الجاحظ على تمسكه بالدفاع عن العصا، ودحض ادعاء الشعوبية بقوله: (...ونحن لو تركنا الاحتجاج لمخاصر البلغاء، وعصي الخطباء، لم نجد بدًّا من الاحتجاج لجلة المرسلين، وكبار النبيين، لأن الشعوبية قد طعنت في جملة هذا المذهب على قضيب النبي ﷺ وعنزته، وعلى عصاه ومخصرته، وعلى عصا موسى عليه السلام ... وقد كانت العصا لا تفارق يد سليمان بن داود -عليهما السلام- في مقاماته وصلواته، ولا في موته ولا في أيام حياته...)[3].

2-اتخذها سليمان بن داود عليهما السلام، لخطبته، وموعظته، ولمقاماته، ولطول صلاته وتلاوته. فهي خير معين على العبادة وعلى الأعمال الأخرى. يقول الجاحظ: (والدليل على أن أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم ومعدن شريف، ومن المواضع التي لا يعيبها إلا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)- طه، [18].
(2)-الجاحظ: البيان والتبيين، 42/3.
(3)-المصدر نفسه، 68/3.

جاهل ولا يعترض عليها إلا معاند، اتخاذ سليمان بن داود عليه السلام العصا لخطبته وموعظته، ولمقاماته، وطول صلاته، ولطول التلاوة والانتصاب، فجعلها لتلك الخصال جامعة، قال الله عز وجل وقوله الحق: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[1]، والمنسأة هي العصا)[2]، ثم يبرر موقفه الذي جعله يبدأ بعصا سليمان عليه السلام دون غيرها بقوله: (وإنما بدأنا بذكر سليمان عليه السلام لأنه من أبناء العجم، والشعوبية إليهم أميل وعلى فضائلهم أحوص، ولما أعطاهم الله أكثر وصفا وذكرا)[3].

كما استعملها النبي ﷺ والخلفاء من بعده أيام الخطب والمواسم والجموع: (والعصا تكون سوطا وسلاحا، وكان رسول الله ﷺ يخطب بالقضيب، وكفى بذلك دليلا على عظم غِنائها وشرف حالِها، وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من الخطباء)[4].

3-العصا دليل المتكلمين، إذ كانوا يستعينون بالإشارة بأيديهم بما يحملونه من عصا وقضيب وغيرها، وذلك لجلب انتباه السامعين والتأثير فيهم أكثر بإصابة القول مع حسن الإشارة: (ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم، فإذا أشاروا بالعصي فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيديًا أخر...)[5].

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 30/3.

(2)- سبأ، [14].

(3)-الجاحظ: المصدر السابق: 31/3.

(4)-المصدر نفسه: 54/3.

(5)-المصدر نفسه: 116/3.

كما تدل هذه العصا على التأهب للخطبة، والتهيء للحديث الطويل. وهي طريقة العرب في خطاباتها، إذ تنسب إليها دون غيرها، (... حتى إنهم ليذهبون في حوائجهم والمخاصر بأيديهم إلقا لها وتوقعًا لبعض ما يوجب حملها، والإشارة بها) [1].

فهذه العصا بأنواعها هي رمز هذا البيان؛ لأن الله فضلّها على غيرها، بأن منحها لأنبيائه مبرزًا شرفها من خلال ما قامت به من دور لا يقل أهمية على البيان نفسه.

الطعن الثاني:

لقد طعن الشعوبيون في صناعة العرب للخطابة والبلاغة والبيان، فزعموا بأنها ليست حِكرا على العرب وحدهم، بل هي ميزة جميع الأمم، وحتى الزنوج مع ما فيهم من غِلظة إلاّ أنّهم يتصفون بالخطب الطويلة.

هذا وإن أخطب الناس في نظرهم –"الفرس"– وخاصة منهم "مرو" و "فارس"، يقول الجاحظ: (قالوا: والخطابة شيء في جيمع الأمم، ولكل الأجيال إليه أعظم الحاجة، حتى إن الزنج مع الغثارة[2]، ومع فرط الغباوة، ومع كلال الحدّ وغِلظ الحسّ... لتطيل الخطب، وتفوق في ذلك جميع العجم،... وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس وأخطب الفرس أهل فارس، وأعذبهم كلامًا وأسهلهم مخرجًا، وأحسنهم دلاً وأشدهم فيه تحكّمًا أهل مرو) [3].

ثم انتقلوا في دفاعهم عن هذه الأمم، بما جاء في تراثهم الذي يتحدث عن البلاغة والخطابة، خاصة ما خلّفه أقوام مشهورون أمثال الفرس واليونان والهنود.

هذا وقد تساءلوا عن سبب إهمال هذه الأمم استعمال العصي والقضبان في كلامها، إذا كانت بهذه الأهمية، لولا أن العرب حسب ظنهم، تعوّدوا حمل هذه الأشياء؛ لأنهم رعاة الإبل والغنم، وقد اعتادوا حملها في الحضر والبدو، وفي السّلم والحرب.

وبذلك ومع طول مجالستهم للإبل غلظت مخارج أصواتهم فأصبحوا لا يتقنون صناعة الكلام. (قالوا: ومن أراد أن يبلغ في صناعة البلاغة، ويعرف الغريب، ويتبحّر في

---

(1)–الجاحظ: البيان والتبين: 117/3.

(2)–الغثارة: الحمق والجهل، والأغثر: الأحمق.

(3)–الجاحظ: المصدر السابق: 13/3.

اللغة، فليقرأ كتاب كاروند[1]، ومن احتاج إلى العقل والأدب، والعلم بالمراتب والمثلاث، والألفاظ الكريمة، فلينظر في سير الملوك، فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وعِللها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق... وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها وسيَرها وعللها...)[2]، وها هم يتساءلون عن إغفال جميع هذه الأمم الإشارة بالعصا والقناة بقولهم: (فكيف سقط على جميع الأمم من المعروفين بتدقيق المعاني، وتخير الألفاظ، وتمييز الأمور، أن يشيروا بالقناة والعصي، والقضبان والقسي) [3]، ثم يبررون تساؤلهم بالقدح في العرب، والحطّ من شأنهم فيقولون: (كلاّ ولكنكم كنتم رعاة بين الإبل والغنم، فحملتهم القنا في الحضر بفضل عادتكم لحملها في السفر، وحملتموها في المدر بفضل عادتكم لحملها في الوبر، وحملتموها في السّلم بفضل عادتكم لحملها في الحرب، ولطول اعتيادكم لمخاطبة الإبل، جفا كلامكم، وغلظت مخارج أصواتكم،...)[4].

الحقد الدفين الذي تكنّه الشعوبية للعرب، جعلها تردّد شأن العصا في غير موضع، إذ انتقلت هنا من الحديث عن صناعة البلاغة إلى الحديث عن علاقتها بالعصا، وكأنّ شيئا ما لا يزال عالقا في نفوس هؤلاء، يحاولون تبريره ليؤكدوا سطحية العصا التي لا طائل منها سوى أن العربي اعتاد على حملها. لكن الجاحظ كان لهم بالمرصاد، إذ في معرض دفاعه يقدم الأدلة الدامغة والبراهين النيِّرة على أهمية العصا في البيان. وهو منهج المعتزلة في احتجاجهم الذي يعتمد على العقل، كما أنه دليل آخر على اعتزاز الجاحظ بهذا الموروث العربي وفخره بالانتماء إليهم.

الردّ على هذا الطعن:

يردّ الجاحظ على هؤلاء الطاعنين، ويتهم صاحب المنطق[5] فيدعي أنه كان بكيء

---

(1)–كتاب "كارَوَنْد": مؤلف من كلمتين فارسيتين: كار: الصناعة، وَنْد: الثناء والمديح.

(2)–الجاحظ: البيان والتبيين، 3/13.

(3)–المصدر نفسه: 3/13.

(4)–المصدر نفسه: 3/13.

(5)–صاحب المنطق: هو أرسطو (ت322ق.م).

اللسان غير موصوف بالبيان: (ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق، وكان صاحب المنطق نفسه بكيّ اللسان غير موصوف بالبيان، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه، وبخصائصه...)[1]. وأن الفرس لهم خطباء، إلا أن كل كلام للفرس، وكل معنى للعجم إنما هو عن طول فكر واجتهاد ورأي: (... وفي الفرس خطباء، إلا أن كل كلام للفُرس، وكل معنى للعجم، فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكر ودراسة الكتب... وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، ... وكل واحد في نفسه –أي العرب– أنطق، ومكانه من البيان أرفع) [2]. فبيان العربي هو في لسانه أثناء نطقه "فلا يمكن أن يكون هناك نقل أو توارث ومعاونة"[3].

لهذا يمدح العرب في إجادة تقطيعها للألحان الموزونة على الأشعار، فيقول: (... وكيف صارت العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة، فتضع موزونا على موزون، والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزونا على غير موزون...)[4]. فلننظر «إلى تقطيع الألحان في الغناء العجمي، لنعرف كيف أن إطالتهم هذه متكلفة وغير طبيعية، فالعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن، فتضع موزونا وغير موزون، بينما العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة والبيان العربي هو إصابة المعنى وإصابة الوزن في نفس الوقت»[5]. وهذا دليل قاطع على أن العرب أحسن بيانا في لفظها ومعناها، وأوسع لغة، وأعرف الأمم بتقطيع الأشعار، إضافة إلى تميُّزها بالبديهة والارتجال. كما جعل المتكلمون من كلامهم صناعة، أتاحتها لهم مجالس المناظرات والمجادلات.

---

[1]–الجاحظ: البيان والتبيين: 27/3.

[2]–المصدر نفسه ، 28/3.

[3]–محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال "البيان والتبيين": ص.192.

[4]–الجاحظ: المصدر السابق: 384/1.

[5]–محمد الصغير بناني: المرجع السابق: ص.192.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وحين يأتي بالدليل الصادق على ما وصف به العرب بالبلاغة وأصنافها من الشعر والنثر فيقول: (ونحن... أبقاك الله، إذا ادَّعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز، ومن النثور والأسجاع... فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة،... والرونق العجيب، الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير...)[1].

يشك الجاحظ في مصداقية الرسائل التي كانت تأتي من الفرس، فمن يعلم بصحتها، وأنها غير مصنوعة وقديمة غير مولدة، ويوجد أمثال ابن المقفع[2] (ت 146هـ) وسهل بن هارون[3] (ت 215هـ) وغيرهما: (ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي كانت بأيدي الناس للفرس، أنها صحيحة غير متنوعة، وقديمة غير مولدة، إذ كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون، وأبي عبيد الله، وعبد الحميد[4] وغيلان[5]، يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل، ويصنعوا مثل تلك السِّير) [6]، وفي مقابل شكه في مصداقية رسائل الفرس المختلفة، فهو يعطينا مثالا صريحا عن بيان العرب وخطابتها، إذ يؤكد فصاحة العرب باعتراف الشعوبيين أنفسهم، إذا دخلوا بلاد الأعراب الخلص: (وأخرى أنك متى أخذت بيد الشعوبي فأدخلته بلاد الأعراب الخلّص، ومعدن الفصاحة التامة... علم أن ذلك الذي قلت هو الحق...)[7].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 48/3.

(2)-ابن المقفع: اسمه بالفارسية روزبه، وهو عبد الله بن المقفع، أصله من حوز مدينة من كورفارس، وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس، منها كتاب كليلة ودمنة، وكتاب الأدب الصغير، (الفهرست، تحقيق: شيخ إبراهيم رمضان، ص150).

(3)-سهل بن هارون: شعوبي فارسي الأصل، عاصر المأمون وكتب له، صاحب بيت الحكمة، شديد العصبية على العرب، له في ذلك كتب. عمل رسالة في مدح البخل، (الفهرست، ص.151).

(4)-عبد الحميد الكاتب: الكاتب المشهور، توفي مقتولا في وقعة مروان بن محمد الاموي سنة (132هـ) له رسائل تزيد على ألف ورقة. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ت: إحسان عباس، ج3، ص228)

(5)-غيلان بن مسلم الدمشقي (أبو مروان) كان من بلغاء الكتاب، قيل إنه ثاني من تكلم بالقدر بعد معبد الجهني، (البغدادي، الفرق بين الفرق، ت: محي الدين عبد الحميد).

(6)-الجاحظ: المصدر السابق: 29/3.

(7)-المصدر نفسه: 29/3.

ورغم كل هذا يعترف الجاحظ بكل أمانة وموضوعية بأن الخطب عبر التاريخ لا تنسب إلا للعرب والفرس، -رغم تنكّره لرسالتها- فيقول: (وجملة القول: أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس، فأما الهند فإنما لهم معانٍ مدونة، وكتب مخلّدة، لا تضاف إلى رجل معروف، ولا إلى عالم موصوف، وإنما هي كتب متوارثة، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة) [1].

فدفاع الجاحظ عن العصا من خلال احتجاجه لبعض استعمالاتها عند الأنبياء بصفة خاصة، والعرب بصفة عامة، يؤكد جانبا هاما من جوانب البيان الشفاهي، الذي يُعدّ أس الصناعة الكلامية، التي قدحت فيها الشعوبية، فلم تترك من أمرها شيئا، مدّعية أفضلية الأعاجم على العرب وفضلهم في جميع المجالات.

(1) -الجاحظ: البيان والتبيين. 3 / 26

المبحث الثالث: المنحى الأدبي والفني

إذا اعتبرنا البيان تعبيرا جميلا عن فكرة ما، فهو رسالة سامية ارتبطت بالأدب وفنونه، كما ارتبطت بالدلالة وجمالياتها. وارتباط البيان بهاتين الدعامتين جعله في أسمى مراتب القول وأعلاها.

1-البلاغة وعلاقتها بفن البيان:

لقد كانت البلاغة العربية منذ نشأتها الأولى، متصلة بالحركة العلمية التي عرفها القرن الثالث الهجري، حيث اهتم بالجمع والتدوين والتأليف للرسائل اللغوية والمختارات الشعرية والنثرية. بعدما كانت قد بدأت بتعريفات متفرقة عند الأوائل أمثال: ابن المقفع (ت146هـ) ، وجعفر بن يحيى (ت 187هـ)، والعتابي (ت 208هـ)، أبي عبيدة (ت209هـ)، وغيرهم. وقد دوّن الجاحظ (ت 255هـ) في بيانه هذه الملاحظات على لسان أصحابها:

ففي نص لجعفر بن يحي (ت 187هـ) يسأله تمامة بن الأشرس (ت 216هـ) عن البيان فيقول: (أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلي عن مغزاك،... وأن يكون سليما من التكلّف، بعيدا من سوء الصنعة، بريئا من التعقد...)[1].

فالبلاغة هنا جاءت مرادفة للبيان، الذي يعني بلاغة الكلمة السليمة من العيوب كالتعقيد والتكلف. «لذا أصبحت هذه البلاغة عند الجاحظ تسمى مجازا بالبيان وذلك على سبيل تسمية الجزء باسم الكلّ -وهذا النص- خير شاهد على استعمال لفظة البيان مرادفة للفظة البلاغة الكلامية»[2].

كما كان لمفهوم البلاغة والبيان عند العتابي (ت 208هـ)، معنى خاص في قوله: (كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبْسة ولا استعانة فهو بليغ...)[3]. فشرط البلاغة أن يكون صاحبها خاليا من العيوب الكلامية، التي قد تعيقه على الإفهام.

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 106/1.

(2)-ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ: دار العلم للملايين، ط.1، بيروت، 1974، ص. 38-39.

(3)-الجاحظ: المصدر السابق: 113/1.

وهاهو بشر بن المعتمر[1] (ت 210هـ) يشرح قول العتابي بدقة أكثر، إذ يقول: «من زعم أن البلاغة أن يكون السامع فهم معنى القائل، فسيذهب إلى كل الناس خاصتها وعامتها، فجعل الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانة،والملحون والمُعْرب كلّه سواء وكلّه بيانا، وإنما عنى العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب والفصحاء»[2].

فالنص يظهر لنا أثر الشفاهية في البلاغة العربية. والبيان هو هذه المفردات المرادفة للفصاحة والصواب والإبانة والإعراب، فالعتابي لا يريد في كلامه مجرّد الإفهام، وإنما يريد الإفهام بفصاحة الألفاظ، مع ما يتمتع به البليغ من قدرة على الاحتجاج وبراعة في التصوير، «فهو يجعل البليغ الكامل من يستطيع أن يزيل الحجاب عن غوامض الأفكار ويكشف عن خباياها بما يسلط عليها من أشعة بيانه...»[3].

«وواضح من النصوص السابقة الإحساس بوجود مستويين من الكلام، أحدهما قاصر على مجرد الإفهام أو التوصيل، ولا يستخدم من عناصر اللغة إلا القدر الضروري، والآخر يتجاوز هذه المهمة ويتأنق في استخدام اللغة، على نحو خاص من جهة أخرى»[4]، فالعتابي يرى نوعين من البلاغة: «بلاغة لسانية وعرّفها بقوله: (كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة)[5]»[6]. وبوسائل أخرى غير لسانية وهي بلاغة فنية وصفها»[7] بجودة التصوير.

---

[1]-بشر بن المعتمد: من الشخصيات القوية في عالم الأدب وعالم الاعتزال، إذ هو زعيم المعتزلة في بغداد، كان نخاسا في الرقيق، انفرد عن أصحابه المعتزلة في عدد من المسائل توفي سنة 210هـ. (العقد الفريد: ابن عبد ربه: ج4، ص55).

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين: 162/1.

[3]-شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ: دار المعارف، ط.8، ص.40.

[4]-عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي: مكتبة الخانجي، مصر، ص.27-28.

[5]-الجاحظ: المصدر السابق: 113/1.

[6]-محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية عند الجاحظ: ص.242.

[7]-المرجع نفسه: ص.242.

أما ابن المقفع[1] (ت 146هـ) فقد أضاف للبلاغة معاني جديدة تجري في وجوه كثيرة «فالسكوت مثلا يسمى مجازا، وهو في حالة لا ينجح فيها القول ولا ينفع فيها إقامة الحجج، وإمّا عند جاهل لا يفهم الخطاب، أو عند وضيع لا يرتقب الجواب، وإذا كان الكلام يعرى من الخير، أو يجلب الشر فالسكون أولى»[2]، لأن شرطه الاحتجاج، وأجناسه متنوعة كالرسائل والخطب والأشعار، مع ما تفيده الأبواب الأخرى للبلاغة من وحي وإشارة وإيجاز.

فالبيان الذي سأل عنه ثمامة بن الأشرس (ت 213هـ)، كان مرادفا لبلاغة الكلمة السليمة، حيث يجب أن تكون خالية من عيوب التعقيد والتكليف، وليس كل من يستطيع أن يُفهم حاجته ببلاغته فهو مبين، لأن شرط الإبانة لا يزال عالقا ما لم تسلم المفردات من عيوبها النطقية، كالحبسة واللحن وغيرها. فشرط المفردات أن تكون مرادفة للفصاحة والصواب والإبانة وحسن الإعراب. وهنا يظهر الفرق بين لغتين: -لغة يقصد بها الفهم والإفهام وهي لغة تجري بها الأحداث العادية. ولغة أخرى تتجاوز الإفهام إلى ما وراءه من الحسن والإثارة وهي اللغة البلاغية أو الأدبية، التي تعددت أصنافها، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاحتجاج، وقد تدخل في باب الوحي والإشارة والإيجاز.

هذا؛ وإن لمراعاة السياق أو المقام أهمية أخرى في إحراز منفعة الكلام من طرف المتكلم والسامع، وفي هذا المعنى يقول بشر بن المعتمر (ت 210هـ): (والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال)[3].

ولإحراز المنفعة كما ادّعى بشر بن المعتمر (ت 210هـ) وضع الدارسون والنقاد شروطا للمتلقي وأخرى للمتكلم، يجب مراعاتها:

---

(1)-النص المتعلق بابن المقفع موجود في البيان والتبيين: 1/115-116.

(2)-أبو هلال العسكري: الصناعتين: ت: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص.14.

(3)-الجاحظ: البيان والتبيين: 1/135-136.

1-مراعاة الحالة الاجتماعية للسامع، وكذا النفسية منها كي يحدث التفاعل.

2-شخصية المبدع أو المتكلم لوقوع التأثير في نفس السّامع.

وقد تعرّض الجاحظ في بيانه، لأهمية حسن الحديث مع حسن الاستماع بقوله: (نشاط القائل على قدر فهم المستمع) [1]، ويقول أيضا: (لا يمكن تمام الفهم إلا مع تمام فراغ البال)[2]، ويقول: (سوء الاستماع نفاق) [3]، وقوله: (وقد لا يفهم المستمع إلا بالتفهم) [4].

2-اللسان:

وهو أداة البيان الأساسية، إذ يحقق غرض التواصل بين الناس. لهذا يشترط الجاحظ في بيانه أن يكون اللّسان خاليا من العيوب النطقية ليتحقق شرط البيان، وقد تحدث عن هذه العيوب مجتمعة. ارتبط بعضها بالعيوب البيانية، والأخرى بالعيوب النطقية في الحروف:

أ-العيوب البيانية: هي عند الجاحظ تنحصر في النقاط التالية[5]:

1-سلاطة[6] اللسان عند المنازعة.

2-سقطاب الخطل[7] يوم إطالة الخطبة.

3-العيي[8] من اختلال الحجة.

4-الحصر[9] من فوت درك الحاجة.

5-من استولى على بيانه العجز[10].

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 40/1.

(2)-المصدر نفسه: 41/1.

(3)-المصدر نفسه: 42/1.

(4)-المصدر نفسه: 42/1.

(5)-المصدر نفسه: 12/1.

(6)-السلاطة: حدة اللسان والصخب. (انظر: اللسان، مادة سلط، ج3، ص2065).

(7)-الخطل: الذي كلما تكلم زاد عن المقدار و لم يصبه. (اللسان، مادة خطل، ج2، ص1203).

(8)-العيي: العجز في النطق، وعدم القدرة على بيان المراد. (اللسان، مادة عيي، ج4، ص3201).

(9)-الحصر: العي في المنطق وعدم القدرة على القراءة. (اللسان، مادة حصر، ج2، ص869).

(10)-العجز: هو عدم القدرة على البيان المطلوب، لقصور ما في جهاز النطق أو قدرات العقل. (اللسان، مادة عجز، ج4، ص2817).

6-المفحم[1] عند الشعراء.

7-البكيء[2] عند الخطباء.

8-المسهب[3] الثرثار والخطل المكثار.

وهو في موضع آخر يصف حال اللسن فيقول: (ويقال في لسانه حُبسة[4]، إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حدّ الفأفاء والتمتام...)[5]. وقوله أيضا: (وسأل الله ﷻ موسى بن عمران عليه السلام حين بعثه الله إلى فرعون بإبلاغ رسالته، والإبانة عن حجته، والإفصاح عن أدلته، فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسنه والحُبسة التي كانت في بيانه: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [6])[7].

ب-عيوب النطق بالحروف: وذلك في قوله: (... وليس **اللجلاج**[8] **والتمتام**[9] **والألثغ**[10] **والفأفاء**[11] وذو الحُبسة والحُكلة[12] والرتّة[13] وذو **اللفف**[14] **والعجلة**[15]، في سبيل

(1)-المفحم: الذي لا يقول الشعر. (اللسان، مادة فحم، ج5، ص3359).

(2)-البكيء: معناها في الأصل: القلة وتستعمل للدلالة على حالات العجز عن التصرف بالكلام قولا وخطابة. (اللسان، مادة بكأ، ج1، ص332).

(3)-المسهب: هو الباسط للكلام المتوسع فيه بلا موجب أو مقتض فكأنه ذاهب العقل من شدة تمكن العادة. (اللسان، مادة سهب، ج3، ص2065).

(4)-الحُبسة: آفة اللسان يعسر معها الكلام ويثقل القول. (اللسان، مادة حبس، ج2، ص752).

(5)-الجاحظ: البيان والتبيين، 1/40.

(6)- طه، [27-28].

(7)-الجاحظ: المصدر السابق، 1/7.

(8)-اللجلاج: المتردد في الكلام، والذي يتصف بثقل اللسان. (اللسان، مادة لجج، ج5، ص4000).

(9)-التمتام: ترديد التاء في الكلام. (اللسان، مادة تمم، ج1، ص449).

(10)-الألثغ: عيب من عيوب النطق يقوم على العجز عن إخراج بعض الحروف واستبدال غيرها بها. (اللسان،مادة لثغ، ج5، ص3995).

(11)-الفأفاء: ترديد الفاء في الكلام. (اللسان، مادة فأفأة، ج5، ص3335).

(12)-الحكلة: عيب في النطق يختلط فيه اللفظ حتى ليعسر وتستبهم معانيه. (اللسان، مادة حكل، ج2، ص951).

(13)-الرتة: العجمة في اللسان. (اللسان، مادة رتت، ج3، ص1575).

(14)-ذو اللفف: عيي بطيء في الكلام، إذا تكلم ملأ لسانه فمه. (اللسان، مادة لفف، ج5، ص4054).

(15)-العُجلة: آفة السرعة في تأليف الحروف وسَوْق الكلام مما يجعل الكلام غير واضح ولا مفهوم. (اللسان، مادة عجل، ج4، ص2821).

الحصر في خطبته والعيي في مناضلة خصومه...)[1]. فالعيي والحصر هما أكثر مضرة من سلاطة اللسان عند المنازعة والمخاصمة، لأن العي والحصر أعظم العيوب التي يمكن أن يُعيَّر بها صاحب الكلام: «فكلاهما يقوم على فقدان التماسك النفسي لدى الخطيب. وعلى اضطراب ذهنه وتبلبل بيانه، نتيجة لما يعتريه من الخجل والانبهار أمام الجمع الحاشد، وكلاهما في نظره عيب مذموم، وآفة يستنكرها الناس مثلما يستنكرون الثرثرة والهذر. على أن اللوم في الحصر والعي أشد منه في عاهة الخرس والعجز الطبيعي عن النطق، ويصبح أشد وأعنف إذا ما تكلف الحصر والعيي، مع ذلك مقامات الخطباء...»[2].

يتحدث الجاحظ في موضع آخر عن عيوب الخطيب، وما يعتري كلامه من أخطاء قد تفسد عليه خطبته. (ثم اعلم –أبقاك الله– أن صاحب التشديق[3] والتقعير[4] والتقعيب[5] من الخطباء والبلغاء، مع سماحة التكلف وشنعة التزيد، أعذر من عيّ يتكلف الخطابة...)[6].

ثم إنه يجب على هذا اللسان أن يكون سليما من اللحن الذي تفشى في الدولة العباسية، نظرا لتوافد الثقافات الأخرى واحتكاك العرب بهذه الأمم، إذ بدأ فساد اللّسان ينتشر، والأخطاء تزيد وذلك على مستوى الحروف والكلمات والجمل. والمقصود باللحن عند الجاحظ: «ذلك التحريف الذي يُصاب به الكلام فيشذ عن قواعد الصرف والنحو، ولاسيما الإعراب، ويشذ أيضا عن أصولية النطق العربي واللفظ الصحيح، وذلك بتأثير الاحتكاك بين العرب والأعاجم، خاصة في المدن، مما يبعد اللغة العربية عن قواعدها وأصولها الأساسية»[7]، يقول: (ومتى سمعت –حفظك الله– بنادرة من كلام الأعراب، فإياك أن تحكيها

---

(1)–الجاحظ: البيان والتبين، 12/1.

(2)–ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ: ص.55.

(3)–التشديق: تكلف البلاغة. (اللسان، مادة شدق، ج4، ص2217).

(4)–التقعير: تكلف الكلام بأقصى قعر حلقة: على مذهب الأعراب. (اللسان، مادة قعر، ج5، ص3691).

(5)–التقعيب: أن يخرج الكلام من فمه كالعقب (تقصير الكلام). (اللسان، مادة قعب، ج5، ص3685).

(6)–الجاحظ: المصدر السابق، 12/1–13.

(7)–ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ: ص.75.

إلا مع إعرابها، ومخارج ألفاظها، فإنك إن غيرتها بأن غيرت في إعرابها... خرجت من تلك الحكاية...)[1]. فاللحن يقع في إعراب الكلمة وفي مخرج ألفاظها.

وهو في موضع آخر يبين لنا أصناف اللحن، والأماكن التي تكثر فيها هذه الظـاهرة: (ثم اعلم أن أقبح اللحن، لحن أصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط[2] والجـهورة[3]، وأقبح من ذلك لحن الأعاريب النازلين على طرف السابلة، وبقرب مجامع الأسواق) [4].

وقد اشتهر اللحن عند أهل المدينة: (...ولأهل المدينة ألسن ذلقـة، وألفـاظ حسـنة، وعبارة جيدة، واللحن في عوامهم فاشٍ...) [5].

وفي "البيان" باب خاص هو "باب اللحن"، تعرّض فيه الجاحظ لبعض أشكال اللحن في كلام العرب:

1-اللكنة: ناجمة عن تداخل الحروف الأعجمية في الحروف العربية، وقـد عرّفـها الجاحظ بقوله: (يقال في لسانه لكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العـرب) [6]. ومثالها في البيان قوله: (أبو الحسن قال: أوفد زياد عبيد الله بن زياد إلى معاوية، فكتب إليـه معاوية: «إن إبنك كما وصفت ولكن قوِّم من لسانه» وكانت في عبيد الله لكنـة) [7]. وهـذه اللكنة ناجمة عن العجز عن التلفظ ببعض حركات الحروف: (وقال مسلم بن سلام: حدّثنـي أبان بن عثمان (ت 105هـ) قال: كان زياد النبطي أخو حسّان النبطيّ، شديد اللُّكنة، وكـان نحويٌّ. قال: وكان بخيلاء، ودعا غلامه ثلاثا فلما أجابه قال: فمن لدنْ دأوتُكَ إلى أن قلت لبّـى ما كنت تصنأ؟ يريد: من لدُن دعوتك إلى أن أجبتني ما كنت تصنع) [8] فقد وُضع حرف

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 146/1.

(2)-التمطيط: هو التصنع في النطق لجهة المدّ في الشعر وتنغيم الحروف والكلمات. (اللسان، مادة مطط، ج6، ص4225).

(3)-الجهورة: مصدر جهور: رفع الصوت وأعلنه. (اللسان، مادة جهر، ج1، ص410).

(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 147/1.

(5)-المصدر نفسه: 147/1.

(6)-المصدر نفسه: 40/1.

(7)-المصدر نفسه: 210/2.

(8)-المصدر نفسه: 212/1.

"الألف" بدل "العين" لصعوبة النطق به.

2-الخطأ في نطق الحروف: سواء كانت حروف القرآن الكريم أو حروف الكلمات.

ا-في حروف القرآن: قوله: (وغلط الحسن في حرفين من القرآن مثل قولـــه: ﴿ ص وَالقُرْآنُ ﴾ [1]، والحرف الآخر: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونَ ﴾ [2])[3].

وقوله: (أبو الحسن قال: كان سابق الأعمـــى يقــرأ: ﴿ هُــوَ اللَّــهُ الخَــالِقُ البَــارِئُ المُصَوَّرُ ﴾[4]، فكان ابن جابان إذا لقيه قال: يا سابق، ما فعل الحرف الذي تشرك بالله فيـــه؟، قال: وقرأ: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا المُشرِكِينَ حَتَّى يُؤمِنُوا ﴾ [5]. قال ابن جابان: وإن آمنوا أيضـــا لـــم ننكحهم) [6].

ب-الخطأ في حرف من حروف الكلمة: قوله: (وزعم يزيد مولى بن عون، قال: كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء، فكان إذا دعاها قال: يا ضميا، بالضاد، فقـــال ابـــن المقفع: قال: يا ظَمياء، فناداها يا ضَمياء، فلما غيّر عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثا قال لــــه: هي جاريتي أو جاريتك) [7].

3-العجز عن لفظ بعض الكلمات، وعن تهجئتها وكتابتها، قوله: (وكان محمد بـــن الجهم ولّى المكّي صاحب النظام، موضعا من مواضع كسكر، وكان المكـــي لا يحســـن أن يسمّي ذلك المكان ولا يتهجّاه، ولا يكتبه، وكان اسم ذلك الموضع شانقا) [8].

---

[1]- ص، [1] والصواب: ﴿ ص وَالقُرْآنِ ﴾

[2]- الشعراء، [210]، والصواب: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾

[3]-الجاحظ، البيان والتبيين، 219/2.

[4]- الحشر، [24]، والصواب : ﴿ هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ ﴾

[5]- البقرة، [221]، والصواب: ﴿ وَلَا تُنكِحُوا المُشرِكِينَ حَتَّى يُؤمِنُوا ﴾

[6]-الجاحظ، المصدر السابق، 219/2.

[7]-المصدر نفسه، 211/2.

[8]-المصدر نفسه، 211/2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقوله أيضا: (وقال يوسف بن خالد السَمْتيّ، لعمرو بن عبيد: ما تقول فـــي دجاجــة ذبحت من قفائها؟ قال له عمرو: أحْسِن. قال: من قفاؤُها. قال: أحسن. قال: من قفاءَها. قال عمرو: ما عنّاك بهذا؟ قل: من قفاها واسترح) [1].

4-الخطأ في الإعراب: وهو أشد قبحا من جميع أصنــــاف الكــلام الملحــون، لأن العربي كان يعده هُجنة (فكان يقال:... اللحن في المنطق أقبح من آثار الجدريّ في الوجه) [2]، إلا أنه انتشر بين العامة والخاصة. يقول الجاحظ: (وقال بشر المريسي (ت 218هـــــ): «وقضى الله لك الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها»، فقال قاسم التّمّار [3]: هذا على قوله:

إن سُلَيْمَى والله يَكْلَؤُهَا ضَنَّتْ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزَؤُهَا

فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بشر) [4].

هذا وقد كان العربي يحرص على أن لا يخطأ الرجل في كلامه، حتى كان الواحــــد منهم يكافئ أخاه على صحة منطقه، قال: (وقتم رجل من النّحويين رجلا إلى السلطان فـــي دَيْن له عليه، فقال: أصلح الله الأمير، لي عليه درهمان. فقال خصمه: لا والله أيها الأمير، إن هي إلا ثلاثة دراهم، ولكن لظهور الإعراب ترك من حقه درهما) [5].

5-الخطأ في وضع اللفظ المناسب للمعنى المناسب: كان العربي يحرص علـــى مناسبة اللفظ للمعنى، وخاصة النظام (ت 220هـــ)، وهو أستاذ الجاحظ الذي يقـــول علـــى لسانه: (وقال إبراهيم بن سيار (وهو النظام (ت 220هــ)): أنا لا أقول متُّ قبلك، لأنّـــي إذا قلت مت قبلك مات هو بعدي، ولكن أقول مِتُّ بدلك) [6].

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 2/211-212.

(2)-المصدر نفسه: 2/216.

(3)-البيت من المنسرح، وصاحبه هو أبو عبد الرحمن المريسي، كان بارعا في الفقه، وكان رأس الجهميـــة، رمـــاه الأئمـــة بالكفر. (والبيت مذكور في عيون الأخبار، ط1، مصر، 1982، ج2، ص158).

(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 2/212.

(5)-المصدر نفسه: 2/218.

(6)-المصدر نفسه: 2/215.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6-التشديق والتفخيم والتعقيب:

أ-التشديق: «وهو طريقة في النطق مستكرهة تقوم على المغالاة في استغلال دور الفكّين والشدقين في تقطيع الحروف وتأليف الكلمات»[1]، (قال يحيى بن نوفل[2]:

وأَلْحَنُ النَّاسْ كُلُّ النَّاسْ قَاطِبَةً   وكَانَ يُولَعُ بالتَّشْدِيقْ فِي الخُطَبِ) [3].

ب-التفخيم: «طريقة في النطق متصنعة»[4]. وهي شبيهة بالتشديق، وقبيحة مستكرهة، (كان سليمان بن عبد الملك يقول: المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث يفخِّم اللحن كما يفخّم نافع بن جُبَيْر الإعراب...)[5].

جـ-التقعيب: «يقوم هذا العيب على استدارة الفم والشفاه عند النطق»[6].

(وقال خلف الأحمر (ت 180هـ)

وفرقَعَهُنَ بتَقعيبه   كَفَرْقَعَةِ الرَّعْدِ بيْنَ السَّحَابِ[7]) [8].

هذه بعض أشكال اللحن المذكورة في البيان والتبين، وقد أحصى الجاحظ عددا من اللحّانين الذين يتصفون بفساد اللسان، فتحدث عن اللثغة، وأفرد بابا كاملا سماه "باب في العيي".

فاللسان إذن أداة البيان الضروري للاجتماع البشري، وشرط المتكلم المبين، وما يعترّي اللسان من عيوب نطقيه وبيانية هي حالات خطيرة مضرة بالبيان، يجب اجتنابها و...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ: ص.77.

(2)-يحي بن نوفل: شاعر من شعراء الدولة الأموية، والبيت ينتمي إلى البحر البسيط. (الشاعر مذكور في الأغاني، الأصفهاني، دار الفكر، بيروت، ج4، ص54).

(3)-الجاحظ: البيان والتبين: 216/2.

(4)-ميشال عاصي: المرجع السابق: ص.78.

(5)-الجاحظ: المصدر السابق: 217/2.

(6)-ميشال عاصي: المرجع السابق: ص.79.

(7)-البيت يُنسب للميساني، وهو من المتقارب.

(8)-الجاحظ: المصدر السابق: 218/2.

2-الدلالة:

علم الدلالة[1]: هو العلم الذي يدرس المعنى على مستوى الكلمة المفردة أو على مستوى التركيب، أي يهتم بالمعنى من الجانب اللغوي، فيدرس اللغة من حيث دلالتها، أما الدلالة: «فهي الأداة التي يستعملها المرء للتعبير عن معانيه مهما كان جنسها ونوعها»[2].

1-الدلالة عند الجاحظ:

الدلالة عند الجاحظ (ت 255هـ) هي ذلك البيان الذي دافع عنه في كتابه، وهو المقصود من كلام الله تعالى في القرآن الكريم، وبه تفاخر العرب، وتفاضل أصناف العجم؛ لأنّه وسيلة أخرى لإيصال المعنى بأحد هذه الأدوات التي تدعى "أصناف الدلالات على المعنى"، وتقع هذه الأصناف في خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، منها اللفظية، وغير اللفظية.

أ-الدلالات اللفظية: هي تلك العلامات اللسانية التي ارتبطت بعلم الدلالة؛ لأنها تعلقت باللغة وقضاياها سواء على مستوى الكلمة، أو على مستوى التركيب.

والمقصود بالدلالة هنا هو أن تكون الكلمة المتكونة من أصوات وحروف دالة على معنى معين، فتُطلق هذه الدلالة على اللفظ الحامل لهذا المعنى.

ب-الدلالات غير اللفظية: هي تلك العلامات غير اللسانية، التي تهتم بأشكال التعبير غير اللساني وهي المرتبة في البيان بقوله: «الإشارة، العقد، والحال»[3]، وهذه الدلالات تحدثت عنها الدراسات الغربية[4] في التعبير غير اللساني، باستعمال علامات أخرى كالعلامات الشمية، والذوقية إلى العلامات الأكثر استعمالا كالعلامات السمعية- البصرية، والعلامات الإشارية...

---

(1)-رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب، القاهرة، ص.11.

(2)-علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط.2، بيروت، 1988، ص.30.

(3)-الجاحظ: البيان والتبيين، 76/1.

(4)-برنار توسان: ماهية السيميولوجيا، ترجمة: محمد نظيف، طبعة إفريقيا للشرق، ط.2، لبنان، ص.20-21.

أما غرض البيان الحقيقي بهذا المفهوم فإنه: (اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى... كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع) [1]. فمدار الأمر الذي يجري فيه البيان يكون بالعناصر التالية: القائل والسامع، الفهم والإفهام، وسيلة التبليغ.

فالقائل والسامع، هما العنصران الأساسيان في التواصل؛ إذ أن القائل هو المتكلم الذي يعبّر باللغة أو بغيرها لغرض توصيل المعنى، أما السامع فهو المتلقي لهذه الأفكار والعواطف والمعاني التي تصل إليه.

والفهم والإفهام: يتجلى في هذا الخطاب الذي يُرسل من طرف المتكلم إلى السامع.

أما وسيلة التبليغ: هي تلك التي عبّر عنها الجاحظ بقوله: (فبأي شيء بلغت الإفهام[2]، وأوضحت المعنى[3]، فذلك هو البيان) [4]. وهذان العنصران هما اللذان يحددان غرض البيان الذي يقصد إليه الجاحظ، «فالبيان عند الجاحظ إذن لا يدخل في المباحث البلاغية بقدر دخوله في المباحث الدلالية والسيميائية[5] بالمفهوم الحديث للمصطلحين، فالبحث الدلالي الحديث لا يقف عند مستوى المفردات أو المعجم اللغوي، بل يبحث عن المعنى الذي هو المقصد من إنتاج المتكلم للسلسلة الكلامية، بدءا من الأصوات وانتهاء بالمعجم مرورا بالبناء الصرفي، وقواعد التركيب، وما يضاف إلى ذلك من معطيات المقام، والمعنى الاجتماعي والثقافي...» [6].

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 76/1.

(2)-فبأي شيء بلغت الإفهام: حدود البلاغة وما يقع فيها من أساليب التبليغ الموضحة في البيان.

(3)-وأوضحت عن المعنى: حدود الدلالة التي تتميز بوسائلها الخمسة من خط ولفظ وعقد وإشارة ونصبة.

(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 76/1.

(5)-السيميائية: علم حديث متشعب المجالات يهتم بدراسة المعنى. (للتفصيل أكثر، انظر: كتاب ماهية السيميولوجيا لبيرنار توسان).

(6)-عبد الله بوخلخال: "البيان والدلالة عند الجاحظ": تلمسان، 1996، ص.2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-أصناف الدلالات على المعاني:

1-اللفظ: هو أداة البيان الضروري، وهو «مجموعة من أصوات تخرج من الفم بفضل حركات اللسان والفكين والشفتين تأتلف مقاطع ثم كلمات ثم جملا منثورة أو موزونة»[1]. وأهم صفات اللفظ الفني يُعرف بها: الصوت واللسان والرمز.

أ-الصوت: يعرّف الجاحظ الصوت تعريفا دقيقا فيقول: (والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت،ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف...)[2].

فالصوت يُعدّ أداة اللفظ، ويبين الحركات اللسانية التي تتشكل بالحروف فتُصدر الألفاظ أو الكلمات. وهناك علاقة كبيرة بين الحركات والألفاظ والحروف، فحركات اللسان تكون باستخدام الصوت وشرطه أن يكون جهورا، أما الحركات فتتشكل منها الألفاظ، والحروف يتشكل منها الكلام بالتقطيع والتأليف، فالتقطيع يقع على مستوى الجمل والعبارات، ويأتي «بمعنى الكلام على كونه إحدى الدلالات الخمس... ويذهب الجاحظ مع أرسطو (ت 322ق.م) الذي يدعوه بصاحب المنطق إلى اعتبار أن ميزة الإنسان وخاصته الأساسية التي بها يتحدد نوعيا هي قدرته على الكلام والإبانة عن نفسه بالألفاظ»[3].

وأهم الشروط المميزة للفظ ابتداءً من الصوت فالحروف فالألفاظ هي:

1-شرط الصوت أن يكون مجهورا مكمّلا للحروف مع فصاحتها، وموزونا وسهل المخرج ليتم البيان، يقول الجاحظ: (... وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك من أكثر ما تُستمال به القلوب وتثنى به الأعناق...)[4].

---

(1)-علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ: ص.241.

(2)-الجاحظ: البيان والتبيين: 1/79.

(3)-ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ: ص.69.

(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 1/14.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويقول في موضع آخر: (... ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام أبو حذيفة[1] إسقاط الراء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقه...)[2].

2-اقتران الحروف: وهي اقترابها فيما بينها حسب مخارجها المشتركة بينها. والاقتران في تفسير الجاحظ هو "التشابه والموافقة"[3]، «وإن الأمثلة التي أوردها، للاستدلال على هذا الباب، دليل على أن المقصود تجنب الجمع بين الحروف المتنافرة من جهة المخرج أو الصفات»[4]، يقول: (فأما في اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين، بتقديم ولا بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال، بتقديم ولا بتأخير، وهذا باب كبير، وقد يُكتفى بذكر القليل حتى يُستدل به على الغاية التي إليها يُجرى...»[5].

3-اقتران الألفاظ: ويقصد به تآلف العبارات فيما بينها وتوافقها، مع تجاورها بحيث لا تحس بغرابتها: (وقوله: كبعر الكبش... فإنما ذهب إلى أن بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، تراها متفقة ملسًا، وليّنة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة... والأخرى تراها سهلة ليّنة، ورطبة مواتية سلسة النظام، خفيفة على اللسان؛ حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد)[6]. فحسن التلفظ بالكلمات والعبارات هو دلالة الإبانة في التعبير، لهذا فإن أهم المقومات الأساسية للفظ المبين: جهارة الصوت والمنطق، سهولة المخرج والصفات مع فصاحة الحروف والكلمات.

---

(1)-أبو حذيفة: هو واصل بن عطاء المعتزلي (80-131هـ). (وفيات الأعيان، ج6، ص7).

(2)-الجاحظ: البيان والتبيين: 15/1.

(3)-المصدر نفسه: 206/1.

(4)-حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السادس: ص.266.

(5)-الجاحظ: المصدر السابق: 69/1-70.

(6)-المصدر نفسه: 67/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب-اللّسان: هو وسيلة اللفظ، إذ يستطيع أن يعبِّر عمّا يختلج بداخل الفرد من مشاعر وآلام وآمال وآراء، وخطب ومواعظ، فيُظهرُ حجة صاحبه في بلاغته وبراعته وقوته في البيان، وهذا اللسان له مميزات وخصائص تظهر في تميّز صاحبه الذي يحتاج إليه، وهو الإنسان دون غيره من الكائنات الأخرى. فاللسان يحتاج إلى قدرة لفظية في النطق، مع قدرات عقلية وأخرى تدريبية تتعهد بالرعاية والتوجيه، وبالممارسة الدائمة. وها هو الجاحظ يورد لنا قول صفوان: (ما الإنسان لولا اللّسان إلا ضالة مهملة، أو بهيمة مرسلة، أو صورة ممثلة) [1].

كما يعدّ اللسان أسلوبا حضاريا، إذ ينقل لنا التراث الجماعي للأمة، خاصة تلك التي تمتاز بالبيان والبلاغة والبراعة في الكلام، وقد تمثلتها الأمة العربية أحسن تمثيل، إذ خلدت كتب التاريخ جولاتها الفكرية والدينية... والبيان والتبيين حافل بهذه الأخبار التي تشيد بأمة اللسان، وتؤكد دوره رغم اقتصاره على الحاضر دون الغائب (... وقالوا اللسان مقصور على القريب الحاضر... واللسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره) [2].

جـ-الرمز: صفة أخرى للفظ، «وفي الحق أن الألفاظ لا تعدو في حقيقتها أن تكون بمثابة الرموز على الدلالات... وقد كان من الممكن أن يعبّر عن المعاني برموز غير صوتية كالإشارة مثلا، ولكن الإنسان بدا منذ أمد بعيد جدًّا يتخذ من أصواته رموزا للتعبير عمّا يخطر في ذهنه، واستغل في هذا ما يسمّى بجهاز النطق...»[3]. وقد اهتم أرسطو (ت 322ق.م) بالألفاظ وجعلها رموزا للمعاني، «ووسيلة للمحاكاة، وهي المادة التي تُصَاغ منها الاستعارات، فهي متفاوتة فيما بينها، من جميلة وقبيحة...»[4]. وهذه الآراء اعتمدها الجاحظ في بيانه، لهذا اشترط في البلاغة ترك الإفصاح بالكلام إلى الكناية عنه، وأحسن تمثيل لهذا قوله: (...ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 353/1.

[2]-المصدر نفسه: 80/1.

[3]-إبراهيم أنيس: "الألفاظ ومعانيها": مجلة العربي: م.1، ع."99"، الكويت، 1967، ص.132.

[4]-محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث: نهضة مصر للنشر والتوزيع، ص.253.

عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحًا أبلغ في الدرك وأحق بالظفر...)[1]. وقوله في موضع آخر: (... بل رُبَّ كناية تربي على إفصاح، ولحظ يدل على ضمير، وإن كان ذلك الضمير بعيد الغاية، قائما على النهاية) [2].

2-الخط: لدلالة الخط منافع كثيرة: (...فما ذكر الله ﷻ في كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب، قوله لنبيّه ﷺ: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ [3]. وأقسم به في كتابه المنزل، على نبيِّه المرسل، حيث قال: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [4]، ولذلك قالوا: القلم أحد اللسانين، كما قالوا: قلة العيال أحد اليسارين، وقالوا: القلم أبقى أثرا، واللسان أكثر هذرًا) [5].

فالآية الأولى تدل دلالة قاطعة على ضرورة استعمال القلم، لهذا أقسم الله تعالى به في كتابه العزيز، بعدّه وسيلة أخرى للبيان، والخط عند الجاحظ «يعني تعلم كتابه الكلام وتدوينه، ومن فضائل التدوين عدا ما اختص به القرآن من ذكر وتعظيم أن القلم هو أحد اللسانين»[6] على أنه أبقى أثرا لأنه لا يزول بزوال الحديث، كاللسان الذي يزول بزوال الصوت الذي يحضر مع الناطق إن أراد الكلام، لهذا يقول: (القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هَذرًا) [7].

ومن فضائله أيضا أن الإنسان معه قادر على تصحيح كلامه وتنقيح لفظه، في حين أنه لا يستطيع شيئا من هذا مع وسيلة اللفظ: (استعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 1/88-89.

(2)-المصدر نفسه: 2/7.

(3)- العلق، [3-5].

(4)- القلم، [1].

(5)-الجاحظ: المصدر السابق: 1/78-79.

(6)-ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ: ص.44.

(7)-الجاحظ: المصدر السابق: 1/79.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تصحيح الكتاب، من استعمال اللسان على تصحيح الكلام) [1].

يفرق الجاحظ بين اللسان والقلم: إذ أن الأول مقصور على الحاضر والقريب، والثاني مطلق؛ لأنه يخص الحاضر والغائب والبعيد والقريب: (وقالوا: اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، وهو للغابر الحائن مثله للقائم الراهن) [2].

«فالبيان بالكتاب هو الذي يبلغ من بَعُدَ أو غاب، لأن بيان اللّسان مقصور على الشاهد دون الغائب، وعلى الحاضر دون الغابر، وقد ألهم الله لعباده تصوير كلامهم بحروف اصطلحوا عليها، فخلدوا بذلك علومهم لمن بعدهم، وعبروا به عن ألفاظهم، ونالوا به ما بعُدَ عنهم، وكملت بذلك نعمة الله عليهم، ولولا الكتاب الذي قيد على الناس أخبار الماضين لم تجب حجة الأنبياء على من أتى بعدهم، ولا كان النقل يصح عنهم...»[3].

ومن فوائد هذا الخط أنه يتجاوز حيز الزمان والمكان، بينما لا يتعدى اللفظ مجاله المحدود من الزمان والمكان: (والكتاب يقرأ بكل مكان ويدرس في كل زمان، واللّسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره) [4].

فالجاحظ هنا يشير إلى الفروق الموجودة بين اللفظ والخط، وإن كانا متقاربان من حيث المنزلة، لأنه بدون كلام لا يكون هناك تدوين، وبدون تدوين لا يكون هناك موروث جدير "بالحفظ"[5] والعناية.

وقد اهتم الجاحظ بخصائص الرسائل والخطابات المدونة في الكتب بقوله: (...رسائل المرء في كتبه أدل على مقدار عقله، وأصدق شاهدا على غيبه لك، ومعناه فيك، من أصناف

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 80/1.

(2)-المصدر نفسه: 80/1.

(3)-بدوي طبانة: البيان العربي "دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب: مكتبة الأنجلو المصرية، ط.6، ص.112.

(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 80/1.

(5)-يقول الجاحظ عن الحفظ: (...أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث: الحفظ، والرابع: العمل به، والخامس: نشره)، البيان: 333/2.

ذلك على المشافهة والمواجهة) [1] وكذلك قوله: (وقالوا: من صادق الكتاب أغنوه، ومن عاداهم أفقروه...)[2]. فطبيعة المكاتبة في رسائل المرء تتميز بما يأتي:

1-تدل على مقدار عقل الكاتب في كتابته، فهي تجعلك تستطيع تمييز هذا الكاتب عن غيره، لأنك ستكشف عن قدراته العقلية والنفسية والتعبيرية.

2-يستطيع أن يوصل فكرته إليك، فهو «أصدق شاهدًا على غيبه لك»، لأنه راعى حالة القارئ أو المتلقي، حين أنزل قلمه من مستوى الفكرة في ذهنه إلى مستوى الكتابة والتحليل والتبيين، أي من مستوى المعقول إلى مستوى المحسوس.

3-أهمية الكُتاب كبيرة، لأن الاحتكاك بهم يجعل القارئ غنيّ من ناحية الفكر والعقل، والرؤى العميقة، بينما من يعادي الكتاب فهو الفقير حتمًا.

هذا وقد عنت الدراسات الحديثة بالوسائل الخارجية للاتصال بين الناس بنوعيه الشفاهي والكتابي، وقد أظهرت لنا هذه الدراسات الفروق الجوهرية بين هذين الاتصالين: «فهي في الاتصال الشفاهي (الصوت)، بينما في الاتصال الكتابي (الخط)، وثمة فروق جوهرية بينهما: إذ تتصف العلامة الصوتية بالتتابع الزمني، بينما العلامة الخطية بالتتابع المكاني».

«والتتابع الصوتي غير قابل للإرجاع والاستدبار، ذلك أن الصوت لا يوجد إلا عندما يكون في طريقه إلى انعدام الوجود، إنه سريع الزوال بشكل جوهري»[3]، أما «التتابع الخطي، بحكم كونه مثبتا: قابل للإرجاع والاستدبار، كما أنه يحقق من البقاء المادي للرسالة، ما يتيح لها تجاوز حدّيْ الزمان والمكان، بينما هذا غير متاح للاتصال الشفاهي»[4].

وختاما يمكن ربط هذه الفروق بما جاء في "البيان والتبيين" على القلم واللسان:

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 221/1.

[2]-المصدر نفسه: 287/1.

[3]-جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال: دار غريب، القاهرة، ص.63.

[4]-المرجع نفسه: ص.64.

1-تتصف العلامة الصوتية بالتتابع الصوتي والزمني، بينما تتميز العلامة الخطية بالتتابع المكاني: ومثله في البيان: (القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا) [1].

2-التتابع الصوتي غير قابل للإرجاع والاستدبار، بينما التتابع الخطي قابل لهما، ومثله قوله: (استعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على تصحيح الكتاب، من استعمال اللسان على تصحيح الكلام) [2].

3-إن ما يحققه التتابع الخطي من التثبت (في الكتابة) من البقاء المادي للرسالة، يتيح لها تجاوز حدي الزمان والمكان، بينما هذا غير متاح للاتصال الشفاهي: (الكتاب يُقرأ بكل مكان ويدرس في كل زمان واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره) [3].

3-الإشارة: الإشارة في البيان، هي إحدى الدلالات الخمس التي تستطيع أن تكشف عن المعاني. و هي التعبير الآخر الذي يعمل على إظهار المعنى دون استعمال اللسان، وذلك لأنها تستخدم الحركات والأفعال للتعبير عن الخواطر، «فمن حيث أن الإشارة لغة من لغات البيان، فإن أداتها من أعضاء الجسم كالحواجب والأجفان والشفاه، والأعناق والأيدي وقسمات الأوجه، وغير ذلك مما يعبر بالحركة عن حاجة النفس ومكنوناتها إلا أن أثرها لا يتجاوز حدود عين الناظر» [4].

لهذا صنفها الجاحظ ضمن الدلالات الخمس الغير لفظية، لأن معظمها يعتمد على الحركات الجسمية، ويبدو أن الإشارة هي شكل آخر من أشكال البيان والتواصل، وهي لا تقتصر على حركة أعضاء الجسم، بل تمتد إلى استعمال بعض الأدوات التي يستعين بها المتكلم، كالعصا والمخصرة والسيف، وهي مذكورة في "البيان والتبيين". وسيأتي التفصيل في دلالة الإشارة، في الفصل الأخير من هذه الدراسة. يقول الجاحظ: (قد قلنا في الدلالة باللفظ، فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان،

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبين: 79/1.

(2)-المصدر نفسه: 80/1.

(3)-المصدر نفسه: 80/1.

(4)-ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ: ص.45.

وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسّوط، فيكون ذلك زاجــرًا، ومانعًــا رادعًــا، ويكون وعيدًا وتحذيرًا) [1].

4-**العقد:** هو الحساب نفسه، وقد ظل هذا المفهوم غامضا عنــد الجــاحظ، مــع أن عباراته واضحة في قوله: (وأما القول في العقد، وهو الحساب دون اللفظ والخط...)[2]. «وله أهمية عظيمة في حياة الناس وعليه ترتكز علوم جليلة الشأن مثل علم الرياضيــات، وعلــم الفلك، وله علاقة بأمور الدين والحساب، نعرف منازل القمر وحالات المد والجزر، وكيــف تكون الزيادة في الأهلة، وكيف يكون النقصان في خلال ذلــك، وكيــف تكــون المراتــب والأقدار...»[3]. وقد استشهد الجاحظ بآيات عديدة حول أهميــة العقــد المرتبطــة بمعرفــة الحساب: قول الله ﷻ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيــرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [4]، وقال جلّ وتقدّس: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [5]. وقال أيضا: ﴿هُوَ الَّــذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [6]. وقال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَــا آيَــةَ اللَّيْــلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَــابَ وَكُــلَّ شَــيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [7].

فالحساب هو ضرب من هذا العقد الذي يعد بابا هامًا من أبواب البيان، لأنه: (يشــمل على معان كثيرة ومنافع جليلة، لولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله ﷻ معنى الحساب في الآخرة) [8]. «فالذي يبدو من كلام الجاحظ حول العقد أن المقصود به

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 77/1.
[2]-المصدر نفسه: 80/1.
[3]-علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ: ص.240.
[4]- الأنعام، [96].
[5]- الرحمن، [5].
[6]- يونس، [5]
[7]- الإسراء، [12].
[8]-الجاحظ: المصدر السابق: 80/1.

ليست العمليات الحسابية بالأرقام الملفوظة أو المكتوبة، وإنما هو ضرب من الحساب بعقد أصابع اليدين كان معروفا عند الأقدمين»[1].

وللعقد حظ في الإشارة، إذا استعملت الأصابع فنقول: "عقد الأصابع" حيث «عرفت هذا النوع من العقد الجماعة العربية، في المعاملات التجارية، -خاصة-، ويكون ذلك بأن يضع أحدهما يده في يد الآخر فيفهمان المراد دون «تلفظ بقصد إخفاء ذلك على الآخرين»[2].

وسواء كان العقد هو الحساب بالعدّ على الأصابع، أو باستخدام رموز دلالية متعلقة بالرياضيات التي تستخدم التجريد والاستدلال بالعقل، «فالعقد نظام من الأنظمة الدلالية كالكتابة والكلام وغيرها، ثم إن المنافع الجليلة التي جعلها له تبين لنا أهمية هذا النظام في الحياة اليومية للإنسان»[3].

5-النصبة: لقد أشار الجاحظ إلى هيئة سمّاها "النصبة" وهي: (الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السّموات والأرض، وفي كل صامت وناطق)[4]. والنصبة هي وسيلة العقل لإدراك الأشياء، لأنها «الحال التي توحي به الأشياء لعقل الناظر وذهن المتبصر...»[5]. فمن حق هذه الحال أن يكون المرجع فيها تدبير عقلي ذاتي لا صفة موضوعية في الأشياء نفسها[6]، ولعل هذا ما قصده صاحب القول: (سل الأرض فقل من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حوارًا، أجابتك اعتبارًا) [7].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]-ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد عند الجاحظ: ص.46-47.

[2]-كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية: دار غريب، القاهرة، ط.2، ص.79.

[3]-محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ: ص.81.

[4]-الجاحظ: البيان والتبيين: 81/1.

[5]-ميشال عاصي: المرجع السابق: ص.47.

[6]-المرجع نفسه: ص.47.

[7]-الجاحظ: المصدر السابق: 81/1.

فالنصبة أو الحال: «دلالة تبصرية اعتبارية، مبناها صحة النظر، وحضور القلب والعقل في دلالة السموات والأرض، وفي كل صامت، وناطق، وجامد ونام...»[1].

وقد يستشهد الجاحظ بهذه الدلالة، لمن يريد الوصول إلى معرفة الله تعالى. وذلك من خلال الأشياء المحيطة به، إذ أن وجوده مقترن بآياته الشواهد، وآثاره الدالة على خلقه وصنعته، وإبداعه، وجبروته، يقول الجاحظ على لسان بعض الخطباء: (أشهد أن السموات والأرض آيات دالات، وشواهد قائمات، كلٌّ يؤدي عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية موسومة بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك، التي تجلّيت بها لخلقك، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما أنَّسها من وحشة الفكر...)[2].

وهذه الآيات الدالات (شاهدة بأنك لا تحيط بك الصفات، ولا تحدّك الأوهام، وأنّ حظّ الفكر فيك، الاعتراف لك) [3].

كما أن الجاحظ اعترف بأن هذه الدلالة، إن دلّت على معنى فهي تخبر عنه، وإن كان صامتا وتشير إليه وإن كان ساكتًا، وذلك من حيث آدائها لمعنى البيان: (ومتى دلّ الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا، وأشار إليه وإن كان ساكتا، وهذا القول شائع في جميع اللغات ومتفق عليه مع إفراط الاختلاف) [4].

ودلالة النصبة مسألة عقلية محضة تنبئ بإلمام الجاحظ ووعيه الكامل بطريقة التفكير الواسعة والعميقة، والمستوحاة من فلسفته الخاصة، وفلسفة الذين احتك بهم أو درس لهم من خلال كتبهم المنطقية، وخاصة اليونان والفرس.

---

[1]-عبد الله برخلخال: البيان والدلالة عند الجاحظ: ص.10.

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين: 81/1.

[3]-المصدر نفسه: 81/1.

[4]-المصدر نفسه: 81/1-82.

خلاصة الفصل:

يتناول البيان باعتباره جزءا من المعرفة الدينية، مواضيع متنوعة، وذلك حسب الغرض الذي وُضع لأجله هذا البيان، فقد نزلت الآيات القرآنية في هذا الميدان، تعدد فوائده ومزاياه، وذلك قصد التوضيح والتبليغ والتفصيل. كما جاء البيان كردّ فعل على ما قالته الشعوبية بشأن العرب ودينهم. وللتصدي لهذه الفئة التي خاصمت العرب وطعنت في موروثها الديني والثقافي والأدبي، دافع الجاحظ عن هذا البيان، دفاعه المدعم بالحجة والدليل، إذ تعرّض للخطابة والبلاغة والأدب الموجودة جميعا في طبع وشجية العرب. فكان لمفهوم البيان منحى آخر هو تلك الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي، والتي بواسطتها نصل للتعبير عمّا يجيش في الخاطر، وذلك باستخدام أدوات الإيصال الضرورية من لفظ وخط وإشارة. ولا نصل لفهم هذه الوسائل، إلا بمعرفة وظيفة كل واحدة منها؛ لأن مدار الأمر كلّه على الفهم والإفهام، وعلى الإفصاح بالدليل والإبلاغ بالحجة، فاللفظ ضروري للبيان، وبه نصل ما كان قد قطع من أواصر القربى بين القائل والسامع، والخط دليل الشاهد والغائب، إذ بواسطته نستطيع تدوين جميع العلوم، بوضعها في الكتب، التي تُقرأ في كل زمان ومكان. والإشارة للذي لا يريد الإفصاح عمّا بداخله بالكلام، فيستخدم الحركات المتنوعة باليد والرأس والعين، وبإيماءة بسيطة، يوصل بها رسالته، أو يردّ عليها. كما أن للعقد وضعه الخاص الذي يُدرس فيه، فهو دليل الحساب، وأداته: أصابع اليدين، وبه تُعرف العلوم الفلكية والرياضية.

والنّصبة هي حال دالة للعاقل والمتبصّر بالذهن، وهي نزعة مأخوذة من منبع فلسفي فكري خالص. وهذه النزعة اعتدنا عليها في كتابات الجاحظ، حيث تنم عن وعيه الكامل بالأشياء، وقدرته الكبيرة على الاستدلال والاستنتاج.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

دلالة الإشارة في اصطلاح أهل اللغة والبيان

المبحث الأول: تعريف الإشارة في اللغة

المبحث الثاني: الإشارة في اصطلاح البلاغة

المبحث الثالث: حركات الإشارة وهيئاتها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: تعريف الإشارة في اللغة

تمهيد:

ارتبطت نشأة الإنسان الأول بظهور الكلام والأصوات، وهذه البدايات كثيرًا ما جادل فيها أصحاب المنطق وعلماء اللغة وأرباب البيان، لا لشيء إلا لأنها ارتبطت بالعقل الذي يميز الإنسان عن غيره من الكائنات.

ولأن للكلام قوانين وضعية اقتضت بموجبها ظهور الأسماء والمسميات، من خلال الاصطلاح عليها، فإن هذه الآراء المتضاربة تبقى مجرّد تصوير لبداية الأشياء في نشأتها، «فيجوز أن تكون أول صورة بدت فيها اللغة أنها اتصال عن طريق الرموز»[1]، كما يجوز أن تكون عبارة عن إيماءات وحركات جسمية تستعمل كبديل عن الكلام، خاصة إذا ما أخفق في الأداء.

ولأن الإنسان الأول قد احتك بالطبيعة وأصواتها، حيث جعلها مصدرًا من مصادره التي تعبّر عن مكنونات نفسه، جاءت هذه الإشارات مصاحبة لهذه الأصوات نتيجة تقليده لها.

فكانت للإشارات الجسمية دلالاتها الخاصة، نشأ عنها ظهور ما يسمى بالرموز التي تعبّر كل منها على دلالة معينة من دلالات الحاجة إلى التعبير عن كل شيء يتعلق بالإنسان من شعور وإحساس وتفكير.

ويبدو منذ الوهلة الأولى الاهتمام بهذه الدلالات الإشارية، نظرًا لأهميتها في حياة الإنسان، ولهذه الأهمية انعكاس في فكره الذي ظلّ يبحث عن الإشارة ووظائفها في كتب اللغة والتفسير والبلاغة، ويرصد معانيها المتعددة من خلال المميزات الدالة على كل معنى.

---

(1)-ول ديورانت، قصة الحضارة، تقديم: محي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، ج.1، ص.123.

1-في المعاجم:

تحمل دلالة الإشارة في اللغة أكثر من معنى، فهي الإشــــارة، والعلامـــة، والرمـــز، والسِّمة وكذا الوحي الذي يتعدد معناه مـــن تلميـــح وتلويـــح، وإيمـــاء وومـــض... وهـــذه المصطلحات كثيرا ما دلت عليها المعاجم العربية، فتحدثت عن تنوع وظائفها، وعن تغيراتها الدلالية، حسب مشتقاتها من اسم، وفعل وصفة.

1-الإشارة تحمل معنى الإيماء، وهي الإشارة باليد أو بأي عضو من أعضاء الجســم، جاء في اللسان[1]، «وأشار إليه وشوّر: أومأ، يكون ذلك بالكفّ والعين والحاجب، وشوّر إليه بيده أي أشار، وفي الحديث[2]: «كان يشير في الصلاة، أي يومئ باليد والــرأس، أي يـــأمر وينهى بالإشارة...» ومنه الحديث[3]: كان إذا أشار بكفه أشار بها كلّها، أراد وحدها ، ومـــا كان في غير ذلك كان يشير بكفه كلها ليكون بين الإشارتين فرق...».

أما العلامة فهي الأثر والدليل والأمارة، وهي السِّمة أيضا: «وعلمت الشيء أعلمـــه علمًا: عرفته، والمعلم: الأثر: يستدل به على الطريق»[4].

«وعَلَمَه يعلُمُهُ عَلْمًا: وسَمَه، وعلَّم نفسه وأعلمها: وسمها بسيما الحرف، ورجل معلِـم إذا عُلِّم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها، والعلامة: السِّمة، والمعلم: ما جُعل علامة، وعَلَمًـا للطرق والحدود، مثل: أعلام الحرم ومعالِمه المضروبة عليه... ومَعْلَم الطريق: دلالته»[5].

تشترك الإشارة مع العلامة في كونهما دليلين على الشيء، إلا أن الأولى يُتواصل بها، أما الثانية فتبقى أمارة على الشيء الذي تدل عليه، والسِّمة التي تترك أثرًا ما.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-ابن منظور: لسان العرب: ج.4، مادة "شور"، ص.2358.

(2)-صحيح البخاري: كتاب "السهو": الباب "8": ج.2، ص.68-69.

(3)-سنن الترمذي: باب "الاستئذان": رقم "7": المكتب الإسلامي: ط.1، بيروت، 1988، ج.6، ص.346.

(4)-إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية": ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايـــين، ط.3، 1984، ج.5، مادة "علم"، ص.1990-1991.

(5)-ابن منظور: المصدر السابق: ج.4، مادة "علم"، ص.3084.

فالسِّمة هي العلامة والأثر الذي يظهر على الشيء: «وسمته وسْمًا وسِمة أثرتُ فيه بسِمة وكيّ، والهاء عوض الواو، وفلان وسيم أي حسن الوجه، ... وفلان موسوم بالخير، وقد توسَّمتُ فيه الخير، أي تفرَّستُ واتسم الرّجل، إذا جعل لنفسه سِمة يُعرف بها، وأصل التاء الواو»[1]. «فالأصل في سيما وسميَ، فحوّلت الواو من موضع الفاء، فوضِعت في موضع العين، كما قالوا ما أطْيبه وأيْطبه، فصار سِوْمَى، وجُعلت الواو ياءًا لسُكونها وانكسار ما قبلها... يقال: سوَّم فُلان فرسه إذا أعلم عليه بحيرة، أو بشيء يُعرف به... والسِّما: هي العلامة يُعْرَف بها الخير والشر...»[2].

يتضح الفرق بين العلامة والسِّمة، من حيث أن العلامة لا تكون سمة إلا إذا تركت أثرًا ما، والأثر لا يزول من شيء معلَّم، لأنه يلازمه، بينما يتجاوز معنى العلامة السِّمة بكونه يعد دليلا، شعارا، أمارة، فكل سمة علامة، وليس كل علامة سمة، لأن العلامة تتجاوز حدود المرئي إلى الغير مرئي فتدخل ضمن المجرَّد العقلي، بينما السِّمة تنقل لنا معنى من المعاني الحسية.

2-الرمز:

لقد لعب الرمز دورًا هاما في مجال البحث عن الحقيقة، والمعرفة الاستنباطية التي ظل يبحث عنها الإنسان منذ القديم، فارتبط معنى الرّمز بمعاني غيبية دينية، تعلقت بالطقوس والعادات التقليدية لمعتقدات الإنسان، لهذا نجده قد استخدم الرمز للتعبير عن كل هذه الحاجات، التي تستدعيها طريقة عيشه البدائية، حتى تكونت لديه معلومات هامة، دوّنها في معالم أثرية، بعضها منقوش في الحجارة والآخر محفور على الجدران.

وظلّ مفهوم الرمز معقداجدا، إلى أن استخدم في مجال الأدب على وجه الخصوص، لتصبح الصورة الذهنية نمطا هاما من أنماط تجسيد رؤية رمزية متكاملة، تعبر عن حقيقة محسوسة، وظفها الإنسان في مجالات الحياة المختلفة.

---

[1]-الجوهري: الصحاح، ج.5، مادة "وسم"، ص.2051- 2052.

[2]-ابن منظور: لسان العرب، ج.3، مادة "سوم"، ص.2158.

إلا أن الرمز تعدّى هذا المفهوم، ليتجاوزه إلى مفهوم الإيماء في مجال الإشارة وغيرها، جاء في اللسان: «الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارة بالشفتين، وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم. والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ، أو بأي شيء أشرت إليه، بيد أو بعين، ورمز يرمز، ويرمز رمزًا، وفي التنزيل العزيز في قصة زكرياء عليه السلام: ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [1]»[2].

فالرمز من رمز يرمز رمزًا، غمز بالحاجب والعين والرأس، ففعله خفي تؤديه الأعضاء بالحركات إيماءً وتلميحًا دون تصريح، وهو بمعنى آخر: علامة من علامات الشيء المحسوس.

إذن الرمز بمعناه الواسع ينقسم إلى قسمين:

رمز معنوي مجرد، والآخر مادي محسوس، فالأول منشؤه العقل المفكر الذي ينظر إلى الأشياء بمنظار الاستدلال والاستنتاج، فينتج عنه علاقات مترابطة عن طريق الرموز، كالرموز اللغوية والرياضية والكيميائية. والثاني يوضع في كل ما هو مرئي محسوس تُعرف دلالته بالمشاهدة والمعاينة، ويكون أقرب لمعنى الإشارة، «وإن كان الفرق ما بين الرمز والإشارة، أن الرمز يتضمن صورًا مكثفة ترتبط بالمرموز إليه، والإشارة تشير إلى معنى – على أساس من المواضعة بارتباطها بالمشار إليه...»[3].

هذا وقد ارتبط معنى الوحي بالإشارة والكتابة والرسالة والإلهام، وكذا الكلام الخفي، نقول: «وحى إليه وأوحى: أومأ: وفي التنزيل: ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [4]، وقال الفراء (207هـ) في قوله: فأوحى إليهم، أي أشار إليهم، قال: والعرب تقول: أوحى،

---

[1]- آل عمران، [41].

[2]-ابن منظور: المصدر السابق: ج.3: مادة "رمز"، ص.1726-1727.

[3]-مصطفى الصاوي الجويني: البيان في الصورة: دار المعرفة الجامعية: ص.233.

[4]- مريم، [11].

ووحى وأومى وومى بمعنى واحد... يقال: وحيتُ إلى فلان أحي إليه وحيًا، وأوحيتُ إليه، أوحي إيحاءًا، إذا أشرتُ إليه، وأومأتُ»[1].

فالوحي يكون بالإيماء والإشارة، كما يكون بالرسالة والكتابة.

إن هذه المعاني المصاحبة للإشارة، من علامة وسمة ورمز ووحي، هي معاني لغوية، تكشف دلالاتها عن تقارب المعنى فيما بينها، رغم وجود دلالات الأثر والأمارة والدليل في كتب الفقه وأصوله، إذ يستخدمون هذه المعاني كوسيلة للاستدلال بها في الأحكام الشرعية.

والإشارة كمصطلح شامل وعام، هو أقرب لعلم اللغة والبيان، لأنه وسيلة أخرى من وسائل الاتصال بين الناس، إذ يُعد من الأساليب الهامة في الحوار والتبليغ، وقد ارتبط أكثر بمصطلحات اللغويين الحديثة: كالعلامة signe، والسيميائية semiology، والرمز symbol.

2-في كتب التفسير:

1-الإشارة بمنزلة الكلام وتفهم ما يفهم من القول:

-الإشارة في قوله: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾[2]: «هي بمنزلة الكلام وتفهم ما يفهم من القول، كيف لا وقد أخبر الله تعالى عن مريم -عليها السلام-، وفهم القوم مقصودها وغرضها فقالوا: ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾[3]»[4]. فإشارة مريم عليها السلام، تغني عن الكلام الذي وجهته لابنها، فقد شرح لنا الزمخشري (ت 538هـ) معنى الآية فقال: «أي هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه، وقيل كان المستنطق لعيسى زكرياء عليه السلام، وعن السدي: لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسُخريتها بنا أشد علينا من زناها، وروى أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرّضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته...»[5].

---

(1)-ابن منظور: لسان العرب: ج.6: مادة "وحى"، ص.4787.

(2)- مريم، [29].

(3)- مريم، [29].

(4)-أبو عبد الله القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: دار الكتاب العربي، ط.63، 1967، م.11، ص.104.

(5)-محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: مطبعة مصر، ط.1، 1354هـ، ج.2، ص.410.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لما كان الموقف يستدعي أن تستخدم مريم عليها السلام الإشارة، لم تتوان عن ذلك، لأن الله هو الذي أوحى إليها أن لا تكلم أحدًا من البشر، لأن إشارتها ستغني عن كثير من الكلام، الذي لا طائل منه، أمام اتهامات قومها لها. وهذا من باب الصمت والإضراب عن الكلام.

2-الإشارة بمنزلة العلامة، كدليل على الأشياء:

«فالعلامة من "معلوم" بمعنى "معروف". والعلامات من العلامة وهي الدليل ومن الأعلام وهي الجبال، في آية الحجر ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [1]، أي أجل ومدة ومعلوم: مؤقت معروف» [2].

«وعلامات في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [3]، هي معالم الطريق وكل ما يستدل به من السابلة من جبل ومهل وغير ذلك...»، وقال أبو عبد الله الرازي: رأيت جماعة يتعرفون الطرقات بشمّ التراب، وقال ابن عيسى: العلامة: صورة يُعلم بها ما يراد من خط أو لفظ أو إشارة أو هيئة...» [4]. وعلامات أي عبرة وإعلاما في كل سلوك، وقد اختلف الناس في معنى قوله: "وعلامات" على أن الأظهر عندي ما يُذكر، فقال ابن الكلبي: "العلامات" الجبال، وقال إبراهيم النخعي ومجاهد: العلامات: النجوم، ومنها ما يُسمّى علامات ومنها ما يُهتدى به، وقال ابن عباس: العلامات: معلم الطرق بالنهار؛ والنجوم هداية الليل» [5]. ومهما يكن من اختلاف معنى العلامة في كتب التفسير، فإنها الدليل الذي يستدل به لمعرفة الأشياء، سواء كانت حسية أو معنوية.

---

(1)-الحجر، [4].

(2)-أبو عبيدة: مجاز القرآن: ج.1، ص.346.

(3)-النحل، [16].

(4)-أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط: دار الفكر، ط.2، 1983، ج.5، ص.480.

(5)-ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ت: عبد السلام عبد الشافعي محمد: دار الكتب العلمية، ط.1، لبنان، 1993، ج.3، ص.384.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد تنتقل معنى العلامة إلى السّمة كدليل على الأثر الذي لا يزول، وقد وُجدت في القرآن الكريم ألفاظ تعلقت بهذا المعنى، منها: مسوّمة، مسوّمين، سنسِمُه...

أ-مسوّمة: في قوله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ (1)، أي «المعلّمة بالسِّيماء، ويجوز أن تكون مسوّمة "مرعاة من أسمتها" تكون هي سائمة، والسّائمة: الرّاعية، وربُّها يُسيمها»(2).

«والمسوّمة في غير هذا: المعلّمة في الحرب بالسومة وبالسِّيماء: أي بالعلامة، وقال مجاهد: المسوّمة: المطهّمة الحسان، وأحسبُه أراد أنها ذات سيماء كما يقال: رجل سيماء، وله شارة حسنة»(3).

ب-سنسِمُه: ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ (4)، «ذهب بعض المفسرين فيه إلى أن الله ﷻ يسيم وجه الكافر يوم القيامة بالسواد، وللعرب في مثل هذا اللفظ مذهب تخبر به... تقول العرب للرجل يسبّ الرجل سبّة قبيحة، "وقد وسمه بميسم سوء" يريدون ألصق به عارًا لا يفارقه، كما أن السّمة لا تمحي ولا يعفو أثرها، وقال جرير:

لمَا وَضَعْتُ على الفَرَزْدَقِ مَيْسَمِي   وعلى البَعِيثِ جَدَعْتُ أنفَ الأخْطَلِ(5).

يريد أنه وسَمَ الفرزدق، وجدع أنف الأخطل بالهجاء، أي أبقى عليه عارًا كالجذع والوَسْم...»(6).

فالسمة في آية ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ (7)هي العلامة على الأنف «وقال آخرون يوم القيامة أي نوسم على أنفه بسِمة يُعرف بها كفره وانحطاط قدره، وقال قتادة وغيره معناه:

(1)- آل عمران، [14].

(2)-أبو عبيدة: مجاز القرآن: ج.1: ص.89.

(3)-ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن: ت: السيد أحمد صقر: دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص.102.

(4)- القلم، [16].

(5)-ديوان الأخطل: شرح: يوسف عبد: دار الجيل، ط.1، بيروت، 1992، ص.554، بحر الكامل.

(6)-ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن: ت: السيد أحمد صقر: دار التراث، ط.2، القاهرة، 1979، ص.156-157.

(7)- القلم، [16].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سنفعل به في الدنيا من الذمّ والمقت والاشتهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى فيكون ذلك كالوَسْم على الأنف ثابتًا بينًا...»[1].

جـ-وسيماهم: «هي أيضا العلامة، التي يُعرف بها حال الإنسان في الخير والشر، وأصلها السُومى قلبت الواو ياءًا، في قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾[2]وقوله: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾[3]، فالسمة هي الأثر: «وَسَم: الوَسمُ: التأثير والسِّمة الأثر، يقال: وسمْتُ الشيء وسْمًا إذا أثّرت فيه بسِمة، قال تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[4]، ... وهذا التَّوسُّم هو الذي سَمَّاه قوم الزَّكانة وقوم الفراسة وقوم الفطنة، وفلان وسيم الوجه حسنُه، وهو ذو وسامة إذا كان عليها أثر الجمال، وفلان هو موسُوم بالخير»[5].

فالعلامة جمعها علامات، وهي معالم الطريق يُستدل بها عن أي شيء، ومعناها مأخوذ من الأعلام وهي الجبال، أما السِّمة فقد ارتبطت بالأثر الدال على صاحبه، عُرف به فكان ألصق له وأدلّ عليه.

3-الرمز كإشارة خفية: فالرمز كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا رَمْزًا﴾[6]، هو «الإشارة بالفم والشفتين واللّسان من غير أن يفصح به»[7]، أي «وحيًا وإيماءًا باللّسان أو باليد أو بالحاجب، يقال: رمز فلان لفلانة، إذا أشار بواحدة من هذه...»[8]. وهو ذلك الصوت الخفي الذي يتم بهذه الإشارات وأصله الحركة، يقول الزمخشري (ت 538هـ): « ، إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرهما، وأصله التحرّك، يقال: ارتمز إذا تحرّك ومنه قيل البحر الرّاموز...»[9].

(1)-أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج.8، ص.311.
(2)- الأعراف، [46].
(3)- الرحمن، [41].
(4)- الفتح، [29].
(5)-الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: محمد خليل عيتاني، ط.1، 1998، ص.539.
(6)- آل عمران، [41].
(7)-أبو عبيدة: مجاز القرآن، ج.1، ص.93.
(8)-ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن، ص.105.
(9)-الزمخشري: الكشاف، ج.1، ص.189.

وذلك لأن «الرمز في اللغة حركة تعلم بما في نفس الرامز بأي شيء كانت الحركة من عين أو حاجب أو شفة أو يد أو عود أو غير ذلك، وقد قيل للكلام المحرف عن ظاهره رموز، لأنها علامات بغير اللفظ الموضوع للمعنى المقصود الإعلام به، وقد يقال للتصويت الدال على معنى رمز...»[1].

وحقيقة الرمز في قوله تعالى: ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[2]، «معناه لا صمت اليوم أي عن ذكر الله وأما الصمت عما لا منفعة فيه فحسن. واستثناء الرمز، قيل هو استثناء منقطع إذ الرمز لا يدخل تحت التكلم، ومن أطلق الكلام في اللغة على الإشارة الدالة على ما في نفس تعشير، فلا يبعد أن يكون هذا استثناءا متصلا على مذهبه»[3].

أما ابن عطية (ت 546هـ) فاختار أن يكون منقطعا، قال: «ثم استثنى الرمز، وهو استثناء منقطع،... والكلام المراد بالآية إنما هو باللسان لا الإعلام بما في النفس...»[4].

فالرمز هنا يخرج عن كونه نطق باللسان، وبيان بالكلام، ولا يستثني الرمز تحريك الشفتين، لأنهما قد يتحركان تعبُّدا لله تعالى، والتذكير بآلائه ونعمه التي لا تُحصى.

4-الوحي: إذا جاء الوحي بمعنى الإلهام، والقذف في القلب، فذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[5]، أي ألهمها، «فالإيحاء إلى النحل إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه، وإلا فتقيتها في صنعتها ولطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علمًا بذلك وفضلها، كما أولى أولي العقول عقولهم، ﴿أَنِ اتَّخِذِي﴾ هي "أن" المضمرة لأن الإيحاء فيه معنى القول»[6].

---

(1)-ابن عطية: تفسير محرر الوجيز: ج.1: ص.432.

(2)- آل عمران، [41].

(3)-أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط: ج.2: ص.452.

(4)-ابن عطية: المصدر السابق: ج.1: ص.432.

(5)- النحل، [68].

(6)-الزمخشري: الكشاف: ج.2، ص.335.

«فما ننكر أن القول قد يسمى وحيًا، والإيماء وحيًا، والرّمز بالشفتين والحاجبين وحيًا، والإلهام وحيًا، وكلّ شيء دللت به فقد أوحيت به، غير أن إلهام النحل تسخيرها لاتخاذ البيوت، وسلوك السُبل والأكل من كل الثمرات...»[1].

فقد يحمل الوحي معنى القول أو الإيماء بالشفتين، ومعنى الإلهام والتذليل على الشيء والتسخير كما قد يأتي الوحيُ بمعنى الإشارة إلى كتاب أو رسالة»[2]، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[4]. فهذا إرسال جبريل بالقرآن... أو قد يكون الوحي إعلامًا في المنام[5]، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[6].

وأصل الوحي في هذه المعاني كلها هو «الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل أمر وحيٌ وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرّد من التركيب وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة، وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكرياء: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[7].

فقد قيل رمز وقيل اعتبار وقيل كتب، وعلى هذه الوجوه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[8]، وقوله: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾[9]. فذلك بالوسواس المشار إليه بقوله: ﴿مِنْ شَرِّ

---

[1]-ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن: ص.106.
[2]-الرسالة: هي وحي يتضمن معنى الإعلام بوساطة الرسل.
[3]- النساء، [163].
[4]- الأنعام، [19].
[5]-ابن قتيبة: المصدر السابق: ص.489.
[6]- الشورى، [51].
[7]- مريم، [11].
[8]- الأنعام، [112].
[9]- الأنعام، [121].

﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾[1].»[2].

فالوحي[3] كل شيء دللت به من كلام أو كتاب أو إشارة أو رسالة.

وعليه يمكننا القول بأن الإشارة هي ذلك الإيماء الذي يؤدَّى بأعضاء الجسم من يد وعين وكف وحاجب. والرمز هو الكلام الخفي بالشفتين خاصة، والوحي إلهام ودليل ورسالة وهو يحمل معنى الإشارة أيضا.

لكن الإشارة أعم من مفهومي الرمز والوحي، إذ لكل واحد منهما دلالته ووضعه، فالرمز بالصوت الخفي، والوحي بالإعلام والإظهار وقد يكون بالكلام أيضا.

أما العلامة والسمة فكثيرا ما تحملان معنى الدليل والأثر والشعار، والدليل يكون واضحا بيِّنًا ثابتا في السِّمة؛ لأنه أقرب إلى المحسوس منه إلى المجرد. بينما تترك العلامة الأثر المادي، وقد تكون ثابتة في المعاني العقلية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)- الناس، [4].

(2)-الراغب الأصفهاني؛ المفردات في غريب القرآن؛ ص.530-531.

(3)-وقد جاء اللفظ في الشعر بدلالة الإشارة في خفاء في قول الشاعر:

تَرَى عَيْنُهَا عيْنِي فتعرف وحيَها   وتعرف عَيْنِي مَا به الوَحْي يَرجِعُ (البيان، ج.1، ص.78).

المبحث الثاني: الإشارة في اصطلاح البلاغة

لم تقتصر الدراسات اللغوية على توضيح دلالة الإشارة وحدها، بل حاول علماء البلاغة أن يقيموا دراسات يتعرفون بواسطتها على معنى الإشارة ومدى مطابقتها لفصيح الكلام ومقتضى الحال، ويكشفوا بها عن ظاهرة الإيحاء بالكلام الموجز.

فكان من نتاج هذا الجهد ظهور معان مختلفة لهذه البلاغة، مثلتها مفردات هذا الإيحاء الذي تنوع بتنوع الأداء، كالإيجاز، واللمحة الدالة، والكناية:

1-بلاغة الإيحاء[1]: هي من صفات البليغ المبدع، حيث «قيل لبعض البلغاء: من البليغ؟ قال: الذي إذا قال أسرع، وإذا أسرع أبدع، وإذا أبدع حرّك كل نفس بما أودع»[2].

فمعرفة البليغ بأدوات بلاغة الإيحاء واستعماله لها، هو من باب الإبداع السريع الذي يتطلب تحريكا للنفس بما توحيه لغيرها، لأن هذا التحريك كثيرا ما يكون نتيجة إشارات معبرة وكلمات موحية.

وقد ذكر الجاحظ (ت 255هـ) في بيانه هذا النوع من البلاغة على لسان ابن المقفع (ت 146هـ): (البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا... فعامة ما يكون في هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة)[3].

فبلاغة الإيحاء في ذلك السكوت، وفي تلك الإشارات، وفي ذلك الإيجاز.

---

[1]-البلاغة مرتبطة بالمعنى، والمعنى عامل مشترك بين البلاغة والدلالة، خاصة في علمي البيان والبديع... وهذا المعنى أو المعاني تطرأ عليها تبدلات أو تغيرات، وهذه التبدلات تأخذ أشكالا عدة في الدراسات البلاغية، منها فكرة المقام والمقال، والاستعارة، والكناية والتورية وغيرها. فالعلاقة بين البلاغة وعلم الدلالة تكمن في التغيرات الدلالية للكلمة (للتوسيع أكثر، يُراجع كتاب: العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، لصاحبه: عبد الواحد حسن الشيخ، ص.10).

[2]-شهاب الدين النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، مطبعة دار الكتب المصرية، 1931، م.7، ص.8.

[3]-الجاحظ: البيان والتبيين: 1/115-116.

1-بلاغة الإيحاء بالسكوت[1]: السكوت دالة إشارية، تحمل في طياتها معاني عديدة، ومن فوائد هذا السكوت، أنه يسد باب الفِتن، خاصة إذا كان الكلام غير مفيد أو لا يجلب لصاحبه إلا الشر، فيكون السكوت أولى، لأن الصمت في أحوال أحسن من الكلام، وكما قيل: الصمت أبلغ من الكلام أحيانا.

وقد تحدث الجاحظ (ت 255هـ)، عن بعض الجوانب المفيدة لالتزام الصمت والسكوت، رغم أنه ليس الأنفع دائما في قوله: (وقيل: لو كان الكلام من فضة، لكان السكوت من ذهب) [2].

-فقد يكون السكوت تجنبا للوقوع في الخطأ في الكلام لقوله: (وكان أعرابيّ يجالس الشعبي فيطيل الصمت، فسُئِل عن طول صمته فقال: «أسمع فأعلم، وأسكت فأسلم»)[3].

أو قد يكون السكوت أفضل من الكلام الذي عابه أهل البلاغة والبيان: (قال صاحب البلاغة والخطابة، وأهل البيان وحب التبين: إنما عاب النبي ﷺ المتشادقين والثرثارين والذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها، والأعرابي المتشادق، وهو الذي يصنع بكفيه وشدقيه ما لا يستجيزه أهل الأدب من خطباء أهل المدر؛ فمن تكلف ذلك منكم فهو أعيب، والذّم له ألزم)[4].

كما أنه لا يحتاج المتكلم الذي يريد أن ينصح غيره، أن ينطق بلسانه، لأن السكوت أحيانا يعوّض هذه المعاني الغزيرة التي يريد إرسالها، وذلك بفعل بسيط يعبّر عن موقف من المواقف، التي قد تجعله مثالا يُحتذى، يقول الجاحظ (وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة، ولم يكن الناس جميعا ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع؛ ومدار العلم على الشاهد والمثل..)[3] ثم إن معنى الصمت أخفى وأغمض من معنى الكلام،

---

[1]-لقد أفرد الجاحظ في بيانه، بابا كاملا في الصمت: (ج.1/ 194-209).

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين: 271/1.

[3]-المصدر نفسه: 194/1.

[4]-المصدر نفسه: 271/1.

وخاصة في أغراض الحق والباطل والخطأ والصواب: (... وإنما حثوا على الصمت لأن العامة إلى معرفة خطأ القول، أسرع منهم إلى معرفة خطأ الصمت، ومعنى الصامت في صمته أخفى من معنى القائل في قوله، وإلا فإن السكوت عن قول الحق في معنى النطق بالباطل) [1].

فالسكوت في مواضع يحمل دلالات كثيرة، جعلته يحتل الصدارة في عالم تكاثفت فيه جهود التواصل، وتطورت أجهزة العلم والتقنية، فصار لهذا السكوت أو الصمت بُعده الخاص في حمل رسالة ما، تنقل معانيها تلك الإشارات والرموز التي أصبحت تُغني عن كثير من الكلام.

وهذا النوع من بلاغة الإيحاء، هو ما أطلق عليه الدارسون اسم "بلاغة الصورة"، هذه البلاغة التي تهتم بالمشاهدة والمعاينة وبالتمثيل للأشياء، حيث كان لهذه البلاغة موقعها من البيان عند الجاحظ، لأن مدار الأمر الذي يتجلى من خلال وظيفة التواصل بين الناس، هو "الفهم والإفهام"[2]. «وغرض الإبانة وإجلاء المقاصد في التخاطب هو الذي يجمع بين الأداء بالكلمة، والأداء بالصور في عالم الرؤية والمشاهدة، أو ما شاكلها من وسائل الأداء، وأسبابه من غير الواقع اللغوي، ولهذا فقد بات أمرا مشروعا أن يقارن الدارس بين البيان في "الكلمة" بما هي أداة ناطقة وبين القدرة على التبليغ والإيصال في الصورة المرئية بما هي أداة صامتة، ولا غرابة أن يتوصل الناس منذ القديم –والعرب منهم– إلى كون البيان ليس ناطقا دوما بل منه ما يتوسّل بالصَّمت فيستبدل ما تتلقفه الأسماع من الكلام بما تعانيه الأبصار أو بما تدركه غيرها من الحواس»[3].

---

(1)–الجاحظ: البيان والتبيين: 271/1.

(2)–المصدر نفسه: 76/1.

(3)–مراد بن عياد: "من الصورة البلاغية إلى بلاغة الصورة (ما بين "المجاز اللغوي" و"المجاز الإعلامي" في مقاربة الخطاب الإعلامي)": المجلة التونسية لعلوم الاتصال: ع.26، (جويلية/ديسمبر) 1994م، تونس، ص.35-36.

ومعنى هذا أن غرض البلاغة في إيصال المعنى، لا يتم باللسان فقط، فهناك التصوير الخاص بالشاهد[1] والمثل[2]، إذ يستطيع الطرف الثاني من خلالهما أن يستوعب هذه المعاني، وينتفع بها في المرافق المختلفة.

وبلاغة الإيحاء بالكلام الموجز هو ذلك المعنى الآخر للوحي باللحظ: وهي دلالة يستدل بها كتعبير عن المعنى دون الكلام، وقد سمّاها العلماء الاستدلال باللحظ على الضمير: «وهي دلالة العيون على ما تكنه النفوس، دلالة تخص الإشارة»[3]. عبر عنها الجاحظ بقوله:

(يَرْمُونَ بِالْخُطَبِ الطِّوالِ وَتَارَةً وَحْيَ الْمَلاَحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ.

فذكر المبسوط في موضعه والمحذوف في موضعه والموجز والكناية والوحي باللحظ ودلالة الإشارة) [4].

هذا،لأن هناك دواعي تقتضيها وظيفة "الفهم والإفهام" دون التصريح، وهي مقتضيات المقام «وإن مقتضيات المقام والمواضعات الاجتماعية من ناحية، وأصول الاعتقاد الاعتزالي من جهة أخرى، استوجبت من أبي عثمان الإقرار بأهمية الطاقة الإيحائية في الظاهرة اللغوية، وهي في مصطلحه الإشارة والوحي والتعريض والاقتصاد والكناية والإيجاز»[5].

2-الإيجاز: أهم الدعائم التي تقوم عليها البلاغة هي الوحي والإشارة والإيجاز (...فعامة ما يكون في هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو

---

(1)-الشاهد والمثل مصطلحات يكثر تداولها عند الفلاسفة وعلماء الكلام، ولعل الشاهد عندهم هو عبارة عن المحس وتوابعه، ويدخل فيه ما يشعر به الإنسان من أمور نفسه.

(2)-أما المثل، فكثيرا ما يُضرب في وصف الشيء وتشبيهه، من باب الحكمة، وبما أن المثل يهدف إلى استحضار حالة المشبه به، فإنه يقترب بهذا المعنى من الرمز، إذ الرمز هو إشارة وإيماء، والتشابه الحاصل بين المشار والمشار إليه هو الذي أفضى إلى عدّ الأول رمزا للثاني. (للتوسع أكثر: أنظر مجلة آفاق الثقافة والتراث، س9، ع34، (يوليو 1422هـ-2001)، مقال "مصطلحات الحكمة والمثل"، ص.53-54-55).

(3)-ابن عبد ربه: العقد الفريد: شرح: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأنباري: دار الكتاب العربي، بيروت، ج.2، ص.361.

(4)-الجاحظ: البيان والتبيين: 44/1.

(5)-حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب: ص.277-278.

البلاغة)[1]. لقد كان الجاحظ على وعي كبير ببلاغة الإيحاء باللفظ الموجز، فالإيجاز يستعمل أحيانا في التعبير عن المعاني الدالة على نفسها، خاصة في مجال الخطب الدينية والاجتماعية والسياسية.

فهي تحتاج إلى رجاحة العقل، ورزانة المنطق، وقدرة في اختيار العبارات القليلة ذات المعاني الغزيرة.

وقد أفرد الجاحظ في بيانه بابا سماه "باب الإيجاز"[2]، يصف فيه بلاغة النبي ﷺ في أقواله، التي كانت موجزة كافية، وموحية شافية، لا يشوبها نقص ولا يعتريها تحريف أو تزييف، هذا مع ما ذكره من أبواب "الإيجاز"[3] الأخرى على لسان البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء، وعلى لسان الشعراء والعلماء، وكلها تدل على أن الإيجاز هو من باب الوحي والإشارة (يقولون في إصابة عين المعنى بالكلام الموجز: فلان يفل المحزّ، ويصيب المفصل، وأخذوا ذلك من صفة الجزّار الحاذق، فجعلوه مثلا للمصيب الموجز)[4].

كما أن غرض الإيجاز هو: عجز الألفاظ عن استيعاب المعاني، فيأتي التعبير الآخر على وجه القدرة على توليد المعاني وحسن التصرف فيها: (وإنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعاني، وقد تحسن أيضا ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس، وفي كل ما قالوه على وجه التظرف والتملح، كقول أبي نواس[5]:

وَذَاتُ خَدٍّ مُـوَرَّدِ ... قُوهِيَّةَ[6] الْمُتَجَـرَّدِ
تأمَّلُ العَيْنَ مِنهَـا ... مَحَاسِنًا لَيْسَ تَنْفَـدْ
فَبَعْضُهَا قَدْ تَنَاهَى ... وَبَعْضُهَا يَتَـوَلَّـدْ

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 1/115-116.

[2]-باب الإيجاز في الجزء الثاني من "البيان والتبيين"، هو دفاع آخر عن هذا البيان العربي.

[3]-الجاحظ: المصدر السابق: 1/107.

[4]-المصدر نفسه: 1/107.

[5]-ديوان أبو نواس: دار بيروت للطباعة والنشر: 1986، ص.197.

[6]-قوهية: نوع من اللباس الأبيض، والأبيات من المجتث.

وَالحُسنُ فِي كُلِّ عُضْوٍ   مِنهَا مُعَادٌ وَمُرَدَّد) [1].

فهذا وصف دقيق، قد لا يُحسن إتقانه، إلا من كان على دارية كبيرة بصناعة الكلام إضافة إلى هذا، فإن الإيجاز هو أحد الوسائل المحافظة على وجه التواصل بين الطرفين، إذ يحافظ على رفع النزاع والاختلاف بين الأفراد؛ لأن الكلام لا يُحمل على معنى واحد، بل يتعدد بتعدد المقاصد والأغراض، إذ يؤدي في بعض الأحيان إلى نشر الفِتن والظلال والتيه، لهذا أخبرنا الجاحظ عن هذا الإيجاز الذي يعدّ نوعا هاما من أنواع حذف الكلام، والحذف هنا هو الاكتفاء بالإشارة و «هو حذف يستغني فيه تماما عن الألفاظ ويكتفي فيه بالحركات الجسمية وغيرها كالإشارة»[2].

«والإشارة في الحقيقة نوع من الحذف، بل هي حذف للكلام برُمته واستغناء عن النحو ومشاكله بوسائل أقل تعقيد أو أخف مؤونة فلحظ بطرف العين قد يدل على ضمير وإن كان ذلك الضمير بعيد الغاية قائم على النهاية»[3].

2-لمحة دالة باللفظ الموجز تدل على كثافة في معنى الكلام:

اتصف العربي منذ القدم، برجاحة عقله، وسعة فهمه، إذ كان يستخدم في كلامه أدوات لا توجد -عند غيره- كالاختصار والإطناب، وكان يعتمد الإيماء كوسيلة للإشارة الخفية للكشف عن مقصوده، لهذا سُميّت البلاغة لمحة دالة، وأصل اللمحة النظرة العجلة: «قال أبو العباس: من كلام العرب الاختصار المفهم والإطناب المفخم، وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيُغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لمحة دالة»[4].

وقد اتجه قدامة بن جعفر (ت 337هـ) في تفسيره للبلاغة إلى ثلاثة اتجاهات حيث قال: «البلاغة ثلاثة مذاهب: المساواة[5] وهو مطابقة اللفظ المعنى لا زائدا ولا ناقصا،

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 141/1.

(2)-محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال "البيان والتبيين": ص.269.

(3)-المرجع نفسه، ص.271.

(4)-أبو العباس المبرد: الكامل في اللغة والأدب: مؤسسة المعارف، بيروت، ج.1، ص.17.

(5)-المساواة هي المشاكلة عند الجاحظ، وقد ذكرها في غير موضع من بيانه.

والإشارة: هو أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة، والدليل وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ليظهر لمن يفهمه ويتأكد عند من فهمه»[1]. ومن أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى «المساواة والإشارة والإرداف والتمثيل»، والإشارة: أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها، كما قال بعضهم، وقد وصف البلاغة، فقال: هي لمحة دالة، وذلك مثل قول امرئ القيس[2]:

فَإِنْ تَهْلِكْ شَنُوءَةَ أَوْ تَبَـدَّلِ   فَسِيرِي إِنَّ فِي غَسَّانٍ خَالاَ

بِعِزِّهِمُ عَزَزْتِ وَإِنْ يَذِلُّوا   فَذُلُّهُـم أَنَا لَكِ مَـا أَنَـالاَ[3].

«فبنية هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها، قد اشير لها إلى معان طوال، فمن ذلك قوله: تهلك أو تبدل، ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح طويل وهو قوله: أنا لك ما أنـالا»[4]. فالإشارة من الناحية البيانية هي لمحة دالة تشتمل على معان كثيفة، لا يفهمها إلا أرباب البيان، الذين هم على دراية عميقة بمجال صناعة الكلام.

هذا وقد اهتم علماء البلاغة بالإشارة أمثال ابن رشيق (ت 456هـ)، الذي أفاض في الحديث عنها، إذ عرض لبعض الأقسام التي تندرج تحتها، يقول: «والإشارة من غرائب الشعر وملحه، وبلاغة عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والحاذق الماهر، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح، يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه، من ذلك قول زهير[5]:

فَإِنِّي لَوْ لَقِيتُكَ وَاتَّجَهْنَا   لَكَانَ لِكُلِّ مُنْكَرَةٍ كِفَاءُ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-قدامة بن جعفر: نقد الشعر: ت: كمال مصطفى: مكتبة الخانجي، ط.3، القاهرة، ص.152.

(2)-ديوان امرئ القيس: ت: حنا الفاخوري: دار الجيل، ط.1، بيروت، 1989، ص.366، بحر الوافر.

(3)-قدامة بن جعفر: المصدر السابق: ص.153.

(4)-المصدر نفسه: ص.153.

(5)-ديوان زهير بن أبي سلمى: دار بيروت للطباعة: بيروت، 1986، ص.14. ولقد جاء البيت بلفظ آخر:
وإني لَوْ لَقِيتُكَ فَاجْتَمَعْنا : لَكَانَ لِكُلِّ مُنْدِيةٍ لِقَاءُ، والبيت من بحر الوافر.

فقد أشار له بقبح ما كان يصنعه لو لقيه، هذا عند قدامة أفضل بيت في الإشارة»[1].

ويرى ابن رشيق (ت 456هـ) أن الإشارة لها عدة أنواع من التفخيم والتعريض والتلويح، والكناية والتمثيل والرمز، واللمحة واللغز واللحن والتعمية والحذف والتورية»[2].

ويشرح أبو حجة الحموي (837هـ) إشارة الإيماء، أو اللمحة التي تدل على المعنى بقوله: «إنه إشارة المتكلم إلى المعاني الكثيرة بلفظ يشبه لقلته واختصاره بإشارة اليد، فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء، لو عبّر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة، ولابد في الإشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار لأن المشير بيده إن لم يفهم المشار إليه معناه، فإشارته معدودة من العبث، وكان النبي ﷺ سهل الإشارة كما كان سهل العبارة وهذا ضرب من البلاغة يمتدح به، والإشارة قسمان: قسم للسان وقسم لليد»[3].

و[illegible] هنا بمعنى الاختصار تجنبا للإطالة والإطناب.

~~لقد اتفق علماء البلاغة القدامى~~، على وصف الإشارة بأنها لمحة دالة، و اختصار مفهم يدل على كثافة المعنى . وهذه التعريفات تنبؤنا بأهمية الإشارة في باب البلاغة والبيان قبل أهميتها في مجال اللغة والدلالة. وذلك نظرا لتداخل العلوم فيما بينها، قبل أن تتفرع وتتجه اتجاهات متباينة.

3-الكناية: الكناية صورة بيانية تقوم على ستر المعنى المقصود بمعنى آخر مستقل في ذاته يوحي بالأول ويشير إليه لما بين المعنيين»[4]، وهي وسيلة من وسائل التعبير يُتخذ فيها مبدأ الإشارة.

-والكناية عند الجاحظ، هي ذلك الكلام الغامض والخفي في معناه. وقد اشتقها من الكُنَى، وفرّق بينها وبين الأسماء، و خصّهما بباب أشار إليه في "البيان والتبيين"، يقول:

---

(1)-ابن رشيق القيرواني: العمدة، ج.1، ص.310.

(2)-المصدر نفسه، ج.1، ص.310.

(3)-أبو حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الإرب، شرح: عصام شعيتو، دار الهلال، ط.1، لبنان، 1987، ج.2، ص.258.

(4)-ميشال عاصي، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، ص.155.

(وقال: إنما قيل ذلك لواصل[1] لأنه كان يكثر الجلوس في سوق الغزّالين، ... وكذلك كانت حال الحذاء الفقيه، وكما قالوا: أبو مسعود البدري، لأنه كان نازلا على ذلك الماء، وكما قالوا: أبو ملك السّدي؛ لأنه كان يبيع الخُمر في سُدَّة المسجد، وهذا الباب مستقصى في كتاب "الأسماء والكنى"...)[2].

فقد جعل الجاحظ لكل اسم من هذه الأسماء صفة يُكنى بها صاحبها، حسب المعنى الملازم لتلك الصفة.

ويقول في موضع آخر: (ويُقال: فلان أحمق، فإذا قالوا: مائق، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه، وكذلك إذا قالوا: أنوك، وكذلك إذا قالوا: رقيع، يقولون: فلان سليم الصدر، ثم يقولون: عيّي، ثم يقولون: أبله، وكذلك إذا قالوا: معتوه ومسلوس وأشباه ذلك) [3].

«فالعرب تلجأ إلى الكنية لأن الاسم الأول لم يعد مطابقا لمعناه الأصلي، بسبب تطور هذا الأخير وتغير صورته، فالاسم لم يعد صالحا كما كان من قبل ليعبر عن معناه القديم، وعلى هذا فإن الكنية (أو الكناية) هي اسم ثان يؤتى به لإصلاح الانحراف الظاهر في الاسم الأول»[4].

وهذه بدايات أولى في تعريف مصطلح الكناية، إذ تطلق على من يُسمى باسم ويُكنّى بآخر، من البلغاء والخطباء والحمقى وغيرهم، وذلك حسب الوصف الذي كان ملازما للاسم.

وعليه فإن الكناية تأخذ أسماء عديدة من أكثر من معنى في الكلمة، «مما يجعل الكناية أدخل في باب الإشارة والوحي منها في باب الكلام المقطع»[5]، يقول أبو عثمان: (... بل ربّ كلمة تغني عن خطبة وتنوب عن رسالة، بل ربّ كناية تربي على إفصاح، ولحظ[6] يدل

---

[1]-وأصل بن عطاء: أول من أنشأ فكرة الاعتزال، كان يطلق عليه الغزّال، (توفي عام 131هـ). (وفيات الأعيان، ج6، ص7).

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين: 43/1.

[3]-المصدر نفسه: 246/1.

[4]-محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال "البيان والتبيين": ص.322.

[5]-المصدر نفسه: ص.322.

[6]-اللحظ: هي ميزة الإشارة بالعين.

على ضمير) [1].

وغرض الكناية أيضا أن تدع الإفصاح إذا كان أوعر طريقة، فهو وسيلة أخرى لتغيير الكلام الصريح إلى الخفي، (ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها...)[2].

أو غرضها تغطية الاسم القبيح وتغييره إلى اسم يليق بالمعنى: (... الحدّة كناية عن الجهل وقال أبو عبيدة: العارضة كناية عن البذاء، قال: وإذا قالوا: فلان مقتصد فتلك كناية عن البُخل، وإذا قالوا للعامل مستقص فتلك عن الجوْر) [3].

فالكناية عند الجاحظ هي:

1-التستر على اسم بتكنيته؛ أي أن يكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه، إما تحسينا للفظ أو إكراما للمذكور.

2-أو أن تدع الإفصاح بالشيء إلى الكناية عنه، فتكون الكناية هنا أدخل في باب الإشارة والإيماء، والتلميح، والتلويح، والرمز.

أما الكناية عند ابن قتيبة (ت 276هـ) فهي: أن تنسب اسم الرجل بالأبوة للدلالة عليه، وهي عنده للتعظيم والتشريف للاسم المكنّى، وقد جعل الكنية هي الاسم، يقول: «الكناية أنواع ولها مواضع، فمنها أن تكنى عن اسم الرجل بالأبوة، لتزيد في الدلالة عليه إذا أنت راسلته أو كتبت إليه، إذ كانت الأسماء قد تتفق، أو تُعظّمه في المخاطبة بالكنية، لأنها تدل على الحُنكة[4] وتخبر عن الاكتهال[5]»[6].

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 6/2.

(2)-المصدر نفسه: 88/1.

(3)-المصدر نفسه: 263/1.

(4)-الحُنكة: اللسن والتجربة والبصر بالأمور.

(5)-الاكتهال: أي صار كهلا.

(6)-ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن: ص.256.

«وقالوا: إن كانت الكناية للتعظيم فما باله كنّى أبا لهب وهو عدوّه، وسمّى محمّدا ﷺ وهو وليه ونبيّه؟ والجواب عن هذا: أن العرب كانت ربما جعلت اسم الرجل كنيته، فكانت الكنية هي الاسم»[1]. والدليل على ذلك ما أخبر به الأصمعي عن غير واحد: «أن أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء أسماؤهما كناهما، وربما كان للرجل الاسم والكنية، فغلبت الكنية على الاسم، فلم يعرف إلا بها، كأبي سفيان، وأبي طالب وأبي ذر، وأبي هريرة»[2].

وعليه فإن للكنية والاسم نفس المعنى عند ابن قتيبة (ت 276هـ) بشروط هي:

1-أن تكون هذه الكنية عن طريق النّسب والولادة من جانب الأب، فتكون الكنية إضافية عن الاسم.

2-أو تكون للتعظيم والافتخار باسم الرجل، فتكون الكنية هي الاسم.

هذا وقد قُرنت الكناية بالتعريض[3]، حيث توقف عندها البلاغيون وعدّوها من محاسن الكلام، «وهو أن يُكنَّى عن الشيء ويعرَّض ولا يصرّح، على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء...»[4].

ويشرح السكاكي (ت 626هـ) هذا النوع من الكناية بتفصيل أكثر من خلال وظائفها المتنوعة: «...متى كانت الكناية عرضية على ما عرفت، كان إطلاقي اسم التعريض عليها مناسبا، وإذا لم تكن كذلك نُظر: فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المكنّى عنه متباعدة لتوسط لوازم، كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسبا، لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد»[5]. «وإن كانت مسافة قريبة، مع نوع من الخفاء، كان إطلاق اسم الرمز عليها مناسبا، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية»[6].

---

(1)-ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن: ص.256.

(2)-المصدر نفسه: ص.257.

(3)-التعريض: هو المشار به إلى جانب وإيهام أن الغرض جانب آخر، وسمّي تعريضا لما فيه من التعوج عن المطلوب...

(4)-أبو هلال العسكري: الصناعتين: ص.368.

(5)-السكاكي: مفتاح العلوم: ص.411.

(6)-المصدر نفسه: ص.411.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

«وإن كانت قريبة وليست خفية، كان إطلاق اسم الإيماء والإشارة عليها مناسبا»[1].

فالكناية تنوعت بتنوع الأداء، وذلك حسب الوسائط اللازمة لانتقال الدلالة من معنى إلى آخر، في الاستعمال السياقي للجملة. وكذلك حسب قرب المعنى أو بعده. ولهذا جاءت الكناية متنوعة من تعريض وتلويح وإيماء ورمز.

هذا وقد فرّق ابن القيم الجوزية (ت 751هـ) بين الإشارة والكناية بقوله: «فالفرق بينها وبين الكناية أن الإشارة في الحسن والكناية في القبيح...»[2]، «...لقد قال علماء البيان أن الكناية هي إطلاق لفظ حسن يشير إلى معنى قبيح...»[3]. إذ الغرض نفسه الذي أثبت به الكناية، هو التغطية والستر، مع ما فيها من غايات أخرى، «كالإجمال في الخطاب والدفع بالتي هي أحسن، والتجنب للهُجر من القول إذا هو أرسخ في الألفة وأمكن...»[4].

أقسام الكناية:

تنقسم الكناية باعتبار الوسائط أو السياق إلى أربعة أقسام، هي: الرمز والتلويح والإيماء والتعريض.

1-<u>الرمز</u>: لقد نظر علماء البلاغة إلى الرمز على أنه نوع خاص من الكناية، وحدّدوه من خلال نوعية العلاقة التي تربطها بالمكنّى عنه. فالقرب مع الخفاء يكمن في «قلة الوسائط التي تربط الدلالة الأولى بالدلالة الثانية، وعندما تقل هذه الوسائط تضعف القدرة العقلية المبذولة من أجل إدراك المعنى المقصود...»[5]. «وسمّي رمزا للطف الإشارة وإنما يحسن كل الحُسن بأن يجري بين المتحابين»[6]. قال زهير:

(1)-السكاكي: مفتاح العلوم،ص.411.

(2)-ابن القيم الجوزية: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: دار الكتب العلمية، ط.2، بيروت، ص.186.

(3)-المرجع نفسه: ص.187.

(4)-المرجع نفسه: ص.187.

(5)-صبحي البستاني: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية: دار الفكر اللبناني، ط.1، 1986، ص.172.

(6)-الحسين بن عبد الله الطيبي: التبيان في البيان: دار البلاغة، ط.1، بيروت، 1991، ص.172.

الودّ لا يخفى وإن أخفيته والبغض تبديه لك العينان[1].

إذ نستطيع أن نخدم هذا الانتقال في المعنى، باستعمال أدوات الرمز كالشفتين والحاجبين والغمز بالعيون، وهذا ما قصد إليه الجاحظ (ت 255هـ) في تعريفه للرمز بقوله: (ومتى دل الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا، وأشار إليه وإن كان ساكتا، وهذا القول شائع في جميع اللغات ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات) [2].

فأكثر حالات استعمال الرمز، إذا كانت الدلالة صامتة تعبر عن المعنى وتخبر عنه دون الإفصاح، فتكون الهيئة أقرب إليها، والأشياء أدل عليها. أما إذا استخدمت في الكلام فهي تشير إليه إشارة وإن كان ساكتا كتحريك الشفتين رمزا دون التصويت بالكلام.

وقد أضاف الدارسون إلى معنى الرمز معنى آخر هو الرمز الثقافي حيث: «يتداخل هذا الرمز مع رموز أخرى مثل رمز اللباس ورمز المحيط ورمز اللغة نظرا إلى تعددية معاني المصطلح، إذ يفيد مصطلح الثقافة تعريفات مختلفة تتراوح بين مجال وآخر، فلسفة، أدب، علم الاجتماع، وعلم النفس... ويترجم كل مجال مفهوما أو مفاهيم خصوصية لمعنى الثقافة»[3]. فالأمر يتعلق بكيفية تحديد الرمز كعامل مشترك بين المجتمعات لأن «الرمز الثقافي يتمثل في إبراز قيم كبرى تهم حضارة بأسرها قد يعجز عن تجسيمها رمز اللباس[4] الذي يشير في الكثير من الحالات إلى الطبقات الاجتماعية، والمجموعات العرقية، كما يعجز عن تجسيمها رمز الحركات الذي يترجم غالبا مظاهر سلوك مختلفة وحالات نفسية معينة»[5].

---

[1]-ديوان زهير بن أبي سلمى: ص.105. بحر السريع.

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين: 81/1.

[3]-عبد الله الحيدري: "صورة الخطاب حول خطاب الصورة": المجلة التونسية للاتصال: ع.26، تونس، جويلية/ ديسمبر، 1994، ص.25.

[4]-لقد كان الجاحظ سبّاقا لمثل هذا النوع من الرموز، إذ عرض لمميزات المجتمع العربي من خلال عاداته وتقاليده وأعرافه، فصوَّر لنا في "البيان" ألوانا شتى من ثقافة هذا المجتمع، بوصفه لمظاهر الحياة وأشكالها في جميع المجالات من لباس وأكل وطريقة كلام وطبيعة معاملات وغيرها.

[5]-عبد الله الحيدري: المقال السابق: ص.25.

ورغم هذا قد يصعب تحديد طبيعة المجتمع وقيمه من الرمز الثقافي وحده، لأنه قد تتنوع هذه الثقافات في المجتمع الواحد.

2-**التلويح**: إشارة عن بُعد، يكون المطلوب فيها بعيدا مع خفائه: «ويعني بالبعد أن يتنقل إلى الملزوم بوساطة لوازم[1]، وأصل التلويح هو التحريك، لهذا كان معناه بعيدا وخفيا، لا يُنال بسهولة، يقول الشريف الرضي[2]:

وَمُلْتَبِسٍ بِالرَّكْبِ بَادَرْتُ خَلْفَهُ أُلَوِّحُ بِالأَرْدَانِ وَهُوَ يَرَانِي[3].

ويُنسب إلى الفرزدق قوله[4]:

بِهِ نَدَبٌ[5] مِمَّا يَقُولُ ابنُ غَالِبٍ يَلُوحُ[6] كَمَا لاَحَتْ وُسُومُ المَصَدِّقِ

3-**الإيماء**: «هو نوع من أنواع الكناية، وهو كلام يوحي إلى العقل بفكرة عن شيء لم يصرّح به»[7]. غرضه إيصال «كلام المشار به إلى المطلوب من قريب لامع الخفاء ويعني بعدم الخفاء قوة اللزوم وسمي إيماءا لظهور المشار إليه»[8]، وهو إما تخصيص الصفات بالموصوف أو العكس.

فدلالة الإيماء أقوى من حيث المشار إليه، لأنها تدل على المطلوب من قرب مع معرفة الصفة المشار إليها، بطريقة الإيماء دائما دون التصريح.

---

(1)-الطيبي: التبيان في البيان: ص.173.

(2)-ديوان الشريف الرضي: دار بيروت لطباعة والنشر، 1981، م.2، ص.496. بحر الطويل.

(3)- لم نعثر على هذا البيت في ديوان الفرزدق وهو من بحر الطويل.

(4)-ندب: الندب والندبة: أثر الجرح على الجلد.

(5)-المصدّق: الذي يتولى جمع الصدقات.

(6)-يلوح: من التلويح.

(7)-محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب: دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ج.1، ص.149.

(8)-السكاكي: مفتاح العلوم: ص.149.

4-**التعريض**: وهو «خلاف التصريح، ويقصد به أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق نحو قولك للمؤذي «المُسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[1]، تعريضا بنفي صفة الإسلام عن المؤذي...»[2]. وهو بمعنى آخر:

«المشار به إلى جانب وإيهام أن الغرض جانب آخر، وسُمّيَ تعريضا لما فيه من التعوّج عن المطلوب، يقال: نظر إليه بعرض وجهه، أي بجانبه، ومنه المعارض في الكلام، وهي التورية بالشيء، وفي المثل: إن في المعاريض المندوحة عن الكذب، ويذكر هذا التنويه جانب الموصوف»[3].

لقد اتفق علماء البلاغة على أن الكناية هي ستر للمعنى الخفي، وهذا المعنى يُحتمل أن يكون قبيحا، فيستحسن حينئذ أن يعوّض بآخر يكون لطيفا ومهذبا، وهذا الإخفاء يتطلب أداء خاصًّا، بسبب اللوازم المقترنة بملابسات العبارة أو الجملة، لهذا وُصفت الكناية حسب وظائفها، بمصطلحات تلازمها وتتعلق بها.

فهي إما ان تكون:

1-رمزا: وهي إشارة قريبة خفية (بالشفتين والعيون وغيرها)

2-أو تكون تلويحا: وهي إشارة بعيدة.

3-أو تكون إيماءً وهي إشارة غير صريحة.

4-أو تعريضا وهي إشارة جانبية.

«ومعلوم أن الذي يريده البلاغيون من الكناية لا يعدو معنى الإشارة والتعريض والتورية، وهو بعض ما استعملها العرب فيه من معان قبل أن تدون البلاغة العربية ويتصل العرب بثقافات الأمم الأخرى»[4].

---

(1)-صحيح البخاري: كتاب الإيمان: م.1: ص.8.

(2)-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: دار الكتب العلمية، بيروت، ص.276.

(3)-الطيبي: التبيان في البيان: ص.179.

(4)-مجيد ناجي: الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز: مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1976، ص.146.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: حركات الإشارة

تعد الإشارة أداة هامة من أدوات التواصل بين الناس، وبما أن هذه الدلالة تنتج أفعالا لا متناهية يصدرها جسم الإنسان بإرادته أو بغير إرادته، فإن لهذه الأفعال ردود تعكسها من حالات الغضب والحزن والبكاء والفرح والضحك والخوف...

وقد تعددت مصطلحات هذه الأفعال الناجمة عن حركات جسم الإنسان، فوُصفت بأوصاف متعددة يبرر كل وصف منها رد فعل عن حركة ما تصدر عن الإنسان، كالتلميح، والتلويح، والإيماء، والغمز...

1-بعض الهيئات الخاصة بإشارة العين:

1-التلميح: من لمح وألمح: «فلمحه وألمحه والتمحه إذا أبصره بنظر خفيف، والاسم اللمحة»[1]، وإذا نظر الإنسان إلى غيره بعجلة قيل لمحة، وإذا اختلس النظر، أيضا قيل لمحه. كما حددت المعاجم القديمة دلالة "لمح" بأنها النظرة الخاطفة في قوله تعالى: ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[2]، أي كخطفة بالبصر»[3].

«وتفيد النصوص التي وردت بها المادة "لمح" في العربية أنها ذات دلالة هامشية في الكلام، ومعناها العام: الكلام غير المباشر الذي يأتي بطريقة مفاجئة وسريعة، وهو منقول مجازًا عن الدلالة الحسية للمادة في القديم: (اللمح بالبصر)، وهو النظرة السريعة المفاجئة تكون من بعيد»[4].

والجامع الدلالي لمادة "التلميح" الخاصة بجارحة العين هي "النظرة"، فهناك النظرة الخفيفة، والنظرة العاجلة، والنظرة المختلسة، والنظرة الخاطفة، والنظرة السريعة المفاجئة، وكلها إشارات خفية، تختلف كل نظرة عن الأخرى، بسبب اختلاف المقام الذي يعبّر عن الحالات النفسية والشعورية المتباينة.

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب: تقديم: عبد الله العلايلي: دار الجيل، بيروت، مادة لمح، ط.4، ص.393.

[2]- القمر، [50].

[3]-أبو زكرياء الفراء: معاني القرآن: ت: عبد الفتاح إسماعيل شلبي: مراجعة: علي النجدي ناصف، ج.3، ص.110.

[4]-محمد محمد داود: الدلالة والحركة: دار غريب، مصر، ص.320.

2-**الغمز**: «غمرتُ الشيء بيدي، وغمزته بعيني، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[1]، ومنه الغمز بالناس، والغمز في الدابة: أن يغمز من رجله، والغمز بالتحريك، رذال المال: ورجلٌ غمزٌ أيضا، أي ضعيف، وأغمزت في فلان: إذا عبته وصغّرت من شأنه»[2].

والغمز يكون بالعين والحاجب وقد يكون باليد: «والغمز: العصر باليد... وفعلت شيئا فاغمتزه فلان أي طعن علي ووجد بذلك مغمزا»[3].

«وقد وردت كلمات المادة في القرآن الكريم بمعنى السخرية (بالإشارة)، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[4]، وفي الشعر الجاهلي بمعنى حسي حركي كما في قول الخنساء[5]:

تَعَرّقَنِي الدّهْرُ نَهْسًا وَحَزًّا وأَوْجَعَنِي الدّهْرُ قَرْعًا وَغَمْزًا»[6].

«فالغمز ضرب من الحركة بالعين والحاجب، وقد وردت اللفظة في سياقات أخرى بمعنى الكلام غير المباشر، وهو معنى قريب من الدلالة الكلامية (الكلام الساخر...)»[7].

إذن أصل مادة "الغمز" الخاص بالعين والحاجب هو التحريك، وكثيرا ما نقل هذا المعنى الكلام الخفي الذي يلمّح ويشير إلى العيوب.

(1)- المطففين، [30].

(2)-الجوهري: الصحاح: ج.3؛ مادة "غمز"، ص.889.

(3)-محمد محمد داود: الدلالة والكلام؛ مادة "غمز"، ص.229.

(4)- المطففين، [30].

(5)-ديوان الخنساء: دار الأندلس: ط.9، بيروت، 1983، ص.86. بحر المتقارب.

(6)-محمد محمد داود: المرجع السابق؛ ص.229.

(7)-المرجع نفسه؛ ص.229.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-**الحدْج**: دلالة الحدج متعلقة بالبصر كذلك، لأنه قيل: «إن رمى أحد ببصره مع حدّة نظره قيل حدجه بطرفه»[1]. «فحدجه يحدجه حدْجا ببصره: إذا رماه به وحدجه بسهم إذا رماه به، وحدجه بذنب إذا حمله عليه»[2].

«والتحديج هو النظر بفزع أيضا: «وقال العجاج يوصف الحمار والآتان: إذا اثبجرّا[3] من سواد حدّجا...». والتحديج: مثل التحديق»[4].

والجامع الدلالي لمادة "الحدج" المتعلقة بجارحة العين هي النظرة كذلك:

فهناك النظرة الحادة والشديدة برمي البصر. والنظرة المحدّقة للتحقيق. ونظرة الفزع والارتياب.

4-**اللحظ**: "قيل اللحظة: النظرة من جانب الأذن، تتم بمؤخر العين من أي الجانبين يمينا أو شمالا»[5].

«واللّحاظ بالفتح: مؤخر العين، واللّحاظ بالكسر: مصدر لاحظته إذا راعيته»[6].

«والملاحظة بمفاعلة من اللحظ، وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ»[7].

وتتم إشارة اللحظ بالعين للاستدلال عمّا في الضمير لقول الشاعر[8]:

يَرْمُونَ بِالخُطَبِ الطِّوالِ وَتَارَةً وَحْيَ المَلاَحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ»

---

(1)-أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وأسرار العربية: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص.68.

(2)-الجوهري: الصحاح: ج.1: مادة "حدج"، ص.305.

(3)-اثبجرّا: ارتد من فزع.

(4)-الجوهري: المصدر السابق: ص.305.

(5)-ابن منظور: لسان العرب المحيط: م.5: مادة "لحظ"، ص.349.

(6)-الجوهري: المصدر السابق: ج.3: مادة "لحظ"، ص.1178.

(7)-ابن منظور: المصدر السابق: ص.349.

(8)-الشاعر هو أبو داود الإيادي، والبيت في البيان والتبيين، 44/1، بحر الكامل.

فاللحظ ضرب من الحركة يتم بمؤخر العين، وهي نظرة جانبية سريعة وخفية، وكثيرا ما ينقل معنى العداوة والبغض، قيل: «فإن أعاره لحظ العداوة قيل نظر إليه شزرا»[1]. والنظر الشزر فيه إعراض كنظر المبغض والمعادي.

5-**التلويح**: لوّح ولاح الشيء يلوح لوْحا أي لمح: وهو النظر الخفي كاللمحة، قيل «فإن نظر إلى الشيء كاللمحة ثم خفي عنه، قيل: لاحه ببصره لوحة كما قال الشاعر: وهل تنفعني لوحة لو ألوحها»[2].

«ولُحت إلى كذا ألوح: إذا نظرت إلى نار بعيدة... ولاح البرق يلوح لوْحًا ولوُوحًا ولوحَانًا أي لمَحَ، وألاح البرق: أو مض...»[3].

واللوح من الوضوح والظهور يقال: «ولاح لي أمرك: وتلوّح: أي: وضح»[4].

ومادة "لوح" تأتي بمعنى النظر الخفي والبعيد، وهي متعلقة بالعين، أو بالإشارة باليد التي تستعين بأي شيء لتلوّح به عن بعد، والجامع الدلالي بين الفعل "لوّح" والفعل "لمح" هو السرعة في الحركة.

6-**الومض**: هي إشارة سريعة وخفية، «والوميض أي يومض البرق إيماضة ضعيفة، ثم يخفى ثم يومض، وليس في هذا بأس من مطر قد يكون وقد لا يكون، وأومض: لمع، وأومض له بعينه: أومأ، وفي الحديث[5]: «هلا أومضت إليّ يا رسول الله»، أي هلا أشرت إليّ إشارة خفية، وأومضت المرأة: سارقت النظر، ويقال: إذا أومضته فلانة بعينها إذا ترقت»[6].

---

(1)-الثعالبي: فقه اللغة: ص.68.

(2)-المصدر نفسه: ص.68.

(3)-اللسان: م.5: مادة "لوّح"، ص.409.

(4)-المصدر نفسه: ص.409.

(5)-مسند الإمام أحمد بن حنبل: دار الفكر، ج.3، ص.151.

(6)-ابن منظور: لسان العرب: ج.6: مادة "ومض"، ص.4927.

فالومض هو إيماء خفي يتم بجارحة العين، دلالته مسارقة النظر، وهي إشارة خفية خاطفة ومن ذلك قول بعضهم لمتزائر لهورآه يومئ إلى امرأته:

«لاَ أُحِبُّ النَّدِيمَ يُومِضُ بِالعَيْنِ إِذَا مَا خَلاَ بِعِرْسِ النَّدِيمِ»[1].

7-التحميج: قال أبو عبيدة (ت 210هـ): «التحميج شدة النظر، وحمّج الرجل عينه تحميجا يستشف النظر، إذا صغرها»[2]. وطريقتها:

-إما بفتح "العين" وتحديد النظر كأنه مبهوت، أو فتحها فزعًا ووعيدًا فيكون النظر هنا بخوف.

-وإما تصغير "العين" لتمكين النظر وتحقيقه.

«والتحميج عند العرب: نظر بتحديق»[3].

وقيل: «التحميج: التغير في الوجه من الغضب وغيره، وحمّجت العين: إذا غارت...»[4].

والجامع الدلالي لمادة "حمّج" التي تتم بجارحة العين هي النظر كذلك:

فالنظر الشديد هو للتحقيق في الشيء والتمكن منه، والنظر الحاد خوفا وفزعًا، والنظر بتحديق في الشيء، ولا يظهر الفرق كبيرًا بين دلالة "التحميج" و"التحديج" سوى أنه «إن فتحت عين مفزّع أو مهدد قيل حمّج وإن بالغ في فتحها وأحدّ النظر عند الخوف قيل "حدج"»[5].

هذا وإن للعين حركات أخرى تدل على هيئاتها المختلفة، حسب الحالات النفسية التي يتعرّض لها الأشخاص من حين لآخر، وحسب ما تحدثه ردود الأفعال التي يتلقاها الطرف

---

[1]-البيت مذكور في البيان والتبيين، 347/3. وهو من الخفيف، وصاحبه: أبو عطاء السِّندي.

[2]-الجوهري: الصحاح: ج.1: مادة "حمّج"، ص.307.

[3]-ابن منظور: لسان العرب المحيط: م.1: مادة "حمّج"، ص.712.

[4]-المصدر نفسه: ص.712.

[5]-الثعالبي: فقه اللغة: ص.68.

الأول من الثاني أو العكس، ومن هذه الأفعال: دلالة "التقطيع"، و"الغض"، و"الطرف" وغيرها.

2-بعض هيئات الإشارة باليد:

1-التلويح: «يقال: ألاح بالسيف ولوّح: لمع به وحركه، وألاح إذا تلألأ وبدا، ويقال: لاح السيف والبرق، يلوح لوْحًا... وألاح ولوّح به، أخذ طرفه بيده من مكان بعيد، ثم أداره ولمع به ليريه من يحب أن يراه. ولوّحه بالسيف والسّوط والعصا علاه بها فضربه»[1].

والتلويح هي تلك الحركة التي تحدثها اليد، بإشارتها التي تستعين بأي شيء تحمله كالسيف والثوب... وتفيد هذه الدلالة الحركية التي تتم في «اتجاهين مختلفين (للأمام والخلف أو يمنة ويسرة)، بإظهار الشيء المشار به لآخر فيراه فيفهم المراد من هذه الإشارة (التلويح)؛ فقد يكون الغرض منها الاعتراض والاحتجاج، أو التحية أو التهديد أو التهنئة وما إلى ذلك من دلالات...»[2].

فالجامع الدلالي لمادة "لوّح" التي تتم باليد، هي تلك الإشارة التي تستخدم فيها أدوات خارجية قصد إظهار الشيء وتبيينه.

2-اللمع: اللمع بالثوب هو نفسه التلويح به أو بالسيف، «يقول أبو عبيد: ألاح بالسيف، لمع به، وقال: أخفق بثوبه وألوى ولوّح به كله سواء»[3].

«ولمع الشيء يلمع ولمعانًا: برق وأضاء، وألمع: أشار، وقيل: أشار للإنذار.

ولمع أعلى، وهو أن يرفعه ويحركه ليراه غيره فيجيء إليه، ومنه حديث زينب[4]: «رآها تلمع من وراء الحجاب، أي تشير بيدها»[5].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-ابن منظور: لسان العرب المحيط، م.5، مادة "لوح"، ص.409-410.

(2)-محمد محمد داود: الدلالة والحركة، ص.468.

(3)-ابن سيده الأندلسي: المخصص، دار الفكر، بيروت، 1978، م.4، ص.156.

(4)-صحيح مسلم: كتاب "الزكاة"، رقم الباب "51"، رقم الحديث "167"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج.2، ص.752-753.

(5)-ابن منظور: اللسان، ج.5، مادة "لمع"، ص.4074-4075.

ودلالة "اللمع" تتم بالإشارة باليد أو بالثوب أو بأي شيء آخر يتحرك.

وقد قيل: لمع الرجل بيديه: إذا أشار بهما، وألمعت المرأة بسوارها وثوبها كذلك. ولمع الطائر بجناحيه يلمع وألمع بهما، حركهما في طيرانه وخفق بهما... وألمعت وهي مُلمع أيضا، تحرك ولدها في بطنها»[1]. وقد تنتقل دلالة "لمع" إلى الإشارة بالعين: ففي الحديث: «إذا كان أحدكم في الصلاة فلا يرفع بصره إلى السماء يُلتمع بصره»[2]. أي يختلس، ويقال: «ألمعت بالشيء إذا اختلسته واختطفته بسرعة»[3].

فاللمع أصله الحركة، وهي إشارة سريعة تتم باليد أو بالعين غرضه الإيضاح والتبيين، وطريقة أدائه: «أنه إذا أراد الشخص أن يضرب كفيه معًا ويرفع ثوبه ويلوي به، فذلك هو اللمع»[4].

3-الإلواء: «هو تحريك السبابة وحدها»[5].

«وهي حركة دالة تستخدم كلغة جسدية للتعبير عن معانٍ في النفس كالضيق والرفض والتعجب، حسب ما يظهر من السياقات المختلفة»[6].

4-الإيماء والإيباء: «قالوا إذا أشرت إلى من أمامك قلت "أومأت إلى فلان" "أي إذ دعا إنسانا بكفه قابضا أصابعها فذلك هو الإيماء»[7].

---

(1)-ابن منظور: اللسان: مادة لمع: ص.4075.

(2)-مسند الإمام أحمد بن حنبل: دار الفكر: ج.3: ص.441.

(3)-ابن منظور: المصدر السابق: ج.5: مادة "لمع"، ص.4076.

(4)-الثعالبي: فقه اللغة: ص.121.

(5)-المصدر نفسه: ص.121.

(6)-محمد محمد داود: الدلالة والحركة: ص.544.

(7)-الثعالبي: المصدر السابق: ص.121.

«وإن أشرت إلى من خلفك قلت (أوبأت إليه) [1] بالباء، أي إذا حرّك يده على عاتقه وأشار بها إلى من خلفه "أن كف" فهو الإيباء»[2].

وقد قيل أن الإشارة على أي وجه كانت هو الذي يطلق عليه الإيماء، أما "الإيباء" فهو خاص بالإشارة إلى الخلف فقط .

3-بعض الحركات التي تؤدّى بأي عضو من أعضاء الجسم:

هناك أفعال تشارك في الإشارات بأعضاء الجسم، فتطلق دلالتها على أي عضو، فمثلا: الإيماء: هو الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب، وقد قال بعض النحويين: أَرَادَتْ كَلاَمًا فَاتَّقَتْ مِنْ رَقِيبِهَا فَلَمْ يَكُ إِلاَّ مَوْؤُهَا بِالحَوَاجِبِ[3].

وأكثرها استعمالا، ذلك الإيماء الذي يحدث بالرأس، فنقول: «أومأ برأسه».

أما الرمز: فإنه فعل خفي تؤديه الأعضاء بالحركات إيماءا، إذ يحدث الغمز بالحاجب والعين، والإيماء بالرأس، وأكثرها تداولا تلك التي تحدث بالشفتين والفم. فنقول: «رمز بشفتيه».

واللوح واللمع يشتركان في عضوين اثنين هما "اليد" و"العين"، إلا أنهما أكثر استعمالا في الإشارات التي تحدثها اليد بحملها لأشياء كـ"السيف" و"العصا" و"الثوب"، فنقول: "لمع بثوبه"[4] و"ألاح بكمّه"[5] و"أشار بيده"[6].

---

[1]-الأمير ناصر الدين: معجم دقائق اللغة مكتبة لبنان، ط.1، لبنان، 1997، ص.31.

[2]-الثعالبي: المصدر السابق: ص.121.

[3]-البيت الطويل: مجهول النسبة.

[4]-ذكرها الثعالبي (ت 430هـ) في فصل له سماه "فصل في تقسيم الإشارات": ص.121.

[5]-المصدر نفسه.

[6]-المصدر نفسه.

4-جدول يلخص أهم الإشارات التي تحدثها أعضاء الجسم من خلال هيئاتها وتصرفاتها[1]:

الفعل	العضو	هيئته وحركته
1-أسجد	العين	1-إذا أدام النظر مع سكون
2-البرق	العين	2-إذا برقت عينا الشخص أي لألأهما: قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾. القيامة [7].
3-تبصَّر	العين	3-إذا نظر غلى أفق الهلال ليراه.
4-تصفح	العين	4-إذا نظر في كتاب أو حساب ليهذّبه أو ليستكشف صحته وسُقمه قيل: تصفحه.
5-توضَّح	//	5-إذا نظر إليه نظر المستثبت.
6-حدج	//	6-إذا رماه ببصره مع حدّة نظره.
7-حدّق	//	7-إن فتح جميع عينيه لشدة النظر.
8-حمّج	//	8-فإن فتح عين مفزّع أو مهدّد قيل "حمجه".
9-رمق	العين	9-إذا نظر الإنسان، بمجامع عينيه.
10-شخص	//	10-إن فتح عينيه وجعل لا يطرف وفي القرآن ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الأنبياء [97]
11-الشزر	//	11-إذا أعاره لحظ العداوة.
12-شفن إليه	//	12-إذا نظر إليه نظر المتعجب منه أو الكاره له أو المبغض إياه.
13-طرف	//	13-تحريك الجفون في النظر
14-نظرة ذي "علق"	//	14-إذا نظر إليه بعين المحبة.
15-غضّ	//	15-إذا كسر طرفه وأطرق ولم يفتح عينيه.
16-فتر	//	16-إذا ضعفت جفونه فانكسر طرفه.
17-لاح	//	17-إذا نظر إلى الشيء كاللمحة ثم خفي عنه قيل لاحه لوحة.
18-لحظ	العين	18-إذا نظر إليه من جانب أذنه.
19-لمح	العين	19-إذا نظر إليه بعجلة ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾. القمر [٥٠].

[1]-هذه الأفعال مأخوذة من كتاب: نهاية الإرب، النويري: ج.2، ص.44. وكتاب: فقه اللغة: للثعالبي: ص.68، 121.

20-نفض	العين	20-إذا نظر غلى جميع ما في المكان حتى يعرفه قيل نفضه.
1-الاستكفاف	اليد	1-إذا نظر الإنسان إلى قوم في شمس فألصق حرف كفه بجبهته.
2-الاستشفاف	اليد	2-إذا زاد في رفع كفه عن الجبهة.
3-الاستشراف	اليد	3-إذا كان أرفع من ذلك قليلا
4-الاعتصام	//	4-إذا جعل كفيه على المعصمين
5-الاعتضاد	//	5-إذا وضعها على العضد.
6-الإلواء	//	6-إذا حرك السبابة وحدها
7-الإيباء	//	7-إذا حرك يده على عاتقه وأشار بها إلى ما خلفه أن "كُفّ".
8-الإيماء	//	8-إذا دعا إنسانا بكفه قابضا أصابعها.
9-التبلّد	//	9-إذا ضرب إحدى راحتيه على الأخرى.
10-التلويح	//	10-إذا أشار بأي شيء في يده.
11-اللمع	//	11-إذا أراد كفيه معا ورفع كوبه فألوى به.
1-الإلواء	الرأس	1-يلوي برأسه (أي يديره) لقوله تعال : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾. (المنافقون، 5)
2-الانغاض	الرأس	2-تحريك الرأس إلى فوق أو أسفل : ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾. (الإسراء، 51).
3-الإيماء	الرأس	3-أومأ برأسه.
4-التزمزم	الشفتين	4-تحريك الشفتين للكلام.
5-الرمز	الشفتين والفم	5-تحريك الشفتين والفم:
6-الغمز	الحاجبين أو بالعين	6-تحريك الحاجبين، قوله تعالى: : ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾المطففين، [30].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:

دلالة الإشارة في اصطلاح البيان عند الجاحظ

المبحث الأول: الإشارة عند الجاحظ

المبحث الثاني: تطبيقات دلالة الإشـــارة مـــن خلال البيان والتبيين.

المبحث الثالث: نتائج واستنتاجات ومقارنات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الإشارة عند الجاحظ

تقديم:

لقد أبدى الفلاسفة القدامى اهتمامهم بالإشارة قبل الجاحظ، وأول تفكير جدي حول الإشارات يرجع إلى اليونان بمفكريها المشهورين أمثال: أفلاطون (ت 347ق.م) وأرسطو (ت 322ق.م)، حيث ارتبطت الإشارة عندهم بكل الأشياء المحيطة بهم، وإن كان أصلها يرجع إلى كل الرموز اللغوية التي حدثت بحدوث الأصوات والكلمات المنطوقة. يقول أرسطو (ت 322ق.م): «إن الأصوات ليست واحدة عند البشر، كذلك الكلمات المنطوقة ليست واحدة، على الرغم من أن الحالات النفسية التي تعبّر عنها هذه الإشارات المباشرة هي نفسها عند الجميع، كما أن الأشياء التي تصوّرها هذه الحالات النفسية هي نفسها في جميع الحالات»[1]. ذلك أن قدرات الإنسان واستطاعته في التعبير، تختلف من شخص لآخر حسب صناعته التي ينتمي إليها. فالشاعر في طريقة تعبيره يختلف عن الأديب والناقد والفنان، وإن تشابهت الحالة النفسية لكل واحد منهم.

وأرسطو (ت 322ق.م) في كتابه[2]، ذكر هذه المنفعة التي يمنحها الشعر مثلا، كصناعة من الصناعات الكلامية التي لا تستقيم إلا بالوزن والإيقاع وتخير الألفاظ.

إذ في معرض حديثه عن منافع الشعر وأغراضه، تحدث عن أنواع التعرف كوسيلة من وسائل الإبانة والإفهام، والتي لا تتم في نظره إلا بالعلامات التي تدل على الأشياء، أو بما يفتعله الشاعر الذي يتخذ الخيال طريقا له، أو «بالتذكر، كأن يرى الإنسان شيئا فيحصل له إحساس، أو التعرف بطريق البرهان العقلي، وأفضلها عند أرسطو تلك التي تنشأ من الأعمال نفسها»[3]. «ومثل هذا التعرف دون غيره يستغني عن اصطناع العلامات والعقود، ويليه التعرف الذي يكون عن طريق البرهان، وكذلك ينبغي على الشاعر أن يبذل جهد طاقته بعمله بالإشارات»[4].

---

(1)-محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث: نهضة مصر للنشر والتوزيع، ص.39.

(2)-انظر كتاب الشعر: لأرسطو طاليس: ت: عبد الرحمن بدوي : ص.44- 45

(3)-مجيد عبد الحميد ناجي: الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز: ص.101.

(4)-المرجع نفسه: ص.101-102.

وقد أخذ الجاحظ (ت 255هـ) هذه الأنواع، ووظفها في كتابه "البيان" حين تحدث عن أصناف الدلالات البيانية. وما العلامات إلا جزء من هذه الدلالات، حيث حملت في مضمونها معنى الاتصال اللغوي وغير اللغوي في التعبير وإيصال المعنى. وإذا أردنا التفصيل أكثر فإن الدراسات القديمة تحاول أن تجد تعريفا دقيقا للغة التي تُعد مجموعة من العلامات والرموز، «فاللغة هي الأصوات التي يحدثها جهاز النطق الإنساني والتي تدركها الأذن، وهي بذلك تقابل مجموعة من الدلالات الاصطلاحية الأخرى التي يستعان بها على توصيل دلالات مختلفة، أيا كانت الحاسة التي يتجه إليها أو يخاطبها أي نظام. ومن الممكن نظرا أن يقابل كل حاسة من الحواس الإنسانية نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالة، وهي تكون سمعية إن خاطبت الأذن، وبصرية إن خاطبت العين، ولمسية إن خاطبت اليد، وشمية إن خاطبت الأنف، ومذاقية إن خاطبت اللسان. ومن أشهر هذه الأنظمة من العلامات تلك التي تقوم على الإشارة وتخاطب العين، وتلك التي تخاطب السّمع بمعناها الحق»[1].

«ومن هنا ندرك قصور اللغة في شكلها الموضوعي التحليلي عن تناول كثير من الظواهر والتجارب، ولاسيما الظواهر الروحية، النفسية، لأن تلك اللغة تصلح لتحليل الظواهر الفيزيائية الكونية التي تكون خاضعة للإدراك الحسي، أما الظواهر والتجارب النفسية والحيوية فإنها أحوج ما تكون إلى لغة الإيحاء والرمز والإشارة»[2].

إذ إن الإشارات المعتمد عليها في الاتصال غير اللغوي هي تلك التي تنتج عن إيماءات وحركات متعددة ومعقدة، اختلفت عند القدامى من حيث أسبقية ظهورها على لغة الكلام، ومدى فعاليتها، وآدائها على مستوى الواقع، وذلك لأن نظرة الإنسان القديم للطبيعة، جعلته يحس بوجودها من خلال مناظرها، فشعر أن كل شيء يحيط به يريد أن يتحدث ويتكلم، «...فكان في رأيه أن الطبيعة تكلم الإنسان، تحذره أو تهدده، تخيفه أو تشجعه، فالشمس تومئ إيماءة ودية حين ينصل منها شعاع ضوء من وراء السحاب، وقد يتحدث الرعد بنغمة تثير الهلع إلى من خرج عن طاعة الأرباب... أصبح كل هذا الآن وهم الشعراء، بيد أن الإنسان البدائي كان يحمله في الماضي على معناه المباشر لا المجازي، فكل

(1)-محمد السعران: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ص.63-64.

(2)-ناصر لوحيشي: "الرمز الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة مولود معمري. تيزي وزو، 1996، ص.52.

أحداث الطبيعة كانت عنده لغة... وقد اختفت اليوم تلك المعتقدات البدائية وتلاشت الصورة الساذجة عن "الطبيعة المتكلمة" وحلت محلها الآن معرفة جديدة تفيد أن الكائنات الحية هي وحدها القادرة على أن يتحدث أفرادها إلى بعضهم البعض»[1].

وقد تطور علم الإشارة بأن أصبح يُدرس ضمن علم السيموطيقا: «وهو علم حديث ومعناه نظرية الإشارات والرموز (الكلمة مشتقة عن كلمة يونانية قديمة هي سيميو Semion ومعناه إشارة). ويدرس هذا العلم لغة الإنسان والحيوان وغيرها من اللغات غير اللسانية باعتبارها نسقا من الإشارات والرموز، وهي نظم عديدة ومتباينة مثل علامات المرور والإشارات الاصطلاحية وأساليب العرض في واجهات المحال التجارية والخرائط والرسوم البيانية وغيرها، وتتناول السيموطيقا بالدراسة أي نسق من الإشارات أو أي لغة تستخدمها وحدات من الكائنات أيا كانت طبيعتها»[2].

إذن مصطلح الإشارة ضارب في القدم، إلا أنه بقي غامضا في مجالاته الواسعة، لم تحدد معالمه، ولم تكشف أسراره سوى هذه العلوم التي تطورت تقنية الدراسة فيها: «حيث لعبت الإشارة حيّزًا هامًّا في شبكة التواصل المتعدد الأقنية في عصرنا الحالي، وهي وإن كانت تمثل الوسيلة الأقدم للتواصل البشري في المجتمعات البدائية، فإن الحضارة الإنسانية تشهد ازديادًا ملحوظًا في استعمالها. فالعقل البشري يلجأ إلى الاقتصاد في الحركات والجهود العضلية التي يستعملها ضمن عملياته الفكرية والتواصلية، وذلك بأن يختصر الأفكار المجردة والعمليات المطولة، بما يمكن أن يرمز إليها أو يدل عليها، والإنسان في عصرنا الحاضر يجد نفسه في عالم تحتل الإشارة فيه مكان الشيء رويدا رويدًا»[3].

---

(1)- كندر إتوف: كتاب الأصوات والإشارات، ترجمة: شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، ص.9.

(2)- المرجع نفسه، ص.10.

(3)- محمد نادر سراج، "التواصل غير الكلامي بين الخطاب العربي القديم والنظر الراهن"، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع.80-81، بيروت، 1990، ص.82.

1-نظرية الإشارة عند الجاحظ:

لقد تبلورت فكرة الإشارة عند الجاحظ، حين توجهت عنده وجهة خاصة، إذ عدّها وسيلة من وسائل البيان الذي يُوصف بأنّه أعلى مراتب الكشف عن المعاني بالاستدلال عليها، فجاءت الإشارة في باب البيان مصنّفة ضمن الدلالات الخمس، شأنها شأن اللفظ والخط والعقد والنصبة. وقبل تعرّضه لمصطلح الإشارة وطبيعتها، راح يوضّح حقيقة المعاني ودورها في عالم اللغة والدلالة، ثم علاقة الإشارة في تأدية المعنى الذي يُعد ضروريا في باب البيان. (قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم... مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة،... لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره... إلا بغيره، إنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفهم، وتجليها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهرا، والغائب شاهدا، والبعيد قريبا... وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة... يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، كانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان...)[1]. فأولى اهتمامات الجاحظ في هذا الباب، والتي ظهرت جليا في النص، تلك المصطلحات ذات الأبعاد اللغوية والدلالية، بعناصرها المميزة لها وهي: 1-المعاني، 2-الدلالة واللغة، 3-الإشارة، 4-البيان. وقد انطلق من الجزء إلى الكل بطريقة الاستقراء المنطقية التي اعتمدها كأداة هامة من أدوات الاستدلال، بدءا بالدلالة واللغة، ثم الإشارة كوسيلة غير لغوية، إلى البيان كفكرة شاملة لجميع هذه الدلالات.

1-المعاني: كلمة المعنى تطلق ويُراد بها أكثر من وجه، ذلك أننا نستعملها في الإشارة إلى الذهن والنفس والخاطر والفكر، فالصدور والنفوس والخواطر منبعها القلب، والفكر والاذهان منبعها العقل، فهذه المعاني المجردة والمحيطة بنا من كل جانب لا يفهمها إلا من اتصل جسمه وعقله بها، أي هي إحساس وشعور متدفق ينبع من القلب، ويقذفه إلى

[1] -الجاحظ: البيان والتبيين: 1/ 75.

العقل الذي يستخدم أدواته المنطقية في الاستدلال والاستنتاج. وأهم مميزات هذه المعاني، أنها مستورة خفية أو بعيدة وحشية أو محجوبة مكنونة، وكلها مصطلحات خاصة تداولها علماء الكلام والفلاسفة في نصوصهم، لأن تحليلها يعتمد على التأمل العميق في معناها، وإن كان المراد تحديد خصائص المعنى «فإن أهم خاصية للمعاني كما يُستفاد من كلام الجاحظ "الخفاء"، إنها تبدو معدومة لشدة استتارها على الرغم من وجودها داخل الإنسان، والخاصة الثانية هي كونها مجهولة من جميع الناس عدا صاحبها، وهذه الخاصة تنتج عن الخاصة السابقة لأن كل خفي مجهول»[1].

فحقيقة المعاني في مجالها اللامحدود واسعة لا تستوعبها الألفاظ بحصرها أو إحصائها، لهذا فإن اللغة هي التي تحدد لنا مجال التواصل بين الآخرين، وحدود التعارف منشؤه هذه المعاني التي يبتكرها الإنسان بالإضافة إلى المعاني التي يتلقاها عن الآخرين.

2-الدلالة واللغة: أهم ما يميز اللغة أنها اجتماعية، لا تنفصل عن الجماعة، فهي ليست وليدة فرد من الأفراد بل هي كيان متصل وموجود منذ النشأة الأولى (لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه...)[2]، عبارة قد تدلنا على ضرورية الاجتماع البشري كي يحدث الاتصال اللغوي، فالمعلومات التي تخبرك عن الصاحب والأخ والشريك والمعاون لا تدركها ولا تعلم حاجاتها إلا إذا وُجد الآخر الذي يخبرك عنها. وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن هناك علاقة وطيدة بين مدوّنة الجاحظ القديمة التي يتحدث فيها عن اللغة، وبين ما قامت به هذه الدراسات التي انطلقت من قولها بأن اللغة هي أداة اتصال، عناصرها هي الرسالة والمرسل والمستقبل والشفرة.

أما الرسالة فهي ⟵ المعاني القائمة في صدور الناس.

المرسل ⟵ هو الإنسان المتحدث.

المستقبل أو المتلقي ⟵ هو الإنسان الآخر.

الشفرة ⟵ هي اللغة التي بها تحيا هذه المعاني.

---

[1]-علي بوملحم: المناحي الفلسفية: ص.238.

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين: 75/1.

فاللغة التي حدثنا عنها الجاحظ، استعمالاتها كثيرة، ووسائلها متعددة، لا تتم إلا إذا ذكرها الإنسان أو أخبر عنها، أو استعملها، وكأنه يريد أن يوجهنا إلى الاهتمام بالدلالة اللغوية التي تعني في الدراسات الحديثة: «دلالة الألفاظ المنظومة في التراكيب على معانيها المشهورة في استعمال أصحاب اللغة، وهي المعاني التي تسبق إلى الأذهان عند وقوع هذه التراكيب على الأسماع، أي أنها المعاني التي لا يحتاج المخاطب إلى إدراكها إلى جهد يُبْذل في تأملها، أو في التفكير فيما يمكن أن يراد بعبارتها، لأنه تدرب على استعمال هذه الألفاظ في تلك المعاني، كما يرى أبناء جنسه وأصحاب لغته يستعملونها فيها في التفاهم والخطاب»[1] لهذا فهو يقول: (وعلى قدر وضوح الدلالة... يكون إظهار المعنى) [2]، وهو المعنى الذي يقابل قوله: (وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم وتجليها للعقل...)[3]، أي أنه لكي تكون الدلالة واضحة، يجب أن تكون الأفكار مقربة للفهم ومجلية للعقل، ولا تكون كذلك إلا باستخدام اللغة التي تدرب أصحابها على استعمال ألفاظ معينة لمعاني معينة، والغرض دائما هو السعي للكشف عن هذه المعاني المستترة.

3-الإشارة: (وصواب الإشارة) [4]، يقابله معنى: (تجعل الخفي منها ظاهرا والغائب شاهدا، والبعيد قريبا) [5]، حيث أثبتت الدراسات الحديثة أن وظيفة الإشارة متعددة ومسالكها متشعبة، وأحسن ما توصف به أنها تجعل الشيء الخفي ظاهرا، أي تستطيع أن تعبر عن الأشياء بحركة أو فعل تستغني فيه عن الكلام فيصل المعنى بسهولة، كما أنها تشترط الحضور لأداء هذه الوظيفة، فهي تجعل "الغائب شاهدا"[6]، وتقرب البعيد أي أن هذه الحركة

---

(1)-بدوي طبانة: "معاني الكلام"؛ مجلة مجمع اللغة العربية؛ ج.24، القاهرة، "يناير" 1969، ص.107.

(2)-الجاحظ: البيان والتبيين؛ 75/1.

(3)-المصدر نفسه؛ ص.75.

(4)-المصدر نفسه؛ ص.75.

(5)-المصدر نفسه؛ ص.75.

(6)-الشاهد والغائب: مصطلح استخدمه علماء الكلام، وهو نوع من التمثيل يستعملونه للاستدلال، وقد كان الشاهد عندهم عبارة عن الحس وتوابعه، ويدخل فيه كل ما يشعر به الإنسان من أمور نفسه كعلمه وإرادته وقدرته، والغائب ما ليس بمحس فيثبتون في الغائب حكم الشاهد لما بينهما من المشابهة في أمر ما، (أنظر موسوعة مصطلحات علم المنطق؛ طبعة لبنان، 1996)

يجب أن تتم عن قُرب. ثم إن الجاحظ يقابل بين الدلالة والإشارة من حيث وضوحها، ليصل إلى فائدتها المرجوة بقوله: (كلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، كانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع) [1].

فدلالة الإشارة لها وظيفة الإظهار والتوضيح والتقريب، لهذا فهي أنفع وأنجع.

4-**البيان**: هو العلم الواسع والشامل لجميع هذه الدلالات، لأنه كما جاء في تعريفه له هو: (الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي) [2]، فنجده قد انطلق من الدلالة ليصل إلى هذا البيان، الذي تعددت وسائله بواسطة وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل.

نتائج:

1-أسلوب الجاحظ في باب "البيان"، اتخذ منحى مغايرا على غرار نصوصه الأخرى، فقد كان تعبيره مستمدا من تفكير علماء الكلام والمنطق والفلاسفة، حيث استخدم مصطلحاتهم العميقة الدلالة، كالغائب والشاهد، والغفل والموسوم، والمطلق والمقيد، والخفي والظاهر، وهي دلالات تنبع من فكرهم المتغلغل جذوره إلى أعماق المعاني المجرّدة والخفية.

2-اعتمدت نظرية الجاحظ على تفسير اللغة من باب علم الدلالة الذي يُعدّ علمًا قائمًا بذاته، اهتم به المحدثون، إذ انطلق من الثنائية المعروفة: "الدال" و"المدلول"، مشيرا إلى العلاقة الوطيدة بينهما، فغاص عميقا في تحليلها بأن أثبت أهميتها في باب التواصل الذي اصطلح على تسميته قديما بالبيان.

3-تتنوع الدلالة عند الجاحظ، بتنوع وظائفها، فهي تستخدم لتدل على المعاني القائمة في صدور الناس، وتُستعمل في مجال اللغة التي يتداولها المجتمع، كما تستخدم في مجال الإشارة المتعددة التقنيات، وهي كلها تدخل في باب البيان الذي يكون أخص في مجال الدلالات، لأن البيان عند الجاحظ هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي.

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 75/1.

(2)-المصدر نفسه: 75/1.

4-لقد أكد لنا الجاحظ في باب "البيان"، أن هناك مجالات أخرى في التواصل البشري، تؤدي غرضها غير اللغة بمعناها الواسع كدلالة الإشارة، التي لعبت دورًا هامًا في إيصال المعنى وتوضيحه، شأنها شأن الدلالات الأخرى.

2-مصطلحات الإشارة عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين:

الإشارة هي من العلامات الدالة بغير اللفظ، ونوع الدليل فيها أعضاء الجسم وغيرها. وقد ذكر الجاحظ (ت255هـ) دلالتها في غير موضع من البيان، حيث أحصى مصطلحاتها التي تعددت وسائلها من خلال تعدّد معانيها، والشاهد على هذا قوله: (وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها) [1]. وقوله في موضع آخر: (وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة[2]:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا   إِشَارَةَ مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ) [3].

ودلالة الإشارة بكل مشتقاتها وأنواعها الأدائية الموجودة في "البيان"، رُتبت حسب الموضع اللائق بها من خلال تعيين العضو الذي يقوم بالحركة، أو تعيين الأداة التي يستعان بها في الإشارة.

1-أنواع الإشارة المذكورة في البيان والتبيين:

1-1-الإشارة بالعين: قوله على لسان الشاعر:

(أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا   إِشَارَةَ مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ) [4].

*وقوله: (...وإشارته إليّ بطرفه...)[5].

1-2-الإشارة باليد: قوله: (وأشار بيده...)[6].

*وقوله على لسان الشاعر[7]:

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين، 78/1.

(2)-البيت من البحر الطويل، وقائله مجهول، وقد نُسب إلى أبي العتاهية وهو غير موجود في ديوانه.

(3)-الجاحظ: المصدر السابق، 78/1.

(4)-المصدر نفسه: 78/1.

(5)-المصدر نفسه: 40/2.

(6)-المصدر نفسه، 299/2، 300.

(7)-البيت من الطويل، وقائله أعرابي مجهول، والشوى: رذال الإبل والغنم ويقول إنه نحر ناقة في حطامة أصابتهم وهي السنة المجدبة (أنظر اللسان، مادة "شوى"، 2369/4).

(أَكَلْنَا الشَّوَى حَتَّى إِذَا لَمْ نَجِدْ شَوًى أَشَرْنَا إِلَى خَيْرَاتِهَا بِالأَصَابِعِ) [1].

*قوله على لسان شاعر آخر[2]:

(أَشَارَتْ إِلَيْكَ أَكُفُّ الْوَرَى إِشَارَةَ غَرْقَى إِلَى سَاحِلِ) [3].

*وقوله: (وأشار إلى سعيد بن المسيب...)[4].

*وقوله: (وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان...)[5].

1-3-الإشارة بالعصا:

*قوله: (... وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب في خطبها المخصرة والقناة والقضيب، والاتكاء والاعتماد على القوس... والإشارة بالقضيب...)[6].

*قوله: (... وتشير بالعصي والقنا... حتى كانت لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها ولذلك قال الشاعر[7]:

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ بِكَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ) [8].

*وقوله: (مع الذي عابوا من الإشارة بالعصي...)[9].

*وقوله[10]: (الْعَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الإِشَارَةُ) [11].

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 342/3.

(2)-البيت من المتقارب، منسوب إلى إبراهيم بن هرمة الفهري، عاصر جريرا وقال عنه الأصمعي: إن الشعر ختم بابن هرمة، ولد سنة (90هـ)، مدح أبا جعفر المنصور (الأغاني، ج101/4).

(3)-الجاحظ: المصدر السابق: 272/3.

(4)-المصدر نفسه: 98/2.

(5)-المصدر نفسه: 79/1.

(6)-المصدر نفسه: 383/1.

(7)-البيت من البسيط، ديون الفرزدق، دار بيروت للطباعة: 1984، ج.2، ص.179. والشاعر يمدح الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ .

(8)-الجاحظ: المصدر السابق: 370/1.

(9)-المصدر نفسه: 6/3.

(10)-البيت مجزوء الكامل، نُسب إلى يزيد بن مفرّغ، الشاعر الغزل، والهجّاء المقذع (ت 69هـ)، والبيت موجود في (مجمع الأمثال، للميداني، ت نعيم حسين زرزور، ط.1، 1988، ج.2، ص.24، وقيل يضرب المثل في خِسّة العبيد).

(11)-المصدر نفسه: 37/3.

وقوله: (وأشار بها مرة...)[1]، (فإذا أشاروا بالعصي...)[2]، (والإشارة بها...)[3].

فالإشارة بطرف العين أو باليد أو بالعصا وأنواعها، تغني عن كثير من الكلام، فهي تعدّ من الأدوات الفعالة والمؤثرة على الطرف الآخر الذي يتلقاها. شرطها الحضور لأنه يعبّر بكل انفعالاته وحالاته عما يجيش في الخاطر أو ما تكنّه الصدور، أو ما يريده الأول من الثاني. وإذا ما تتبعنا جهود الجاحظ في استعماله للإشارة، وجدناه يحاول أن يمدنا بأكبر قدر من المجالات التي تستطيع أعضاء الجسم أن توظفها في باب التبليغ كما اللسان والقلم. أو بمعنى آخر يريد الكاتب أن ينبهنا إلى أهم الوسائل التي تصلح لتوظيف مصطلح الإشارة دون غيرها من المصطلحات. وإذ لكل فعل أو سلوك أو أداء سببه الذي يبرره، فما هي الدواعي الرئيسية التي تستطيع هذه الإشارات المُعلنة أن تحققها في مجال البيان؟

2-دواعي هذه الإشارات:

2-1-الخوف: لقد فطن الجاحظ إذ كان سباقا لهذه الدراسة، ان وظيفة الإشارة في المجتمع لا تقل أهمية عن وظيفة اللغة، فالإشارة التي كانت بديلا عن الكلام عنده، لعبت دورها في دفع الضرر والخوف اللذان تحكمت فيهما العادات والتقاليد، فإشارة بطرف العين[4]، هي رسالة واضحة لمن تهمه معرفة حدود العلاقات بين طرفين مختلفين، إذ لا يجوز تجاوزها إلا بشروط سنتها الشريعة وأخرى تداولها العُرف، ولم يكن للكلام داع سوى ما في وُسع هذه الإشارة أن تقدمه لهذه العلاقات المحدودة، لهذا كان الخوف من أهم الدواعي لاستخدام الإشارة، وأكثرها تفشيا في المجتمعات المحافظة.

2-2-الإيجاز والاختصار: إن من دواعي الإشارة التي تمثلها الجاحظ في قوله: (وإشارته إليّ بطرفه...)[5]، أن تنقل معنى الإيجاز في القول والاقتصاد في الكلام، وهي من صفات المتحدث البليغ، الذي يعرف مواطن الكلام، ولديه القدرة الفائقة على حسن التفهيم،

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 39/3.

(2)-المصدر نفسه: 116/3.

(3)-المصدر نفسه: 116/3.

(4)-المصدر نفسه: 78/1.

(5)-المصدر نفسه: 40/2.

مع ما يملكه من أدوات الإقناع والبرهان، فهو صاحب الاقتصاد في الجهد العضلي والزمني، وصاحب الاختصار لآرائه وأفكاره وذلك بحركة بسيطة توصل معاني غزيرة.

2-3-التمثيل وتقريب الأشياء: قد تحمل الإشارة معاني التمثيل للأشياء لأجل تقريبها إلى الذهن، يقول الجاحظ (وقدم مصعب بن الزبير العراق فصعد المنبر ثم قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1]، وأشار بيده نحو الشام: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[2]، وأشار نحو الحجاز: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[3]، وأشار بيده نحو العراق...)[4].

فهذه الرسالة[5] حملت معاني كثيرة اختصرتها مضمون الآيات التي اختارها الخطيب عن قصد منه، فكانت بمثابة مؤشر لأحوال تلك الفئة التي عايشت الأحداث بظروفها وملابساتها، مع ما كان من صراعات محتدمة آنذاك.

وهذا التمثيل هو من نوع الإشارة إلى شيء ما غير ذاته، مع ما لعبته الظروف المحيطة بالكلام من دور فعّال، أطلق عليها العلماء اسم "سياق الحال" أمثال ابن جني (ت 392هـ) الذي «كان على إدراك واضح بهذا الجانب فعرض له في أكثر من موضع، منها ما قرر فيه أن المعاني قد لا يوصل إليها إلا بالظروف التي أحاطت بها، ومن ثم لا ينبغي أن يكتفي اللغوي بالسّماع، بل عليه أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة»[6].

---

(1)- القصص، [4].

(2)- القصص، [5].

(3)- القصص، [6].

(4)-الجاحظ: البيان والتبيين: 2/299-300.

(5)-الأحداث مذكورة بالتفصيل في كتاب الطبري: م.4: ج.7-8. (تاريخ الأمم والملوك)، أحداث سنة 67، طبعة بيروت، ص.146.

(6)-عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية: دار النهضة العربية، بيروت، ص.167.

«وإذ لابد من معرفة الملابسات[1] التي تحيط بالمتكلم عند الكلام، فقد يصحب ذلك إشارات تضيف إلى طريقة النطق معاني أخرى لا تفيدها الرواية»[2].

2-4-الاهتمام ولفت الانتباه: «في سياق آخر، يضيف الجاحظ أن الإنسان يمكن أن يتوسل لتأدية الإشارة عناصر مادية كالعصا التي يلفت إلى منافعها في مواقف الخطابة في البيان والتبيين، فيقول[3]: (كانت العرب تخطب بالمخاصر وتعتمد على الأرض بالقسي[4] وتشير بالعصي) [5].

فدور العصا عند الخطيب عظيمة، إذ تزيده هيبة ووقارا، مع ما يستفيد منها في حياته اليومية بأن تعينه على أعماله الشاقة، وهي في مجال الكلام تعين على الفهم والإقناع أكثر، إذ تجعل السامع أشد انتباها وأحسن جدبا وإنصاتا، فهي تقع في نفسه موقعا حسنا. وما السيف الذي يحمله العربي إلا وسيلة أخرى من وسائل هذه الدلالة، إذ يحمل معاني الوعيد والزجر والترهيب والترغيب. ومهما كان من دواعي هذه الإشارات، فالحضور والكلام مهمان في مجال التواصل، إلا أن الإشارة بالعصا وغيرها تزيد هذا التواصل بيانا.

وعليه فإن نصوص الجاحظ حول الإشارة كثيرة ومتنوعة، خاصة تلك التي اهتمت بالحركات الجسمية كالعين والرأس والحاجب، فالإشارة التي تعد فعلا دلاليا يعبِّر به الطرف الأول عما يريد، هي جزء من هذا البيان الذي وُصِف بأنه أرقى درجات التعبير عما في النفس والكون والحياة، ولأن أهمية الإشارة تكمن في كونها ضرورية في عملية الاتصال في مجال اللغة، فإنها استطاعت أن تصل إلى أهدافها من خلال النظم الإشارية المختلفة في مجال السيميائية الحديثة.

---

[1]-للتفصيل أكثر أنظر: الخصائص: ابن جني؛ ت: محمد علي النجار: ج.1: ص.247.

[2]-عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية: ص.308.

[3]-محمد نادر سراج: "التواصل غير الكلامي بين الخطاب العربي القديم والنظر الراهن": مجلة الفكر العربي المعاصر: ع "80"-"81"، بيروت، 1990، ص.86.

[4]-القسي: من قسا، ومعناها في اللغة: كل ما قست وغلظت ويبس وعست، وتأويل القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة- قسا القلب: يقسو اشتد، وعاء قسي ذو قحط والقسية الشديدة، والقسي الشديد (انظر اللسان: مادة قسا: ج.5: ص.3633)، لهذا اشتق العرب من العصا اسم القسي لشدتها وقسوتها.

[5]-الجاحظ: البيان والتبيين: 370/1.

3-العلامة وعلاقتها بالبيان:

«إن الموروث الفكري العربي لا يعدو أن يكون في كنهه مخزونا علميا أو ثقافيا، يظهر في شكل نظام من العلامات الدالة... وإذا أردنا أن نتأمل العلامة بغية اكتشاف بنيتها الدلالية وجدناها تتصل في نظر علماء التفسير والأصول والمنطق والبلاغة بالدلالات الروحية والعقيدية والكونية والاستدلالية التي تستدل بحاضرها على غائبها... ومن هذه الوجهة تعامل العلماء مع العلامة من حيث هي علامة تدل على حقيقة حسية حاضرة تحيل إلى علامة دالة على حقيقة مجردة غائبة...»[1].

وإذا ما تتبعنا الدراسات الحديثة وجدنا أن العلامة تتضمن جانبا من جوانب التبليغ والإيصال: «فالعلامة تتضمن نية مقصودة للتبليغ مثلا إذا كان السحاب يُنذر بالمطر، فإنه يمكن أن يؤدي مراقب السباحة إلى رفع الراية الحمراء التي تنذر بالسباحة الخطرة. فالراية الحمراء هي علامة اصطلح عليها الناس لتؤدي غرضا إعلاميا وإخباريا ما هو يندرج في نظام دلالي خاص هو نظام مراقبة السباحة وينتمي إلى المجالات التي يدرسها علم الأدلة»[2].

وقد تعامل الجاحظ مع مصطلح العلامة كما تعامل معها غيره في جميع مجالاتها، إذ خصَّها في كتاب "البيان" بمواضع متعددة، فهي تأتي بمعنى الدليل أو بمعنى التبليغ، أو كرمز من الرموز المتداولة، والنصوص التي وردت فيها دلالة "العلامة" هي:

1-قوله: (وقيل لمحمد بن كعب القرظيّ: ما علامة الخذلان؟ قال: أن يستقبح الرجال ما كان عنده حسنا، ويستحسن ما كان عنده قبيحا) [3]. لقد قال ما علامة الخذلان؟ ولم يقل ما حقيقة الخذلان، لأنه يريد أن ينزل هذا المعنى المجرد الغائب، إلى معنى حسّي ملموس يُتداول في الواقع، ويُمارس في الحياة، فأتى بجانب من جوانب هذه العلامة واستدل به في قوله: «أن يستقبح الرجل ما كان عنده حسنا، ويستحسن ما كان عنده قبيحا».

---

(1)-بلقاسم دفة: "ملامح الدرس السيميائي في الموروث العربي": مجلة العلوم الإنسانية: ع. "1"، الجزائر، 2001، ص.39.

(2)-خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ اللسانيات: دار القصبة للنشر: الجزائر، 2000، ص.18-19.

(3)-الجاحظ: البيان والتبيين: 290/2.

2-قوله: (وكما سمّى النحويون، فذكروا الحال والظروف وما أشبه ذلك، لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو، وكذلك أصحاب الحساب، فقد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات التفاهم) [1].

فالعلامات هنا هي رموز اصطلاحية أو بمعنى آخر، أسماء لمسميات تواضع عليها الناس فصارت علامات للتفاهم، يتداولها النحوي والعروضي وكذلك أصحاب الحساب.

3-قوله: (وقد جمع الله لموسى بن عمران عليه السلام في عصاه من البرهانات العظام، والعلامات الجسام، ما عسى أن يفي ذلك بعلامات عدّة من المرسلين... قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر من عصاه: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[2]، إلى قوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[3]. فلذلك قال الحسن بن هانئ[4] في شأن خصيب وأهل مصر حين اضطربوا عليه:

فَإِنْ تَكُ مِنْ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ بَقِيَّةٌ ... فَإِنَّ عَصَا مُوسَى بِكَفَّيْ خَصِيبِ[5].

ألم تر أن السحرة لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم إلا بالعصي، ولا عارضهم موسى إلا بعصاه) [6].

في النص إشادة بأهمية العصا التي جعلها الجاحظ علامة من علامات النبوة والرسالة، ومعجزة من معجزات الله تعالى، إذ كانت وسيلة فعالة في برهان معجزة النبي موسى عليه السلام، كما كانت دافعا قويا لإيمان السحرة وخضوعهم لله تعالى، وسببا هاما في كسر جبروت

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 140/1.

(2)-طه، [63].

(3)-طه، [69].

(4)-الحسن بن هانئ هو الشاعر: أبو نواس (145هـ-199هـ).

(5)-ديوان أبو نواس: ص.85.

والخصيب: والي مصر، وقد وفد عليه أبو نواس، وكان أهل مصر يتشغبون على الخصيب فألقى عليهم قصيدته التي يمدح فيها الخصيب، وفي الديوان: شطر البيت الأول هو:

«فإن يك فيكم إفك فرعون باقيا...»، بحر الطويل.

(6)-الجاحظ: المصدر السابق: 31/3.

ملاحظة: علامات النبوة تحمل في معناها وظيفة التبليغ والتوصيل.

فرعون وأعوانه، فكانت العصا رمزا من رموز تحطيم الكفر، ودليلا نافعا لهذا المؤمن المعتز بإيمانه وبصدق الرسالة والمرسلين.

4-السيمياء في مصطلح البيان:

تقديم:

«لم يكن علم السيمياء وليد العصر الحديث كما يزعم البعض، بل هو قديم النشأة، فقد اهتم القدامى من عرب وغرب بهذا الجانب... وظهرت أفكار وتأملات سيميائية على يد العلماء العرب المسلمين كابن سينا والفرابي والغزالي والجرجاني والقرطاجني وغيرهم»[1].

وقد اهتم به علماء اللغة، حيث ربطوه بالرموز والوحدات التكوينية للعبارة من حروف وأشكال. «ومصطلح سيمياء ضارب في الأصل العربي فهو يقابل مصطلح سيميولوجيا، وكلمة سيميولوجيا منقولة عن اللغة الإنجليزية، يعبر عنها بمصطلحين هما: سيميولوجي، وسيميوتيك، أي الإشارة أو العلامة، وهذا المعنى ينطبق على المصطلح العربي سيمياء»[2].

وقد كان الجاحظ على وعي كبير وإلمام لا يخفى على أحد، فقد تطرّق لمصطلح السيمياء أيًّا كان اشتقاقه في اللغة، وراح يمثّل لدلالات السيميائية في مجال اللغة والبيان، بنصوص قرآنية، وشواهد شعرية ونثرية. وأهم المصطلحات الواردة في بيانه:

1-السِّمة: بمعنى العلامة المتعارف عليها في المجتمع، أيًّا كانت هذه العلامة، وسواء خصت الإنسان مجتمعا وفردا، أو ميزت الحيوان، أو دلت على الأشياء من جماد وغيره.

أ-ما خصّ الإنسان قوله: (وبالناس حفظك الله أعظم الحاجة إلى أن يكون لكل جنس منهم سيما، ولكل صنف حلية وسمة يتعارفون بها) [3]. وهذه السِّمة تدخل ضمن نظام الإشارات كلغة من لغات التواصل بين الناس.

موسوم في قوله على لسان الشاعر[4]:

---

[1]-بلقاسم دفة: "ملامح الدرس السيميائي في الموروث العربي"، مجلة اللغة العربية: ع."5"، بسكرة، 2001، ص.166.

[2]-المقال نفسه: ص.35-36.

[3]-الجاحظ، البيان والتبيين: 90/3.

[4]-البيت من الرمل.

وهو منسوب لابن الأعرابي: وهو محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي: الكوفي: لغوي نحوي راوية لأشعار القبائل، نسابة، ...ولد بالكوفة (سنة 150هـ)- وتوفي (231هـ).

(فَمِسرُ الخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ   وَمِسرُ الشَّرّ مَوْسُومٌ بِشَرّ) [1].

وموسوم هنا بمعنى معروف بشيء ما، أي علامة ما يظهر منه، وهذا النوع من السِّمات يهتم بالمظهر الخارجي لجسم الإنسان، ويدخل ضمن علم الفراسة[2].

«فجسم الإنسان كثيرا ما يكشف أو يخبر عن صاحبه بسمات أو علامات تمكن الآخرين من التعرف على عواطفه وحالاته النفسية»[3].

ب-أما ما يخص الحيوان: فقد ذكر الإبل والغنم والبحيرة وغيرها، والتي علّمت بعلامات يتعرّف عليها أصحابها، فجاءت السّيما في البيان، بمعنى الوَسْم.

والوَسْم: هو علامة يُعلّم بها الشيء ليتميز عن غيره، وقد جاء هذا المصطلح على لسان بعض الأعراب يصف فيه إبله بضروب من الوسم بدقة متناهية فيقول:

(بِهِنَّ مِنْ خَطّافِنا[4] خَبْطٌ[5] وُسِمْ   وحلَقٌ[6] في أَسْفَلِ الذِفْرِي[7] نُظِم
مَعْهَا نِظَامٌ مِثْلُ خَطٍّ بِالقَلَمِ   وَقَرمَةٌ[8] وَلَسْتُ أَدْرِي مَنْ قَرَم
عَرَضٌ[9] وَخَبْطٌ للمحلّيها[10] المُسَمّ[11].

---

[1]-الجاحظ: المصدر السابق: 178/2.

[2]-علم الفراسة: علم يتعرف منه أخلاق الإنسان من هيئته ومزاجه وتوابعه، حيث نستطيع أن نستدل بالخلق الظاهر على الخلق الباطن، (انظر: مفتاح السعادة: لطاش كبرى زاده؛ ج.1؛ ص.379، وكشف الظنون؛ للتهانوي؛ ج.2، ص.1445).

[3]-كريم زكي حسام الدين؛ الإشارات الجسمية؛ ص.104.

[4]-الخُطّاف: سِمة يوسّم بها البعير. (اللسان، مادة خطف، ج2، ص1201).

[5]-الخبط: ضرب من الوسم في الفخذ أو الوجد. (اللسان، مادة خبط، ج2، ص1093).

[6]-الحلق: ضرب من الوسم في العنق. (اللسان، مادة حلق، ج2، ص965).

[7]-الذفري: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن. (اللسان، مادة ذفر، ج3، ص1505).

[8]-القرمة: سمة فوق الأنف. (اللسان، مادة قرم، ج5، ص3605).

[9]-العرض: ضرب من الوسم عند الفخذ. (اللسان، مادة عرض، ج4، ص2885).

[10]-التحلية: الوصف.

[11]-المسمّ: المسمى من التسمية. (اللسان، مادة سما، ج3، ص2110).

الأبيات من الرجز، وهي لبعض الاعراب مجهولي النسبة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد كانت العرب تعلّم الإبل والغنم في مواسم الحج: (وكانت سيما أهل الحرم إذا خرجوا إلى الحلّ في غير الأشهر الحُرُم، أن يتقلدوا القلائد... وخالفوا بين سمات الإبل والغنم، وأعلموا البحيرة بغير علم السائبة، وأعلموا الحامي بغير علم الفحول، وكذلك الفرع والوصيلة والرجبية والعتيرة من الغنم، وكذلك سائر الأغنام السائمة) [1].

جـ-أما في الأشياء والوسائل فما كان يستخدمه العربي من وسائل كعلامة على تعرُّفه وظهوره، أو تتكره وتستره. وهي ممثلة في اللباس الذي كان يرتديه كالعمامات والعصابات والأقنعة، أو بما كان يحمله معه من عصا ومخاصر وعكازات. وفي هذا يقول الجاحظ: (...وربما مع ذلك أعلم نفسه الفارس منهم بسيما، كان حمزة يوم بدر معلِمًا بريشة نعامة حمراء، وكان الزبير معلمًا بعمامة صفراء...)[2].

وقوله في موضع آخر: (...فعند العرب العمّة وأخذ المخصرة من السِّما...)[3].

2-السِّمة: بمعنى الأثر، وهو شيء معنوي ارتبط مدلوله بالصفات المميزة للشيء، يقول الشاعر[4]:

(به تدَبٌ مِمَّا يَقُولُ ابنُ غَالِبٍ يَلُوحُ كَمَا لاَحَتْ وُسُوم المصَدَّق) [5].

والندب هنا هو أثر الجرح في الجلد.

وقد نقل لنا الجاحظ هذا المعنى من خلال قوله تعالى[6]:﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [7]. فالآية تبين سِمات المؤمن المعروفة، والظاهرة على وجهه من خلال الأثر الذي يحدثه السجود في ملامحه، وهو دليل الإيمان والتقوى والورع.

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 95/3.

الفرع: أول نتاج الإبل والغنم.

الوصيلة: الشاة تلد سبعة أبطن عناقين فإن ولدت في الثامنة جديا وعناقا لم يذبحوا الجدي وقالوا: وصلت أخاها (الوصيلة)، والرجبية: ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب.

العتيرة: ذبيحة كانت تذبح للأصنام ويصب دمها على رأسها.

[2]-الجاحظ: المصدر السابق: 101/3.

[3]-المصدر نفسه: 91/3.

[4]-البيت الطويل، وهو منسوب للفرزدق، ولكنه غير موجود في ديوانه.

[5]-الجاحظ: المصدر السابق: 90/3.

[6]- الفتح، [29].

[7]-الجاحظ: المصدر السابق: 91/3.

وخلاصة القول: فإن مصطلح "السّما" في "البيان" جاء متنوعا بتنوع المشتقات اللغوية للكلمة: فموسوم جاء بمعنى معروف، وسيما وسِمة: بمعنى الندب والأثر.

ووسوم بمعنى الظهور، وسماته: بمعنى صفاته، والوَسْم والسّائمة ووُسيم: بمعنى العلامة.يتوسَّمُ وتوسَّمُوني: بمعنى الخط بالقلم.

ومن هذا التنوع في المعنى، تحتفظ العلامة بمجالاتها الخاصة بها، لأنها لا تتجه اتجاها واحدا، فهي من المعاني المعقدة في باب البيان. إذ تأخذ شكل التجريد في عالم المرئيات، وذلك لارتباطها بالرمز أكثر في مجال الاستدلال بها في عالم المنطق والحساب، وإن كان الجاحظ قد أشار إلى بعض هذه المعاني، إلا أنها غامضة وليست واضحة تماما، عدا ما جاء به في بيانه من أن العلامة هي دليل الوصول إلى معرفة الشيء.

هذا وقد ربط علماء العرب القدامى مصطلح السيمياء بالعلامة، حيث تقارب مفهومها عندهم، بمفهوم السِّمة والدليل، فالعلامة جزء من علم السيميائية الذي اهتم بدراسة الأنظمة الإشارية واللغوية والرمزية، سواء كان ذلك لقصد الإبلاغ والتوصيل، أو لأي غرض من أغراض التعارف.

كما أدخِلتْ صفات الإنسان من خلال شكله وهيئته، في علم خاص هو علم الفراسة الذي يهتم بدراسة البنية الجسمية وعلاقتها بالسمات النفسية والخُلقية للفرد، حيث أن الجسم يمكن أن يخبرنا بسلوك صاحبه وسماته الشخصية، مع ما يظهر عليه من سمات خارجية كشكل اللباس وطريقة المشي وهيئة الجلوس وغيرها، يقول الجاحظ على لسان الشاعر[1]:

(فأبد سِمَاك يعرفُوكَ كَمَا يُبْدون سِمَاهم فتعترف) [2].

---

[1]–هو درهم بن زيد بن ضبيعة من بني عوف، وكان أخوه قتل جارا لمالك بن العجلان، فقال درهم هذه الأبيات مخاطبا مالك ليعفو عن أخيه، والبيت من المنسرح. (البيت مذكور في الأغاني، ج2، ص162).

[2]–الجاحظ: البيان والتبيين : 101/3.

المبحث الثاني: تطبيقات دلالة الإشارة عند الجاحظ

تمهيد:

يضطر الإنسان في بعض الأحيان أثناء التعبير إلى تغيير مجرى الحديث، لهذا فهو يستبدل الكلام بالإشارة إليه بأي عضو من أعضاء جسمه. وإذا ما أسقطنا هذه الإشارات على واقعنا، وجدناها تمدنا بمعلومات قيمة، وذلك بأداء بسيط، وحركة مميزة، تحدث تأثيرا هاما على الفئات المشاركة فيها. فالإشارة تدخل ضم الدلالة الحركية للفعل أشار، ويرد هذا الفعل «مجازا للدلالة على الإرشاد أو التوضيح أو التلميح إلى شيء وكلها دلالات صلتها واضحة بالمعنى الحسي الحركي للفعل والجامع الدلالي بينهما هو التوضيح والتبيين»[1].

وقد كان الجاحظ يدرك قيمة الإشارة بأنواعها، حيث قسمها إلى قسمين: خصّ الأول منها: بأعضاء الجسم، والثانية" بأدوات مادية أخرى، كالعصا والسيف والثوب وغيرها. وأحسن تمثيل لهذه الأقسام هو ما نصّ عليه في بيانه قائلا: (قد قلنا في الدلالة باللفظ. فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف. وقد يتهدد رافعُ السيف والسَّوط، فيكون ذلك زاجرا، ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا)[2]

I-الإشارات الجسمية: أهم الأعضاء المشاركة في الإشارة هي اليد، الرأس، العين، الحاجب والمنكب.

1-الإشارة باليد: اليد هو العضو المعروف من جسم الإنسان، يمتد من الكتف إلى الكف، وهو نظام إشاري يقوم مقام اللسان في عملية الإخبار عن المعلومات. وقد اهتم به العلماء، وأفردوا له فصولا وأبوابا مصنفة في كتب فقه اللغة وعلوم الدلالة. فها هو الثعالبي (ت 429هـ) في كتابه "فقه اللغة" يخص فصلا كاملا يتحدث فيه عن حركات اليد وأشكال وضعها، نظرا لتنوع دلالات استعمالها، فهي تُبسط وتُرفع، ويرحَّب بها، ويُنهى بواسطتها، ويُنصح بفعلها، وهي متعددة عند الجاحظ من إشارة باليد والأصابع والكف، ومن أفعال تحركها كالتلويح والإلواء.

---

[1]-محمد محمد داود: الدلالة والحركة: دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة، دار غريب، مصر، ص.450.

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين: 77/1.

1-1-أنواعها:

1-الإشارة باليد: وردت هذه الإشارة عند الجاحظ في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: قوله: (ولما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد، وأظهر قوم الكراهة قام رجل من عذرة يقال له يزيد بن المقنع، فاخترط من سيفه شبرا ثم قال: أمير المؤمنين هذا -وأشار بيده إلى معاوية- فإن مات فهذا -وأشار بيده إلى يزيد- فمن أبى فهذا -وأشار بيده إلى سيفه-. فقال له معاوية: أنت سيِّد الخطباء) [1].

الموضع الثاني: قوله: (وقال بعضهم: كنتُ أجالس ابن صغير في النّسب، فجلست إليه يوما فسألته عن شيء من الفقه، فقال: ألك بهذا من حاجة؟ عليك بذاك: وأشار إلى سعيد بن المسيب فجلست إليه لا أظن أن عالما غيرهُ، ثم تحولت إلى عروة، ففتقت به ثبج بحر) [2].

الموضع الثالث: قوله: (قدم مصعب بن الزبير العراق فصعد المنبر... وأشار بيده)[3].

2-الإشارة بالأصابع: وردت في موضع واحد قوله:

(وقال أعرابي، ونحر ناقة في حُطَمة أصابتهم:

أَكَلْنَا الشَّوَى حَتَّى إذَا لَمْ نَجِدْ شَوًى ... أَشَرْنَا إلَى خَيْرَاتِهَا بِالأَصَابِعِ

وَلَلسَّيْفُ أَحْرى أَنْ تُبَاشِرَ حَدَّهُ ... مِنَ الجُوعِ لاَ تُثْنى عَلَيْهِ المَضَاجِعُ) [4].

3-الإشارة بالكف: وردت في موضع واحد في قوله:

(قال ابن هرمة[5]: فإني قد قلت فيك أحسن من هذا! قال هاته! قال: قلت:

إذ قُلْتُ أَيّ الفَتَى تَعْلَمُونَ ... أَهَشّ إلَى الطّعنِ بِالذّابِلِ

وَأَضْربَ لِلقِرْنِ يَوم الوَغَى ... وَأَطْعم فِي الزّمَنِ المَاحِلِ

أَشَارَتْ إِلَيْكَ أَكُفُّ الوَرَى ... إِشَارَةَ غَرْقَى إِلَى سَاحِلِ) [6].

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 300/1.

(2)-المصدر نفسه: 98/2.

(3)-المصدر نفسه: 299/2-300.

(4)-البيت الطويل، والأعرابي مجهول النسبة.

-الحُطمة: بفتح الحاء أو ضمها، السنة الجديدة تحطم كل شيء. (اللسان، مادة حطم، ج2، ص916).

(5)-ابن هرمة: سبقت ترجمته.

(6)-البيت من المتقارب، القنا الذابل من الرّماح الدقيقة، (البيان والتبيين، 372/3).

4-أفعال الإشارة باليد: أ-لوّى: وردت في موضع واحد في "باب الصّمت" قوله:

(وقال الأفوه الأوديّ:

أَضْحَتْ قَرِينَةُ قَدْ تَغَيّرَ بِشْرُهَا ... وَتَجَهّمَتْ بِتَحِيّةِ القَـوْمِ العِـدَا

أَلْوَتْ بِإِصْبَعِهَا وَقَالَتْ: إِنّمَـا ... يَكْفِيكَ مِمّا لاَ تَرَى مَا قَدْ تَرَى) [1].

ب-لوّح: وردت في موضع واحد قوله: (وقال الفرزدق:

بِهِ نَدَبٌ مِمّا يَقُولُ ابْنُ غَالِبٍ ... يَلُوحُ كَمَا لاَحَتْ وُسُومُ المُصَدِّقِ) [2].

2-1-أغراضها: لعلّ هذا التنوع في حركات اليد، جعلها تعبّر عن معاني مختلفة لسلوك بسيط يؤديه هذا العضو، إما بتحريكه أو بسطه. وهي حركات يراد منها توصيل معاني مختلفة كالنداء والطلب، والقبول والرفض، والتهديد والوعيد. وهناك أفعال تؤدّي غرضها كالإشارة باليد مثل: الإلواء.

«وقد جاءت مادة الفعل "لوّى" في القديم بمعنى الجدل والثني، ولا يخرج الفعل في العربية المعاصرة، للدلالة على حركة موضعية تحدث للأجسام التي تسمح طبيعتها اللّينة أو المفصلية أن يحدث لها شيء... وتصدر عن الإنسان وغيره، ويأتي الفعل بمعنى فتل الشيء بحركة دائرية حول محوره أو موضع ثباته...[3] «وهذه الحركة الدّالة عليها بفعل "لوّى" تستخدم كلغة جسدية للتعبير عن معانٍ في النفس كالضيق والرفض والتعجب»[4]. وقد استخدمت عند الجاحظ بمعنى الرفض الذي نقلت معناه حركة إلواء الإصبع.

وقد ورد مصطلح التلويح في المعجمات العربية بمعنى التحريك، «... حيث تشير السياقات المعاصرة إلى ورود الفعل بدلالة حركية موضعية تفيد الإشارة باليد أو بشيء في اليد بتحريكها... وفي اتجاهين مختلفين (للأمام والخلف أو يُمنة ويُسرة) فيظهر الشيء المشار به لآخر فيراه فيفهم المراد من إشارة التلويح، وقد يكون الغرض منها الاعتراض والاحتجاج

---

(1)-البيت من الكامل، وقد ذكر عبد السلام هارون أن البيتان لم يرويا في ديوانه المخطوط، والأفوه الأودي: هو صلاءة بن مالك من بني أود شاعر يماني جاهلي يكنى أبا ربيعة لقب بالأفوه لأنه غليظ الشفتين (عيون الأخبار، ج.3، ص.130).

(2)-البيت من الطويل، وهو غير موجود في ديوان الفرزدق.

(3)-محمد محمد داود، الدلالة والحركة: ص.544.

(4)-المرجع نفسه: ص.544.

أو التحية أو التهديد»[1].

نستطيع أن نستخلص أهم مميزات دلالة الإشارة باليد من خلال ما ورد في "البيان والتبيين":

1-الحركة، 2-لفت الانتباه إلى الشيء المشار إليه.

3-الاستغناء عن الكلام.

4-الإشارة باليد والأصابع والكف والإشارة بالتلويح والإلواء هي أفعال لحركات اليد وأشكال وضعها.

2-الإشارة بالرأس: يُعد الرأس منطقة هامة في جسم الإنسان، رغم أن الجاحظ لم يفرده بالتفصيل، إلا أنه «يعد أغنى أنظمة الرموز لدى الإنسان، فمنطقة الرأس تحوي معظم أعضاء الإحساس كالعينين والأذنيين والفم، وتتمتع بقدرة عالية على جمع المعلومات ونقلها من ناحية أخرى»[2]. «ويعد تحريك الرأس ككل والإيماء به إلى أسفل وأعلى بقصد إظهار الموافقة أو إلى اليمين واليسار بقصد إظهار المخالفة، ظاهرة عالمية»[3].

وقد قرن الجاحظ حسن البيان باللسان بحسن البيان باليد والرأس حين قال: (وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان)[4]. رغم أنه أنكر على أحد المتحدثين عدم استخدامه الإشارة باليد وغيرها، ووصف كلامه بأنه كأنما (يخرج من صدع الصّخرة)[5].

2-1-غرضها: هناك حركات وأفعال تُؤَدّى بإشارة الرأس كالالتفات والإلواء وهزّ الرأس، وخفضه وتحريكه، وهي كذلك أفعال دلالية تمدنا بمعلومات قيّمة لحالات متعددة، كالرفض والقبول والإعراض والتعجب وإبداء المحبة والكره، وغيرها من الأفعال المناسبة لمثل هذه المواقف.

---

[1]-محمد محمد داود: الدلالة والحركة: ص.468.

[2]-أحمد مختار عمر: محاضرات في علم اللغة الحديث: عالم الكتب، ط.1، 1995، ص.141.

[3]-المرجع نفسه: ص.138-139.

[4]-الجاحظ: البيان والتبيين: 78/1.

[5]-المصدر نفسه: 101/1.

3-الإشارة بالعين: إن للعين أهمية عظمى في دلالتها المعبّرة عن جسم الإنسان ومكنوناته، فبالإضافة إلى أنها حاسة البصر، فهي كذلك «تختزل لنا جماع وجه الإنسان وتكشف لنا عن هويته الحقيقية التي أراد إخفاءها»[1]. لهذا أطنب العلماء في ذكر "العين" لما فيها من دلالات التعبير الغزيرة، وما تختزنه من إبداء للشخصية والحالات النفسية، حيث ذُكرت عند الشعراء في دواوينهم والبلغاء في حِكمهم وأمثالهم، «وإن العين تملك لغة خاصة بها تعبّر عما في نفس صاحبها إذا أراد أو لم يرد، وإذا ما حاول أن يُبدى شيئًا ما أو يخفيه وهي تكشف عن الحب والبغض[2]، كما قال الشاعر[3]:

(العَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا مِنَ المَحَبَّةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَا) [4].

3-1-أنواعها: لقد جاءتهذه الدلالة متنوعة في البيان والتبيين، وذلك حسب حركاتها وتصرُّفات النظر، وهيئات العين المتعلقة بها. وقد عبّر الجاحظ عن أفعالها بحركات "الطرف" و"الحدج" و"التحميج" و"الإغضاء" و"التقطيع" و"الومض" و"اللّمح" و"الشزر" و"اللّحظ".

1-الإشارة بطرف العين: إشارة الطرف تتم بتحريك الجفن، مما يجعلنا نتصور كيفية هذه الحركة وهيئتها،وقد جاءت دلالة الطّرف في المعجمات العربية، بمعنى تحريك الأشفار: «طرف، يطرف طرفا: أطبق أحد جفنيه على الآخر، وطرف العين امتدادها حيث أدرك،... وقيل: هو تحريك الأشفار وقد طرِف نفسه يطرف...»[5].

1-1-أنواعها: وردت هذه الإشارة في "البيان" في إحدى عشر موضعًا:

الموضع الأول: قوله على لسان الشاعر[6]:

(أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ) [7].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية، ص.174.

(2)-المصدر نفسه، ص.176.

(3)-البيت من البسيط، وهو مجهول النسبة.

(4)-الجاحظ: البيان والتبيين، 79/1.

(5)-ابن سيده: المخصص، م.1، مادة "طرف"، ص.118.

(6)-البيت من الطويل، وقد نُسب إلى أبي العتاهية وهو غير موجود في ديوانه، (أنظر: العمدة، ج.1، ص.212.)

(7)-الجاحظ: المصدر السابق، 79/1.

الموضع الثاني: قول الشاعر[1]:

(وَخَلْجَة ظَنٍّ يَسْبِق الطَّرف خَرمها   تُشيف عَلَى غُنم وَتمَكّنُ مِنْ ذَحْل) [2].

الموضع الثالث: قول الشاعر[3]:

(طَلِيقُ الله لَـمْ يَمْنُنْ عَلَيْـهِ   أبُـو دَاوُدَ وَابْنُ أبي كَثيـر
ولا الحَجَّاج عَيْنِيْ بِنْتَ مَاءٍ   تَقَلّب طَرْفهَا حَذر الصُّقُور) [4].

الموضع الرابع: قوله على لسان الشاعر[5]:

(وَسُرْعَة الطَّرْفِ وَتَحْمِيج[6] النَّظَر   وَتَرْكِيَ الحَسْنَاءَ فِي قُبُلِ الطُّهر) [7].

الموضع الخامس: قوله:

(لو لم أشكر الله إلا على حسن ما أبلاني في أمير المؤمنين... وإشارته إلى بطرفه...)[8].

الموضع السادس: قوله على لسان الشاعر[9]:

(كَرِيْمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ عِنْدَ حَيَائِهِ   وَيَدْنُو وأَطْرَافُ الرِّمَاح دوانٍ) [10].

---

(1)-البيت من الطويل، وقائلة هو أبو يعقوب بن حسان بن قوهي الخريمي، أصله من خراسان من بلاد السّغد (أنظر تاريخ بغداد، ص.3369).

-خلجة ظن: كأنه يجذب صواب الرأي جذبًا، والخلج هو الجذب. (اللسان، مادة خلج، ج2، ص1225).

(2)-الجاحظ: البيان والتبيين: 381/1.

(3)-الأبيات من الوافر، وتنسب إلى إمام بن ارقم (انظر عيون الأخبار: ج.2، كتاب العلم والبيان).

(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 386/1.

(5)-البيت من الزجر، ويُنسب إلى الهيثم بن الأسود بن العريان. (انظر: معجم الأعلام، م8، ص103).

(6)-التحميج: فتح العين وتحديد النظر (اللسان، مادة "حمج"، ج.2، ص.987).

(7)-الجاحظ: المصدر السابق: 399/1.

(8)-المصدر نفسه: 40/2.

(9)-البيت من الطويل، دون نسبة موجود في ديوان الحماسة: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي: مطبعة السعادة، ط.2، مصر، 1913، ص.279.

الشرح: يغضي الطرف: أي يكفه... معناه أنه كريم يغض طرفه لاستحيائه وأنه شجاع لا يهاب الحرب بل يقرب من الرّماح كلما قربت منه.

(10)-الجاحظ: المصدر السابق: 171/2.

الموضع السابع: قول الشاعر[1]:

(يُقطّع طرْفه عني سويدٌ ولَمْ أنكر بسَيِّئة سُوَيْدَا) [2].

الموضع الثامن: قول العتابي في مديح بعض الخلفاء[3]:

(إمَــامٌ لهُ كَفٌّ يضُمّ بَنَانَهَــا عَصَا الدِّين مَمْنُوعًا من البَرْيِ عودُها

وَعَيْنٌ مُحِيط بالبَرِيَّةِ طَرفُها سَــوَاءٌ عَلَيْــهِ قُرْبُهَـــا وَبَعِيدهَـــا) [4].

الموضع التاسع: قول الشاعر[5]:

(بعَيدُ مُرَادِ العَيْنِ مَا رَدَّ طَرْفَه حِذار الغَوَاشي بَابُ دَارٍ ولا سِتْر) [6].

الموضع العاشر: قول الشاعر[7]:

(لَوْ أنّ عَيْنًا وَهّمَتَهَا نَفْسُها مَا فِي الفِرَاق مُصَوَّرًا لَمْ تَطرُفِ) [8].

الموضع الحادي عشر: قول الشاعر[9]:

(أُرَاقِبُ لَمْحًا مِنْ سُهَيْلٍ كَأنَّهُ إذَا مَا بَدَا مِنْ آخرِ اللَّيْلِ يَطْرُفُ) [10].

1-2-أغراضها: لقد فطن الجاحظ (ت 255هـ) إلى لغة الإشارة، وأهمية الدور الذي تقوم به في التواصل الإنساني. فكانت لغة الإيماء والرمز تغنـــي عــن اللغــة الشــفوية أو

---

[1]-البيت من الوافر، وهو مجهول النسبة، ومعنى يقطع طرفه: أي يقطّع نظره تقطيعا لشدة عداوته.

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين، 2/171-172.

[3]-الأبيات من الطويل، والعتابي هو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي، من بني عتاب بن سعد، كاتب حســن الترســل، وشاعر مجيد يسلك طريق النابغة، مدح هارون الرشيد، توفي (سنة 220هـ). (انظر: تاريخ بغداد، ص.1967).

[4]-الجاحظ: المصدر السابق: 3/40، 353.

[5]-البيت من الطويل، وهو منسوب إلى الحكم بن عبدل الأسدي، ينتهي نسبه إلى أسد بن خزيمة، كان هجــاء خبيــث اللسان، من شعراء الدولة الأموية، ومنزله ومنشؤه الكوفة. (الأغاني، ج.2، ص.144-154).

[6]-الجاحظ: المصدر السابق: 3/310.

[7]-ديوان أبو العتاهية: دار بيروت للطباعة والنشر، 1980، ص.276. بحر الكامل.

وهو يتحدث عن يوم القيامة والبيت جاء بلفظ آخر في الديوان:

لو أن عينا شاهدت من نفسها يوم الحساب ممثّلا لم تطرف

[8]-الجاحظ: المصدر السابق: 3/180.

[9]-البيت من الطويل، وهو لجران العود وسهيل: نجم يطلع آخر الليل ومدة ظهوره قصيرة، (الشرح في أدب الكاتب، ابن قتيبة، ص.93).

[10]-الجاحظ: المصدر السابق: 4/40.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المنطوقة، وذلك لدواعي كثيرة وأسباب عديدة، تستدعيها الظروف والحالات. وقد عبّر الجاحظ في غير موضع في بيانه عن هذه اللغة، مجسدة في العيون التي لها دلالات عديدة، فالعين تبدي، والعين تنطق، والعين تشير، والعين تحيط بالشيء وتتقلب وتختلج. لقول الشاعر[1]:

(العَيْنُ تُبدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا ... مِنَ المَحبّةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَا
وَالعَيْنُ تَنْطِقُ وَالأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ ... حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ القَلْبِ تِبْيَانَا) [2].

كما أن العين تسع قدرا هائلا من الرموز والإيحاءات البديلة عن الكلام، فإشارة بطرف العين قد تتحدى مجتمعا بأسره، له عاداته وتقاليده التي لا يستطيع أحد الخروج عنها، وتصوّر أن هذه الحدود يمكن أن تتلاشى بهذه العين المتحركة في قول الشاعر[3]:

(أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا ... إِشَارَةَ مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ) [4].

فقد أدت إشارة العين بصمتها ما يؤديه صريح القول، وواضح العبارة.

وقوله في موضع آخر:

(وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالبَرِيَّةِ طَرْفُهَا ... سَوَاءٌ عَلَيْهِ قُرْبُهَا وَبَعِيدُهَا) [5].

أحاطت العين بكل ما يوجد أمامها، وذلك بحرسها الشديد على البرية. فالعين كما يستفاد من معنى البيت هي عين الخليفة القائم على أمور الناس، والراعي لشؤونهم من قريب أو بعيد. وقد جاء التعبير مجازا عن هذه العين المحيطة، فنقل لنا هذا التعبير وظيفة أخرى لطرف العين الذي استخدم هنا بمعناه الإيجابي والفعال.

بينما يستطيع أن ينتقل إلى معناه السلبي كما في قول الشاعر[6]:

---

(1)-البيت من البسيط، ينسب إلى جرير

(2)-الجاحظ: البيان والتبيين: 79/1.

(3)-البيت من الطويل، غير منسوب.

(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 78/1.

(5)-المصدر نفسه: 40/3.

(6)-البيت من الكامل، هو أوس بن حابر، (عنى بخضرة عينيه شدة عداوته، والعرب تجعل زرقه العين وخضرتها مثلا للعداوة، وذلك لأن أعداء العرب الروم، وكانوا زرق العيون، «الزرقة خضرة في سواد العين»)، خاسفة: غائرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(قَدْ ظَلَّ يُوعِدُنِي وَعَيْنُ وَزِيرِهِ خَضْرَاءَ خَاسِفَةٍ كَعَيْنِ العَقْرَبِ) [1].

كناية عن العداوة والحقد والحسد.

وهناك أفعال أخرى تابعة لحركة طرف العين، كغضة أو تقطيعه، وقد وردت في "البيان" رغم قلتها.

2-إغضاء الطرف:

«الغض: والغضاضة الفتور في الطرف، وقد غضّ وأغاض، وقيل: هو إذا دانى بين جفونه ونظر[2]»: جاء في الآية الكريمة ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[3].

وجاء في اللسان: «غضّ طرفه وبصره، يغضه غضّا وغضاضة فهو مغضوض وغضيض، أي كفه وخفضه وكسره... وقيل: الغضيض الطرف: المسترخي الأجفان»[4].

«... وكل شيء كففته فقد غضضته، والأمر منه في لغة أهل الحجاز. وفي التنزيل: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [5]، وأهل نجد يقولون: غض طرفك بالإدغام، وانغضاض الطرف: انغماسه، وظبيّ غضيض الطرف أي فاتره، وغض الطرف: احتمال المكروه»[6].

2-1-أنواعه: لقد ذكرت مادة "غَضّ" في "البيان والتبيين" في موضعين:

-الموضع الأول: قول الشاعر[7]:

(يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إِلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ) [8].

-الموضع الثاني: في قول الشاعر[9]:

(كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ عِنْدَ حَيَائِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 345/2.

[2]-النور، [30].

[3]-ابن سيده: المخصص: م1: مادة "غض"، ص.120-121.

[4]-ابن منظور: لسان العرب: ج.4: مادة "غض"، ص.994.

[5]-لقمان، [19].

[6]-الجوهري: الصحاح: ج.3: مادة "غض"، ص.1095.

[7]-ديوان الفرزدق: ج.2: ص.179، بحر البسيط.

[8]-الجاحظ: المصدر السابق: 370/1.

[9]-الأبيات من الطويل، ديوان الحماسة. أبو تمام، ص.279: (سبق وأن شرحنا الأبيات).

كَالسَّيْفِ إِنْ لاَيَنْتَــهُ لاَنَ مَتْنُــهُ   وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَــانِ) [1].

2-3-أغراضه: دلالة الإغضاء تتصل بصفة الحياء، وهي صفة نبيلة وسامية، تنم عن أخلاق عالية، اتصف بها العالم والحكيم والشريف. فزادتهم هيبة ووقارًا، وعُلُوّ همّــة، كمــا زادت الكريم كرما، لأنه كالسيف في تعاملك معه، فإذا لنت له لان معـــك، وإذا اســتعملت الخشونة انقلب ضدّك.

إلا أن "الغضّ" يُستعمل أحيانا بمعناه السلبي، إذ نقل لنا جرير (ت 114هـ) في شعره معاني الذّل والمهابة في قوله:

«فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ   فَلاَ كَعْبًا بَلَغْتَ وَلاَ كِلاَبَا»[2].

3-تقطيع الطرف: يقطع نظره تقطيعا لشدة عداوته.

وتقاطيع الوجه: هي ملامحه وما يظهر في تفاصيله، وقد وردت الدلالة في موضـــع واحد من "البيان"، وذلك في قول الشاعر[3]:

(يُقَطِّعُ طَرْفَه عَنِّي سُوَيْدٌ   وَلَمْ أَذْكُر بسَيِّئَة سُوَيْدَا) [4].

4-الحدج: جاء في المعجمات العربية أن الحدج هو الرمي، «والحدج: مصدر حدجت البعير أحدجه حدجا، إذا اشتدت عليه أداته، ويقال حدجه ببصره إذا رماه به، ويقال: حدجــه بذنب غيره إذا حمله عليه، والحِدج: مركب من مراكب النِّساء»[5].

وقد جاء هذا المعنى في البيان على لسان الشاعر[6]:

(وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ القَعُودُ وَحِدْجَهُ   وَابنُ النَّعَامَةِ يَوْم ذَلِكَ مَرْكَبِي) [7].

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 171/2.

(2)-ديوان جرير: دار بيوت للطباعة والنشر: ص.63. بحر الوافر.

(3)-البيت من الوافر، مجهول صاحبه.

(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 171/2.

(5)-يعقوب ابن السكيت: إصلاح المنطق: ت: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون: دار المعارف، ط.4، ص.23.

(6)-ديوان عنترة: دار بيروت للطباعة والنشر: 1978، ص.23، بحر الطويل.

الشرح: القعود: ما اتخذه الراعي من الإبل للركوب. النعامة: صدر القدم، يقول: إذا أسرك الرجال أركبوك قعـودا، إذا أسروني مشيت على قدمي.

(7)-الجاحظ: المصدر السابق: 317/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

«والتحديج: شدة النظر بعد روعة وفزعة، وحدجه ببصره يحدجه حدجـــا وحدوجـــا، وحدجه نظر إليه نظرا يرتاب به الآخر ويستنكره، وقيل: هو شدة النظر وحدته»[1].

والتحديج عند الجوهري مثل التحديق[2].

4-1-أنواعه: وقد ذكرت هذه الدلالة في موضع واحد في البيان وهو قوله: (وقال عبد الله بن مسعود: حدِّث الناس ما حدجوك بأبصـــارهم، وآذنـــوا لـــك بأســـماعهم، ولحظـــوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك) [3]. وهذا في معرض حديثه عن حسن السَّماع.

4-2-أغراضه:

التحديج دلالة تؤدي معنى حسن الاستماع للحديث، من خلال انتباه السامع للمتحـــدث، وذلك باستعماله النظر الحادّ والمحدّق. والحديث الذي ورد في البيان يحثّك على أن تحـــدّث الناس ما داموا مقبلين عليك، تشيطين لسماع حديثك، إذ يرمون بأبصارهم فيدققـــون النظـــر أكثر، وإذا رأيتهم قد ملُّوا فدعهم.

وهذا معنى من المعاني التي نقلها لنا الفعل "حدج" من معانيه الغزيرة.

5-التحميج: «فتح العين وتحديد النظر كأنه مبهوت، وقيل: تحميج العين: عُؤورهمـــا وقيل تصغيرهما لتمكين النظر، ... والتحميج: فتح العين فزعا أو وعيدًا... والتحميـــج عنـــد العرب نظر بتحديق، وقال أبو عبيدة (ت 210هـــ): التحميج: شدة النظر[4]. «فإن فتح عيـــن مفزّع أو مهدّد قيل "حمّج"[5].

5-1-أنواعه: وردت هذه الدلالة في موضع واحد من البيان:

(قال: دخل الهيثم بن الأسود بن العريان، وكان خطيبا شاعرا، على عبد الملـــك بـــن مروان فقال له: كيف تجدك؟ فقال: أجدني قد ابيضّ مني ما كنتُ أحب أن يســـودّ، واســـتودّ

---

(1)-ابن منظور: اللسان: ج.1: مادة "حدج"، ص.583.

(2)-الجوهري: الصحاح: ج.1: مادة "حدج"، ص.305.

(3)-الجاحظ: البيان والتبيين: 104/1.

(4)-ابن منظور: لسان العرب: ج.1: مادة "حمّج"، ص.712.

(5)-أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وأسرار العربية: ص.68.

مني ما كنت أحب أن يبيض، واشتدّ مني ما كنت أحب أن يلين، ولان مني ما كنت أحب أن يشتد، ثم أنشد[1]:

اسْتَمِعْ أنْبِئْكَ بِآيَاتِ الكِبر ... نَوْمِ العِشَاءِ وَسُعَالٌ بِالسَّحَر
وَقِلَّةِ النَّوْمِ إِذِ اللَّيْلُ اعْتَكَرْ ... وَقِلَّةِ الطَّعمِ إِذِ الزَّادُ حَضَرْ
وَسُرْعَةَ الطَّرْفِ وَتَحْمِيجُ النَّظَر ... وَتَرْكِيَ الحَسْنَاءَ فِي قُبُلِ الطُّهُر) [2].

5-2-أغراضه:

لقد أدّى هذا الفعل غرضه في التعبير عن الحالة النفسية للإنسان، الذي تظهر عليه علامات الكِبر، حيث دقق الشاعر في وصفها حين أضاف لقلة النوم والطعام إشارات العين التي تعبّر عن حالة الفزع والخوف.

ولا أدل من توصيف هذه الحالة بالفعل "حمّج"، الذي عبّر عن شدة النظر وحدّته.

6-الومض بالعين:

جاء في اللسان: «ومض البرق وغيره يمض ومْضا ووميضا وومضانًا وتوماضًا، أي لمع لمعًا خفيا، ولم يعترض في نواحي الغيم، فالومض والوميض من لمعان البرق وكل شيء صافي اللون... وقد يكون الوميض للنار... وأومض له بعينه: أومأ.

وفي الحديث[3]: (هلاّ أومضت إليّ يا رسول الله)، أي هلاّ أشرت إليّ إشارة خفية»[4].

«أومضت المرأة بعينها: أي سارقت النظر»[5].

«والومض يعني باللفظ: الإشارة الخفيفة مثل الوحي، وهو مأخوذ من قولهم: أومض البرق وومض إيماضا ووميضا إذا لمع لمعانًا خفيا ولم يعترض»[6].

---

(1)-الأبيات من الرجز، وهي لهيثم بن الأسود العريان.

(2)-الجاحظ: البيان والتبيين: 399/1.

(3)-وفي الحديث: «يا نبي الله ألا أومضت إليّ، فقال أنه ليس لنبي أن يومض». (مسند الإمام أحمد بن حنبل، م."3"، ص.151).

(4)-ابن منظور: لسان العرب: ج.6: مادة "ومض"، ص.4927.

(5)-ابن سيده: المخصص: م.1: ص.118.

(6)-كريم حسان الدين: الإشارات الجسمية: ص.45.

6-1-أنواعه: ذكرت الدلالة في موضع واحد في البيان وهو قوله: (وقال بعضهم لزائر له ورآه يومئ إلى امرأته، وهو أبو عطاء السّندي[1]:

كُلْ هَنِيئًا وَمَا شَرِبْتَ مَرِيئًا ثُمَّ قُمْ صَاغِرًا فَغَيْرُ كَرِيمِ

لاَ أُحِبُّ النَّدِيمَ يُومِضُ بالعَيْـ ـنِ إِذَا مَا خَلاَ بِعِرْسِ النَّدِيمِ) [2].

6-2-أغراضه: تؤدي هذه الدلالة معنى السرعة، فهي إشارة خفيفة وخفية، زمنها قصير جدا، كزمن وميض البرق.

7-اللمح واللمحة:

«اللمحة هي النظرة العجلة، وقيل هو اختلاس النظر.ولمحه يلمحه لمحا، ولمح إليه، ...واللوح: -النظر كاللمحة، لُحته ببصري لوحة، ثم رأيته ثم خفي عليك»[3].

«وقال بعضهم: لمح: نظر، وألمحه هو... وألمحت المرأة من وجهها إلماحا إذا أمكنت أن تُلمح... وقيل: لا يكون اللّمح إلا من بعيد»[4].

7-1-أنواعها: جاءت الدلالة في البيان مرة واحدة: على لسان الشاعر[5]:

(أُرَاقِبُ لَمْحًا مِنْ سُهَيلٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرُفُ) [6].

7-2-غرضها:

---

(1)-الأبيات من الخفيف، والشاعر: هو أفلح بن يسار مولى بني أسد، نشأ بالكوفة وهو من مخضرمي الدولتين العباسية والأموية، مدح بني أمية وبني هاشم، كان أبو يسار سنديا أعجميا لا يفصح، كما كان في لسان أبي عطاء السندي لُكنة شديدة ولثغة، توفي عام (180هـ).

(2)-الجاحظ: البيان والتبيين: 347/3.

(3)-ابن سيده: المخصص: م.1: ص.120.

(4)-ابن منظور: لسان العرب: ج.5: مادة لمح، ص.393.

(5)-البيت من الطويل، يُنسب إلى جيران العود.

سهيل: كوكب أحمر منفرد عن الكواكب ولقربه من الأفق تراه أبدا كأنه يضطرب، وهو من الكواكب اليمانية ومطلعه عن يسار مستقبل قبلة العراق، وهو يُرى في جميع أرض أرمينية، وبين رؤية سهيل بالحجاز وبين رؤيته بالعراق بضع عشرة ليلة. (انظر أدب الكاتب، ابن قتيبة، ص.93).

(6)-الجاحظ: المصدر السابق: 40/4.

مقارنة لطيفة من الشاعر، بين النجم وما يراقبه بعينه التي وصفها باللمح. فالنجم يطلع بسرعة، واللمح كذلك فيه سرعة النظر كالبرق. وهذا الوصف مذكور في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (1)، أي كخطفة بالبصر، والخطفة فيها سرعة كبيرة.

وهناك جامع دلالي بين "الومض" و"اللمح"، إذ يتميزان بـــ:

1-سرعة حركة العين في تنفيذهما.

2-هي إشارات خفيفة وخفية.

3-زمن استغراقهما قصير جدا، كزمن استغراق البرق الذي يظهر بسرعة ثم يختفي.

8-الشزر: «نظر شزْرٌ: فيه إعراض كنظر المعادي المبغض، وقيل هو نظر علـــى غير استواء بمؤخر العين، وقيل هو النظر عن يمين وشمال، وشزّر إليه: نظر منه في أحـــد شقيه ولم يستقبله بوجهه... ونظر إليه شزْرًا وهو نظر الغضبان بمؤخر العين»(2).

8-1-أنواعه: ورد في موضع واحد من البيان على لسان الشاعر(3):

(أَلاَ رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى ... مَقَالَتَه بِـــالغَيْب سَـــاءَكَ مَـــا يَفْـــرِي

مَقَالَتَه كَـــالشَّحْـــمِ مَـــا دَامَ شَاهِـــدًا ... وَبِـــالغَيْبِ مَـــأْثُورٌ عَلَى ثُغْرَةِ النَّحْـــرِ

تُبِيـــنُ لَكَ العَيْنَـــانِ مَـــا هُوَ كَـــاتِمٌ ... مِنَ الشَّرِّ وَالبَغْضَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّزْرِ) (4).

8-2-أغراضه: في البيت وصف لحالة الصديق الذي يدّعي صداقته أمام الآخر، رغم أنه لا يُكنّ له غير العداوة والبغضاء، فهو يفتري على صاحبه من الأقـــوال والأفعـــال. ولا يوجد أصدق تعبير عمّا يكنُّه الصّدر، من حركة العين التي لها القدرة على إظهار المحاســـن والمساوئ من خلال هيئتها، كالنظر الشزر الذي يُقصد به النظر بمؤخر العين نظر الغضبان والمُعادي.

(1)-القمر، [50].

(2)-ابن منظور: لسان العرب: ج.3: مادة "شزر"، ص.810.

(3)-الأبيات من الطويل، وتُنسب إلى سويد بن الصامت بن حارثة الخزرجي لأنصاري: وهو شاعر من أهل المدينة اشـــتهر في الجاهلية، وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير لقيه النبي ﷺ بسوق "ذي المجاز" فدعاه إلى الإسلام وقرأ عليه شيئا من القـــرآن فاستحسنه قبله الخزرج قبل الهجرة.

-والفري: جمع فرية وهو الكذب والمبالغة فيه، والثغرة: النقرة في النّحر، وتشبيه القول الطيب بالشـــحم مـــن نـــوادر التشبيه، والمأثور: المقصود به السيف (انظر عيون الأخبار، ج.3، ص.93).

(4)-الجاحظ: البيان والتبيين: 66/4.

وأهم المميزات الدلالية لفعل "الشزر":

1-حركة جزئية.

2-إشارة تحمل معاني البغض والكره والحقد في حالة الغضب.

3-حركة مبهمة غير واضحة تميل إلى التستر والخفاء أكثر.

9-اللحظ: «ولحظ إليه يلحظه، لحظا ولحظانا إذا نظره بمؤخر العين، من أي جانبيه كان يمينا أو شمالا... وقيل اللحظة: النظرة من جانب الأذن، واللحاظ مؤخر العين مما يلي الصدغ، والجمع لحظ، وهو أن ينظر الرجل بلحاظ عينه إلى الشيء شزرًا، وهو شق العين الذي يلي الصدغ، واللحاظ: مؤخر العين، واللحاظ: مصدر لاحظته إذا راعيته. والملاحظة: مفاعلة من اللحظ...»[1].

9-1-أنواعه: جاء في موضعين متكررين في البيان، وهو قوله.

(وأنشدني بيتًا في صفة خطباء إياد[2]:

يَرْمُونَ بالخُطب الطِّوَال وتَارَةً وَحْيِ المَلاحِظِ خيفة الرُّقَبَاء) [3]

9-2-أغراضه: لقد وصف العلماء إشارة لحظ العين، بأنها هيئة متكررة للعين، لأنها جماع هيئة النظر كلها. «فلحظ العين يقطع به ويتواصل، ويوعد، ويهدّد ويقبض وتبسط، وتضرب به الوعود وينبه على الرقيب[4]»[5]، ولكل واحد من هذه المعاني ضرب من هيئة اللحظ لا يوقف على تحديده إلا بالرؤية ولا يمكن تصويره ولا وصفه إلا بالأقل منه...»[6].

(1)-ابن منظور: لسان العرب المحيط: م.5: مادة "لحظ"، ص.349.

(2)-البيت من الكامل. والشاعر: هو أبو داود الإيادي: واسمه جارية بن الحجاج بن حذاق، وقال بعضهم هو حنظلة بن الشرقي. أحد نعات الخيل البارعين من شعراء الجاهلية، مع النابغة الجعدي وطفيل الغنوي، كان على خيل الملك المنذر بن النعمان. قال: كانت العرب لا تروي شعر أبي داود لأن ألفاظه ليست نجدية. (للتفصيل أكثر: انظر: الأصمعيات، ت: قصي الحسين، ط.98. بيروت، ص.93).

(3)-الجاحظ: البيان والتبيين: 1/39-40، وص.370.

(4)-هو المعنى الذي نقله الشاعر في بيته السابق.

(5)-ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والإيلاف: ت: إحسان عباس: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط.1، الأردن، 1993، ص.136.

(6)-المصدر نفسه: ص.136.

وأهم المميزات الدالة على اللحظ"

1-أنها حركة خفيفة وسريعة.

2-إشارة جانبية.

3-إن الدراسات التجريبية أثبتت بالتقنيات الحديثة أن بعض تعبيرات الوجه «كإشارات العين مثلا: يتم إطلاقها بسرعة فائقة لا يمكن للعين المجردة ملاحظتها، وقد أمكن رصدها وتحليلها عن طريق التصوير البطيء»[1].

نتيجة: للعين سلوكات متنوعة تصدر عنها، ومن صورها تلك الأفعال التي تحدثها من تقطيع، ولحظ، وشزر، وغض الطرف، وهي سلوكات تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه. ومن أهم الدلالات التي يمكن رصدها: الخوف- الخجل- النفور- الكراهية- الغضب الفرح والحزن، وغيرها من الأفعال الدالة، وقد أطنب العلماء في وصفها وتحليل حركاتها. «فالإشارة بمؤخر العين الواحدة نهي عن الأمر، وتفتيرها إعلام بالقبول، وإدامة نظرها دليل على الترجع والأسف، وكسر نظرها آية الفرح، والإشارة إلى إطباقها دليل على التهديد»[2]، فالعين تفعل كل هذا، وتكشف عما تريده النفس وتقف على الحقائق وتميز الصفات، وتبرز الخفي وتظهر المحسوس.

4-الإشارة بالحاجب:

«الحاجبان هما العظمان اللذان فوق العينين بلحمهما وشعرهما، صفة غالبة، والجمع حواجب، وقيل الحاجب: الشعر النابت على العظم، سمّي بذلك لأنه يحجب عن العين شعاع الشمس، قال اللحياني: هو مذكر لا غير، وحكي أنه لمزجّج الحواجب كأنهم جعلوا كل جزء منه حاجبا. قال: وكذلك يقال في كل ذي حاجب، قال أبو زيد: في الجبين: الحاجبان، وهما منبت شعر الحاجبين من العظم»[3].

---

(1)- أحمد مختار عمر: محاضرات في علم اللغة الحديث: ص.141.

(2)- ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والإيلاف: ص.136.

(3)- ابن منظور: لسان العرب: ج.1: مادة "حجب"، ص.568.

4-1-أنواعه: جاء في البيان في موضعين:

الموضع الأول قوله: (قد قلنا في الدلالة باللفظ، فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب..) [1].

الموضع الثاني قوله: (وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير ومعونة حاضرة...)[2].

4-2-غرضه: يحمل الحاجب دلالات كثيرة، فهو يعبر عن حالات الغضب والاستياء، وأخرى عن التعجب والحيرة، ويكون ذلك برفعه أو تقطيبه أو اهتزازه.

5-الإشارة بالمنكب:

«المنكب مجتمع الرأس والعضد والكتف وطرف الترقوة، يقول صاحب العين: يكون المنكب للإنسان وغيره. أبو حاتم: منكب الإنسان: مجتمع رأس الكتف، ورأس العضد. سيبويه: المنكب: اسم للعضو ليس للمصدر ولا للمكان لأن فعله نكب ينكب وينكِب وينكَب، وكلاهما منكب في الموضع والمصدر، ومن المنكِب إلى أصل العنق...»[3].

5-1-أنواعه: جاءت إشارة المنكب في موضع واحد من "البيان" قوله"

(...فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان...)[4].

5-2-غرضه: المنكب الذي ذكره الجاحظ في بيانه، يجعله من الأعضاء المساعدة على التبليغ والتوصيل، وذلك لأنّه يحمل دلالات غزيرة من خلال هيئاته المختلفة، كالرفض عند هزه، أو الإعراض عن شيء ما حين يستدار به.

ملاحظة: هناك حركات أخرى تستخدم فيها دلالة المشي تعبيرا عن حالة شعورية من الآخرين، وذلك قصد جذب الناس ولفت انتباههم واهتمامهم. والنساء هنّ الأكثر تعرضا لحركات المشي المتميزة للفت الطرف الآخر، (مع الذي يكون مع الإشارةمن الدّلّ والشكل،

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 77/1.

[2]-المصدر نفسه، ص.78.

[3]-ابن سيده: المخصص: ج.1: ص1.59.

[4]-الجاحظ: المصدر السابق: ص.77/1.

والتفلّت والتثني، واستدعاء الشهوة، وغير ذلك من الأمور) [1].

خلاصة:

لقد فطن الجاحظ إلى لغة الإشارة وأهميتها في التواصل البشري، إذ تعدّ جزءا هاما من هذا البيان الواسع في عالم تراكمت فيه المعلومات والمعارف حتى صارت معقدة، ونظرا لازدحام الثقافات الوافدة هنا وهناك، انتشرت الإشارات بشكل سريع بين الناس، ولوحظ عنها تلك المشاركة الجماعية لابدائها سواء بالعين أو باليد أو بالرأس، وقد ذهب العلماء إلى الاستنتاج بأن الانفعال إنما هو شيء عالمي، لأن الناس جميعا تنتج إشارات متنوعة تظهر على ملامح الوجه، لهذا ظهر اهتمام الجاحظ واعتنائه بدلالة العين واليد في بيانه، إذ أنهما الأكثر ظهورا وبروزا في جسم الإنسان، كما أنهما الأكثر تداولا واستعمالا، وهما وسيلة التعبير عن الحالات العاطفية بعد الكلام، لهذا كانت لهذه الحركات دلالات معنوية وأخرى حسية تستدعيها وظيفة كل عضو على حدة، فالعين للتقطيع والغض والنظر الشزر، واللمح واللحظ والتحميج والحدج، واليد للإلواء والتلويح والإشارة، كما أن للرأس والحاجب والمنكب دلالاتها، حيث تستخدم للرفض والقبول والتعجب والاستغراب، وفي أحيان أخرى هي لإبداء الحسرة والتوجع والأسى.

وأهم المميزات الدلالية للعين واليد هي:

1-دلالة العين واليد هما الأكثر تعرضا للحركات الجسمية، بالمقارنة مع الإشارات الأخرى لأنهما الأكثر بروزا في الجسم.

2-هذه الإشارات جماعية متفق عليها عالميا، إذ الجماعة تتعرض لانفعال واحد، مع بعض الفروق في عملية التحكم في التعبير عن هذه الانفعالات.

3-تؤثر هذه الحالات النفسية على الشخص فتنعكس على أدائه الحركي.

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: ص.79.

6-جدول يلخص وظيفة الإشارات الجسمية كما وردت في "البيان والتبيين":

دلالة الإشارة	نوعها	موضعها في "البيان"	غرضها
-أ-اليد	1-إشارة باليد	1-البيان، ج1، ص.197-198-300	-تحريك اليد كلّها أو إلواء الأصابع أو التلويح بها قصد إيصال معاني عديدة منها: الطلب، القبول، الرفض التهديد، الوعيد، التخويف، التدليل بالشيء وتعريفه...
	2-أو بالإلواء	2-البيان، ج.2، ص299-300	
	3-أو بالتلويح	3-البيان، ج.3، ص90	
ب-الأصابع		4-البيان، ج3، ص342	
جـ-الكف		5-البيان، ج3، ص272	
2-الرأس	-إشارة بالرأس	1-البيان، ج1، ص77 وص78	-هو يحوي معظم أعضاء الجسم من العينين والأذنين والفم، لهذا فهو غني بالإشارات الدالة بحركة يصدرها الرأس، فهو يعبر عن: 1-الرفض والقبول، والموافقة والمخالفة 2-التحية والاحترام، وأحيانا ينقل معنى الخجل والحياء بتحريك الرأس إلى أسفل 3-كما يميل في بعض الأحيان يمينا وشمالا دالا على الشك في التردد في مسألة ما أو إبداء الاحتمال لقضية معروضة...
3-العين	1-إشارة بالطرف أو أ-بالغض ب-بالتقطيع جـ-بالإحاطة	1-البيان، ج1، ص78-219،370، 382، 386، 399 2-البيان، ج2، ص40، 171 172 3-البيان، ج3، ص38-41 180-310. 4-البيان، ج4، ص40	1-للتعبير عن الخوف، والخجل، والحياء والحرص الشديد، والهيبة، والوقار.. (وهي أفعال إيجابية) 2-أو التعبير عن المهانة و الذلّ والاحتقار، أوشدة العداوة... (وهي أفعال سلبية).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دلالـــــــة الإشارة	نوعها	موضعها في "البيان"	غرضها
	2-الحدج (حدة البصر)	-البيان، ج1، ص104	-تعبر الإشارة عن شدة الانتباه، والتركيز، وحسن الاهتمام بالشيء، مع تحقيق النظر فيه...
	3-التحميج (شدة النظر مع فتح العين	-البيان، ج1، ص399	-تنقل حالة الفزع والخوف -تعبر عن الحالة النفسية للإنسان وخاصة علامات الكبر.
	4-الومض (سرعة النظر)	-البيان، ج1، ص347	-إشارة خفيفة وخفية، تعبر عن السرعة في أدائها -تنقل حالة الخفاء والتستر، وتعبر عن الخوف أو الدهشة.
	5-اللمح (إشارة سريعة)	-البيان، ج4، ص40	-حركة سريعة تؤدّى في زمن قصير -حالة الخفاء والتستر
	6-اللحظ: (إشارة جانبية)	-البيان، ج1، ص39 40-370	-تنقل معاني التحقيق في الشيء، والتنبيه له، وهي سريعة وجانبية، كما تنقل حالات الفرح.
	7-الشزر	-البيان، ج4، ص66	-تعبر عن حالة الغضب، لأن الشزر هو نظر الغضبان بمؤخر العين . -تنقل حالة العداوة والبغضاء والكره والحقد، وهي صفات سلبية غير مستحبة -كما أنها إشارة خفية.
4-الحاجب	الإشارة بالحاجب (تقطيبةأو اهتزازه)	-البيان، ج1، ص77-78	-تعبر عن حالات الغضب والاستياء، كما تنقل التعبير عن التعجب والحيرة وإشارة الحاجب قوية وواضحة، تعرف دلالاتها بسرعة.
5-المنكب	الإشارة بالمنكب (تحريكه)	-البيان، ج1، ص77	-يحمل معاني الرفض والإعراض، وينقل الصفات السلبية، ومجال استعماله في الواقع، قليل وضعيف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-الإشارات غير الجسمية:

من الإشارات التي وُظفت خارج الجسم، وكانت مادية، تلك التي نص عليها الجاحظ في بيانه بقوله: (وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسّوط، فيكون ذلك زاجرا ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا) [1]، وعليه يكون التقسيم كالآتي:

1-إشارات تتم خارج الجسم باستخدام الملابس (كالثوب وغيره).

2-إشارات تتم خارج الجسم باستخدام المخاصر (كالعصا والسيف وغيرها).

1-الإشارات بالملابس:

اتفق العلماء على أن من أهم وسائل الاتصال غير اللغوي، الاهتمام بالمظهر الخارجي، لأنّه دليل آخر على هذا الاتصال، إذ يمدنا بمعلومات هامة اتجاه الآخر الذي نتعامل معه. فالمجتمع يتكون من عناصر مختلفة ومتنوعة من حيث الأعمار والأجناس وطريقة العيش والثقافة. ولكي نعرف بعض ميزات هذا المجتمع الذي تحكمه العادات والتقاليد، أو بعض ميزات الفرد، يجب أن نهتم بالجانب الخارجي من المظهر والهيئة ونوعية الملابس وطريقة ارتدائها.

وإذا لم يغفل الجاحظ عن هذا النظام من الملابس في الثقافة العربية، حيث ذكر في "البيان" أهم الملابس التي كان يرتديها الحكام والرعية في البلاط العباسي، وما يميز الطبقات الاجتماعية الآخرى من عوام وخواص، مع ما يرتديه أهل العلم والحكماء، وأهل الصناعات والحرف، وما يخص النساء وما يتعلق بالرجال، ولكن ما علاقة هذه الأنظمة من الملابس بالإشارة، وما الذي يجعل هذه الأنظمة مهمة في مجال التواصل غير الكلامي؟

إن مجرّد النظر إلى جسم شخص ما وملاحظة الهيئة أو الوضع الذي يكون عليه، أو شكل ونمط الملابس التي يرتديها يمكن أن يمدنا بمعلومات قيمة... «...وكأنه يعمد إلى استنطاقه لتوجيه رسائل مختلفة للآخرين، والجسم بهذا المفهوم يمثل نصّا مكتوبا يمكن أن يقرأه الآخرون»[2].

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 1/77.

[2]-كريم حسام الدين: الإشارات الجسمية: ص.107.

ومن أهم الملابس التي اعتنى بها الجاحظ في "البيان والتبيين" وأولاها أهمية كبيرة، تلك التي ميزت المجتمع العربي عن غيره بلبسه النعال والخفاف والقلانس والعمائم والعصابات...

1-أ-النّعال والخفاف: لبس النّعال والخفاف، هو مظهر من مظاهر الدّول المتحضرة، فالعربي قديما كان يستجيد النّعال دائما، ويحب ارتداءها، إذ هي علامة من علامات الجمال وحسن المظهر والهيئة، (تمام جمال المرأة في خفها، وتمام جمال الرّجل في كمته) [1]، كما أنها بقية ما بقي من ثقافة العرب وتقاليدهم: (قال غيلان بن خرشة للاحنف: يا أبا بحر، ما بقاء ما فيه العرب؟ قال: إذا تقلدوا السيوف، وشدوا العمائم، واستجادوا النّعال...)[2]، كما أنّها تلعب دورا هاما في نقل معاني التعظيم والاحترام؛ لأنّها تزيد صاحبها هيبة ووقارا. وقد اتخذها الشعراء وسيلة للمدح والإشادة كقول الشاعر[3]:

(إِلَى مَعْشَرٍ لاَ يَخْصِفُونَ نِعَالَهُم   وَلاَ يَلْبَسُونَ السّبْتَ مَا لَمْ يُخَصَّرِ[4])[5]

وإذا وصف الشاعر النّعال بالجودة، فقد بدأ يمدح لابسها قبل أن يمدحها. وآخرون نقلوا معناها إلى الترف والبذخ كقول النابغة الذبياني[6]:

(رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ   يُحَيَّوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ

يَصُونُونَ أَجْسَادًا قَدِيمًا نِعَالُهَا   بِخَالِصَةِ الأَرْدَانِ خُضْرُ المَنَاكِبِ) [7].

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين، 106/3.

[2]-المصدر نفسه: 88/3.

[3]-البيت من الطويل، والشاعر هو عتيبة بن مرداس أحد بني عمرو بن كعب، شاعر مقل مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان هجاء خبيث اللسان. مدح الحسن بن علي وعبد الله بن جعفر في قصيدة طويلة.

[4]-وتخصير النّعال: لها خصران دقيقان.

[5]-الجاحظ: المصدر السابق، 111/3.

[6]-ديوان النابغة: المكتبة الثقافية، بيروت، ص.12. بحر الطويل.

الشرح: نعالهم رقيقة: لأنهم مترفون لا يمشون على أرجلهم. الحجزات: واحدها الحجزة: الوسط السباسب: يوم من أعياد النصارى. والممدوح هو عمر بن الحارث الأعرج النصراني. الردن: مقدم كم القميص (وهو لباس يلبسه أهل الشام).

[7]-الجاحظ: المصدر السابق، 107/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في حين كان بعضهم ينهى نساءه عن لبس الخفاف الحُمر والصُّفر لأنها من زينة آل فرعون[1].

ولأهمية النّعال كانت تلبس في أوقات الصلاة لقول الجاحظ: (وحدثنا سلام بن مسكين قال: ما رأيت الحسن إلا وفي رجليه النّعل. رأيته على فراشه وهي في رجليه، وفي مسجده وهو يصلي وهي في رجليه) [2].

كما كان النّساء يضربن بصدورهن بالنّعال تعبيرا عن عظمة مصابهن، وهول الفاجعة أوقات المحن والشدائد: (وعلى ذلك المعنى أشار النّساء بالمآلي[3] وهنّ قيام في المناحات، وعلى ذلك المثال ضربن الصدور بالنّعال) [4].

2-أ-القلانس والعمائم[5]: لقد كان لبس القلانس والعمائم في الدولة العباسية رمزا من رموز الثقافة آنذاك، إذ تخصصت كل فئة من فئات المجتمع بلباس معين يدل على اختلاف عناصرها وطبقاتها، فللحكام زي خاص بهم، وللعوام زي خاص، كما أن للعلماء والحكماء زيّهم الخاص، (ولكل قوم زي)[6].

وهذا التنوع في الأزياء والألبسة نشأ عنه تنوع في النظرة، وإحساس بالتميز، وشعور بالاتجاه، كلّ وضعت له قوانين وعلامات لا يتعداها. فكانت بمثابة الإشارات التي تعلمنا وتخبرنا بوجود حضارة راقية مميزة، يجب احترامها باحترام هذه الأنظمة التي اتخذت مرتكزا هاما من مرتكزات الأمة، وحتى الألوان واختيارها لعبّ دورا أساسيا في هذا الانتماء (كخراسان مثلا كان لهم زيهم الخاص، فقد كانوا يحرصون على أن تكون ثيابهم سوداء باعتبار أنهم أهل الدعوة العباسية ومخرج الدولة وأن السواد شعارها، وكأنهم أرادوا أن يكون زيّهم معبّرا عن اتجاههم السياسي) [7].

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين : 106/3.

[2]-المصدر نفسه: 110/3.

[3]-المآلي (جمع مئلاة): خرقة تمسكها المرأة عند النوح.

[4]-الجاحظ: المصدر السابق: 43/3.

[5]-القلنسوة: هي القبعة السوداء الطويلة المخروطية الشكل، والعمامة كل ما يعصب به الرأس.

[6]-الجاحظ: المصدر السابق: 114/3.

[7]-طيبة صالح الشذر: ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ: دار رقباء للطباعة، القاهرة، ص.59.

ب-طريقة الاعتمام:لقد نقلت لنا نصوص الجاحظ عادات وتقاليد الشخص، حيث تحكمت في طريقة لبسه يقول: (وكان مصعب بن الزبير يعتم القفذاء، وهو أن يعقد العمامة في القفاء وكان محمد بن سعيد بن أبي وقاص الذي قتله الحجاج يعتم الميلاء) [1]، وقوله على لسان الشاعر [2]:

(إذَا لَبِسوا عَمَائِمهمْ لوَوْها عَلى كَرَمٍ وَإنْ سَفَرُوا أنَارُوا) [3]

4-أهميتها: لقد نقلت لنا العمة والقلنسوة: دلالات متنوعة وغنية، وأخبرتنا بمعلومات قيمة عن جنس الشخص وموطنه الذي يعيش فيه، يقول الجاحظ: (ولعلّ ذلك أن يكون مقصورا في بني عبد شمش...) [4] كما أنّها دليل العربي الذي بقيت منه آثار عروبته في هذه العمامة (إذ تقلدوا السيوف وشدوا العمائم..) [5]، ولبسها أيضا هو دليل الجمال وحسن المظهر [6]، كما أنها دليل الزعامة والرئاسة لقول دريد ن الصمة:

(أَبْلِغْ نُعَيْمًا وَعَوْفًا إنْ لَقِيتَهُمَا إنْ لَمْ يَكُنْ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمَمُ

فَلاَ يَزَالُ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ يَهْدِي المَقَانِبَ مَا لَمْ تُهْلَكِ الصِّمَمُ

عَارِي الأشَاجِعِ مَعْصُوبٌ بِلِمَّتِهِ أَمْرُ الزَّعَامَةِ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ) [7]

وهي وقاية للعربي من أجواء الطبيعة وتقلباتها: (قيل لأعرابي: إنك لتكثر لبس العمامة؟ قال: إن شيئا فيه السّمع والبصر لجدير أن يوقى في الحرّ والقرّ) [8].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 103/3.

(2)-البيت من الوافر. والشاعر مجهول النسبة.

(3)-الجاحظ: المصدر السابق: 104/3.

(4)-المصدر نفسه: ص87/3.

(5)-المصدر نفسه: 88/3.

(6)-المصدر نفسه: 88/3.

(7)-الأبيات من البسيط. وتنسب إلى دريد بن الصمّة بن الحارث بن معاوية من قيس غيلان وأمه ريحانة بنت معدي كرب. أخت الشاعر عمرو بن معدي كرب. ودريد أحد الشعراء الفرسان وأحد الشجعان في الجاهلية. أدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على شركه. عاش نحوًا من 200 سنة. (الأصمعيات، الأصمعي، ص54). والأبيات في رثاء أخيه عبيد يغوث بن الصمّة. -الجاحظ: المصدر السابق: 88/3-89.

(8)-المصدر نفسه: 89/3.

(وذكروا العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال: جنّة في الحرب، ومكنّة[1] من الحرّ ومدفأة من القرّ... وواقية من الأحداث) [2].

وقد يتدخل عامل الزمن والمناسبة في دلالة هذه الملابس، كما تتدخل عوامل معنوية كالاحترام والتقدير، وهي عوامل المقام الذي يستدعيه الموقف. وفي أحيان أخرى تعبّر هذه الألبسة عن الحالة النفسية للشخص.

وهذا النص جامع لكلّ هذه المعاني. يقول: (وقد يلبس الناس الخفاف والقلانس في الصيف كما يلبسونها في الشتاء، إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الأمراء، وعلى السادة والعظماء، لأن ذلك أشبه بالاحتفال، وبالتعظيم والإجلال، وأبعد من التبذّل والاسترسال، وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم في منازلهم ومواضع انقباضهم) [3].

كما كان العرب يلتزمونها أيام الجموع وفي مواسم الخطب. يقول: (وبمطاعنهم على خطباء العرب... ولزومهم العمائم في أيام الجموع، وأخذ المخاصر في كل حال ...)[4].

وقوله: (وقد لا يلبس الخطيب الملحفة ولا الجبّة ولا القميص ولا الرّداء، والذي لا بد منه العمّة والمخصرة ...)[5].

هذا وإن للمظهر الخارجي دورا هاما في تكوين شخصية الإنسان، لأن الحالات النفسية المتعددة تتأثر بكل ما هو خارجي. فالمنظر الحسن والهيئة الجميلة تكسب الإنسان ثقته بنفسه، وتجعله أكثر اندفاعا للآخرين وأكثرهم اجتماعا، دون إحساس بنقص أو شعور بضعف. في حين تنعكس صورة الشخص الذي لا يبدي اهتماما بمظهره الخارجي على نفسيته، فهو يشعر بالخوف والاضطراب، كما أنه يحس بفقد ثقته بنفسه، وكثيرا ما تجده يميل إلى الانطواء، وغير متحمس للآخرين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]-مكنّة: وقاية (البيان: 3/ 89).

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين: 89/3

[3]-المصدر نفسه: 144/3.

[4]-المصدر نفسه: 6/3.

[5]-المصدر نفسه: 92/3.

وهذه الحالات نفسها تؤثر في الآخرين، فهم يحبون التحدث مع الشخص الأنيق ذو المظهر الحسن، وينبذون الشخص الذي لا يعير اهتماما بهيئته ومظهره. وقد نقل لنا الجاحظ هذا المعنى في قوله: (قال سهل بن هارون: لو أن رجلين خطبا أو تحدثا، أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلا جليلا بهيّا ولبّاسا نبيلا... وكان الآخر قليلا قميئا، وبادّ الهيئة ... ثم كان كلاهما في مقدار واحد من البلاغة... لشغلهم التعجب من الباذ الهيئة، لأن النفوس كانت له أحقر... ومن بيانه أيأس ومن حشده أبعد...)[1].

هذا وقد تعلقت دلالة "معمّم" عند الجاحظ بما يفعله الشخص من سلوك سلبي ارتبط بالجناية، وذلك في قوله: (والعصابة والعمامة سواء إذا قالوا: سيّد معمّم، فإنمّا يريدون أن كل جناية يجنيها الجاني من تلك العشيرة فهي معصوبة برأسه) [2].

لقد حملت القلانس والعمامات معاني عديدة في مجال البيان. فهي مرة تدل على العروبة والزعامة، مع ما تحمله من دلالات الهيبة والوقار في الخطب والمواسم، ومرة أخرى تنقل معنى الجريمة عند أصحابها لتدل على الجناية. ومع هذا فقد اشتهرت فائدتها ماديا، إذ تقي صاحبها من الحرّ والبرد، كما تحميه من أزمات الحروب، فهي ذات دلالة إخبارية قيمة، إذ تعد علامة من علامات التعارف بين العرب، حيث كانوا يتخذونها لواءا، كما كانت الأقنعة سلاحهم الذي يستخدمونه للتنكر أمام أعدائهم[3]. وهي رسالة إخبارية هامة لهذا العدو، إذ بها يستطيع كل واحد منهم أن يدافع عن نفسه من خلال تمييزه بين العدو والصاحب، وذلك بارتداء العمامات ذات الألوان المختلفة. وهي قبل هذا وذاك عادة من عادات الخطباء، كانوا يلتزمونها أثناء إلقائهم للخطبة، مع ما يحملونه من أدوات أخرى كالعصا وغيرها.

2-الإشارات بالعصا

كان العرب في خطبهم يكثرون من استعمال الأيدي وإشاراتها. وما استعمال العصا عندهم إلا ميزة فرضتها طبيعة العيش في البيئة العربية، فهي ضرورة من ضرورات الحياة

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 1/89-90.

[2]-المصدر نفسه: 3/88.

[3]-النصوص المتعلقة بهذا الخبر توجد في ج.3، ص102-105

المتغيرة. وقد مثلها الجاحظ في بيانه ذاكرا فوائدها الجمّة. وذلك ردًّا على مطاعن الشعوبية للخطباء والملوك.

وأهم الوسائل التي اعتمدها العربي في حياته العامة، المخاصر[1] والقسيي والعصيّ والقنا. يقول: (كانت العرب تخطب بالمخاصر، وتعتمد على الأرض بالقسي، وتشير بالعصي والقنا..) [2]. والأمثلة في البيان كثيرة:

أ-قال الفرزدق[3]:

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ) [4].

فملازمة هذه المخاصر للخطباء والملوك يدل دلالة واضحة على أنّها الوسيلة الأفضل تداولا، والأكثر استعمالا من قبل العربي. فكما ميّزته هيئته الخارجية من منظر حسن يؤثر في الحاضرين، إضافة إلى اللّسان المبين، تميزه هذه المخاصر التي فرضت وجودها بقوة في مجالس العلماء والخطباء، إذ كانت مرتبطة أكثر بصفاتهم المعنوية كالهيبة والوقار والشموخ، وها هو الشاعر يفتخر بمجالس هؤلاء بقوله[5]:

(مَجَالِسُهُمْ خَفْضَ الحَدِيثِ وَقَولهم إِذَا مَا قَضَوْا فِي الأَمْرِ وَحْيُ المَخَاصِرِ) [6]

وكأن الكلام الذي يخرج من أفواههم، إنما هو من وحي هذه المخاصر التي تكاد أن تكون بديلة عن اللّسان الناطق.

ب-قال على لسان الكميت بن زيد[7]:

---

[1]-المخاصر: جمع مخصرة، وهي ما يختصره الإنسان، فيمسكه بيده (عصا، مقرعة، عكازة) وهذه المخاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها.

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين: 370/1.

[3]-ديوان الفرزدق: ج.2: ص.179. بحر البسيط.

[4]-الجاحظ: المصدر السابق: 370/1.

[5]-البيت من الطويل، وقائله مجهول.

[6]-الجاحظ: المصدر السابق: 370/1.

[7]-الأبيات من مجزوء الكامل. والكميت بن زيد: هو أبو المستهل الشاعر، شاعر أهل البيت، من أهل الكوفة، اشتهر في العصر الأموي وكان عالما بآداب العرب ونعاتها وأخبارها، وأنسابها، ثقة في عمله، منحازا إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، وهو من أصحاب الملحمات. (ت126هـ). (البيان، 370/1).

(وَنَزُورُ مَسْلَمة المُهَذَّ … بِ بِالمُؤَبَّدة السَّوَائِر

بِالمذَهَّبَات المُعْجَبَا … تِ لِمفْحَم مِنّا وَشَاعِر

أَهْلُ التَّجَاوُب فِي المَحَا … فِلِ وَالمَقَاوِل بالمُخَاصِر

فَهُم كَذَلِكَ فِي المَجَا … لِسِ وَالمَحَافِلِ وَالمَشَاعِرِ)[1].

فالخطباء يتجاوبون مع المخاصر حين يتهيؤون للخطبة، وهم هكذا في المجالس والمحافل وأوقات المناسك.

جـ-قول الأنصاري[2] في المجامع:

(وَسَارَتْ بِنَا سَيَّارَةٌ ذَاتُ سَوْرَةٍ … بِكَوْم المَطَايَا وَالخُيُولِ وَالجَمَاهِرِ

يَؤُمّون ملكَ الشَّام حَتَّى تَمَكَّنُوا … مُلُوكًا بِأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ المَنَابِرِ

يُصِيبُونَ فَصْلَ القَوْلِ فِي كُلِّ خُطْبَة … إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُم بِالمَخَاصِرِ) [3].

ارتباط فصل القول إذا وصلت الأيدي بالمخاصر، يزيد الخطبة حسنا وبهاء، وبها يتفاضلون ويتفاخرون. وهي حاضرة في جميع مجالس الخطب وبكل أنواعها. مثلا (جلوسها في خطب النكاح وقيامها في خطب الصلح)[4]. و(مما يدلك على استحسانهم شأن المخصرة حديث[5]: "تلقاني بها في الجنة")[6].

2-الإشارة بالعصا: "العصا: العود: وفلان صُلْبُ العصا وصليب العصا إذا كان يعنف بالإبل فيضربها بالعصا، وضعيف العصا أي قليل الضرب للإبل بالعصا. وروى

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 371/1، 116/3.

(2)-الأبيات من الطويل. وهي منسوبة لصفوان الأنصاري. (الأغاني، ج4، ص10-13).

-الكوم: جمع كوماء: الناقة العالية السّنام. والجماهر: جمع جمهرة القوم مجتمعين بكثرة. (اللسان، مادة كوم، ج5، ص3959).

(3)-الجاحظ: المصدر السابق: 371/1، 116/3.

(4)-المصدر نفسه: 7/3.

(5)-يتعلق الحديث بعبد الله بن أنيس المدني، وهو حليف الأنصار، وقد شهد العقبة، وخرج إلى إفريقية، توفي عام 54هـ.

-ومناسبة الحديث أن النبيﷺ أعطاه عصا بعد قتله خالد بن سفيان الهذلي، وقال له هي آية بيني وبينك يوم القيامة. فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، وضمّت بعد ذلك في كفنه. (البيان، 11/3).

(6)-الجاحظ: المصدر السابق: 11/3.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأصمعي عن بعض البصريين قال: سمّيت العصا عصًا لأن اليد والأصابع تجتمع عليها، مأخوذ من قول العرب عصوتُ القوم أعصوهم إذا جمعتهم على خير أو شر... وقرعته بالعصا: ضربته[1].

وقد احتل موضوع العصا مواطن عديدة وأبوابا مطولة في "البيان والتبيين"، والسبب راجع -كما سبق ذكره- إلى الشعوبية التي طعنت في خطباء العرب، إذ (لا يرون بينها وبين الكلام سببا وبين القوس نسبا)[2]. وقد تصدى الجاحظ للردّ على هذه النّحلة، فجمع في بيانه أصناف الحجج التي تبرز فضل العصا ودورها في البيان.

2-1-أنواع العصا: لقد اشتقت العصا من أسماء أغصان الأشجار التي تصنع منها، وهي مذكورة في البيان بألفاظ فارسية وأخرى معربة، لأن عددها لا يحصى فسنذكر بعضها:

*المخصرة والقضيب والقناة والعصا: مجموعة في نص واحد، وهو قوله: (وقد لا يلبس الخطيب الملحفة... وربما قام فيهم، وفي يده مخصرته، وربما كانت قضيبا وربما كانت عصا، وربما كانت قناة، وفي القنا ما هو أغلظ من الساق، وفيها ما هو أدق من الخنصر... وقد تكون قليلة الأبن، وربما كان العود نبعا وربمّا كان من شوحط، وربمّا كان من أبنوس، ومن غرائب الخشب ومن كرائم العيدان، ومن تلك المكس المصقاة، ربما كانت لبّ غصن كريم؛ فإن للعيدان جواهر كجواهر الرجّال ولولا ذلك لما كانت في خزائن الخلفاء والملوك. ومنها ما لا تقربه الأرضة ولا تؤثر فيه القوادح)[3].

*ذكر العكازة كنوع من أنواع العصا: (والعكّازة إذا لم يكن في أسفلها زجّ فهي عصا؛ لأن أطول القنا أن يقال رمح خطل، ثم رمح بائن، ثم رمح مخموس، ثم رمح مربوعٌ، ثم رمحٌ مِطّرد، ثم عكّازة، ثم عصا)[4].

---

(1)-ابن منظور: اللسان: ج.4: مادة"عصا"، ص.800.

(2)-الجاحظ: البيان والتبيين: 12/3.

(3)-المصدر نفسه: 92/3.

شرح المفردات: -الأبن: ج: أبنة: وهي العقدة في العود. -الآبنوس: لفظ فارسي معرب، نبات ينبت في الهند أوراقه كأوراق الصنوبر. (اللسان، مادة أبنة، ج.1، ص.12). -جواهر الرجال: جواهر كل شيء، ما خلقت عليه جبلته.

-القوادح: ج: قادح: وهو أكال يقع في الشجر. (اللسان، مادة قدح، ج.5، ص.3541).

(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 92/3-93.

الشرح: -البائن: المفرط في الطول. (اللسان، مادة بين، ج.1، ص.407). -المخموس: ما طوله خمس أذرع. -المربوع: ما طوله أربع أذراع. (اللسان، مادة ربع، ج.3، ص.1569). -المطرد: ما يستخدم لطرد الوحوش. (اللسان، مادة طرد، ج.4، ص.2652.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

*الأقواس والسّهام في قوله: (وكل سهام نبعية، وغير ذلك من العيدان، مما امتدحها أوس بن حجر أو الشماخ بن ضرار، أو أحد من الشعراء، فإنما هي من عصا. وكل قوس بندق فإنما جيء بقناتها من بروض، ومدح ببريها وصنعتها عصفور القواس..) [1].

*عصي" أهل المدينة: في قوله: (ولأهل المدينة عصيّ في رؤوسها عجرٌ لا تكاد أكفهم تفارقها إذا خرجوا إلى ضياعهم ومتنزّهاتهم، ولهم فيها أحاديث حسنة، وأخبار طيبة)[2].

2-2-فوائدها: للعصا وأنواعها فوائد عديدة، أحصاها الجاحظ في بيانه للردّ على الشعوبيين، بالحجة والدليل القاطع، فيؤكد ضرورتها في جميع مجالات الحياة وخاصة التي يستعين بها الخطيب في خطبته: (إذا كانت العصا صحيحة ففيها من المنافع الكبار والمرافق الأوساط والصّغار ما لا يحصيه أحد، وإن فرّقت ففيها مثل الذي ذكرنا وأكثر، فأي شيء يبلغ في المرفق والرّد مبلغ العصا) [3].

1-العصا تستخدمها طبقات مميزة ومشهورة في المجتمع، ولا تستطيع الاستغناء عنها كوسيلة تعينها على عناء الحياة ومشوارها الطويل: فهي للرهبان والجاثليق[4] وللمتعبد المطيل في الصلاة. (ولو علم القوم أخلاقّ كل ملة، وزي كل لغة وعللهم في ذلك، واحتجابهم له لقلّ شغبهم، وكفونا مؤونتهم، هذه الرّهبان تتخذ العصيّ، من غير سقم ولا نقصان في جارحة، ولا بد للجاثليق من قناع ومن مظلة وبرطلة، ومن عكّاز ومن عصا، من غير أن يكون الداعي إلى ذلك كبرا ولا عجزا في الخِلقة. وما زال المطيل القيام بالموعظة أو القراءة أو التلاوة يتخذ العصا عند طول القيام، ويتوكأ عليها عند المشي. كأنّ ذلك رائد في التكهّل والزّمانه، وفي نفي السّخف والخفة) [5].ولهذا تكون العصا قد دلّت على أن (لكل جنس منهم

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 93/3.

[2]-المصدر نفسه: 58/3.

[3]-المصدر نفسه: 53/3.

الشرح: المرفق: ما يستعان به. والرد: يعني الفائدة والمنفعة. (اللسان، مادة رفق، ج.3، ص.1569).

[4]-الجاثليق: من رؤساء النّصارى. وهو القسيس الأكبر الذي لا يقطع الأمر دونه. (البيان، 91/3).

[5]-الجاحظ: المصدر السابق: 91/3.

الشرح: البرطلة: كلمة نبطية تعني. ابن الظل: والمراد هنا بالبرطلة القلنسوة التي تدار عليها العمامة. (اللسان، مادة برطل، ج.1، ص.259-260).

سيما، ولكل صنف حلية وسمة يتعارفون بها) [1].

2-يستعينون بها للدفاع عن أنفسهم، شأنها شان السيف، حيث انتقلت دلالة العصا إلى السيف وصارت مشتقة منه، وذلك في قوله: (ويقولون: اعتصى بالسيف، إذا جعل السيّف عصاه. وإنمّا اشتقوا للسيف اسما من العصا؛ لأن عامّة المواضع التي تصلح فيها السيّوف تصلح فيها العصيّ، وليس كلّ موضع تصلح فيه العصا يصلح فيه السيف) [2]، وقد تداولها العلماء في كتبهم التي تهتم بالألفاظ والمعاني أمثال: ابن السكيت (ت244هـ) الذي خص مشاركة معنى العصا السيف في الضرب يقول: «عصيت بالعصا والسيّف، أعصَى عصًا، وهو الضرب بالعصا ولم يعرفوا عصوته، وقد عصيته بالسيف والعصا، إذا ضربته»[3].

كما تعدّ العصا ثقافة منظر حسن وهيئة جميلة، إذا استخدمت في القتال: (ومنهم النّبط، ولهم بها ثقافة وشدة وغلبة، وأثقف ما تكون الأكراد إذا قاتلت بالعصي، وقتال المخارجات[4] كلّها بالعصي، ولهم هناك ثقافة ومنظر حسن، ولقتالهم منزلة بين السّلامة والعطب) [5].

3-والعصا قبل كل شيء تخص الخطيب في خطبته، والأمير في مجلسه، فهي خير معين على الكلام، وذلك بالإشارة بها كما يشير بالرأس واليد. ومن أهم مميزات هذه العصا، أنّها دليل يستدل بهالناس على أن الخطيب سيتأهب للخطبة. يقول الجاحظ: (حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة، والتهيؤ للإطناب والإطالة. وذلك شيء خاص في خطباء العرب، ومقصور عليهم، ومنسوب إليهم، حتى إنهم ليذهبون في حوائجهم والمخاصر بأيديهم إلقًا لها، وتوقعا لبعض ما يوجب حملها والإشارة بها) [6]. كما أنها معينة على الكلام المسترسل لإتمام الخطبة في قوله: (... ولو قبضت يده -أي الخطيب- ومنع حركة رأسه،

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 91/3.

[2]-المصدر نفسه: 82/3.

[3]-ابن السكيت: كتاب الألفاظ: ت: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط.1، 1998، ص.71.

[4]-المخارجة: المتاهضة.

[5]-الجاحظ: المصدر السابق: ص54/3.

[6]-المصدر نفسه: 117/3.

لذهب ثلثا كلامه) [1]، وقد قال عبد الملك بن مروان قديما: «لو القيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي»[2].

ثم إن حمل العصا عادة تعوّدها الخطباء، فصاروا لا ينطقون إلا بحضورها، كما هو الشأن عند سحبان وائل الذي أراده معاوية أن يتكلم فلم ينطق حتى أتوه بمخصره[3]. وذلك للإشارة بها كما الرأس واليد. فتكون بذلك أكبر عون للخطيب على تحقيق مراده.

وهي قبل كل شيء ميزة المتكلمين، الذين يشيرون بها في مجالسهم (... فمن شأنهم أن يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم، فإذا أشاروا بالعصي، فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيديا أخرى) [4]، وصدق الشاعر[5] إذ يقول:

يُصِيبُونَ فَصْلَ القَوْلِ فِي كُلِّ خُطبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهم بِالمَخَاصِرِ

وعليه فإن من أهم ميزات الخطبة الجيدة عدا الكلام المبين، ارتباطها بالدرجة الأولى بمظهر الخطيب وهيئته، أو بما يحمله من أدوات تعوّد على الاستعانة بها في خطبته كالعصا والسيف، إذ سرعان ما انتقلت هذه الأدوات من وظيفتها في حياة الإنسان إلى وظيفة أوسع وأشمل هي وظيفة البيان، الذي تعدّدت جوانبه، فصارت العصا جزءا هامّا من هذا البيان الشفاهي. وقد تفرّدت مجالات هذه العصا وأدواتها خاصة في الإشارة بها، ذلك لأن العرب كانوا يكثرون من الإشارة بأيديهم، ويمثّلون بها أغراضهم في إيضاح المعنى وقوة التأثير في السّامعين، كما نقلت لنا معاني الضرب بها في معرض الزّجر والنهي والوعيد، عدا ذلك فهي تدفع الضرر عن صاحبها، وتزيده هيبة ووقارا، ففعلها الدلالي يغني عن كثير من الكلام، ويزيده توضيحا وتأكيدا، وأيا كانت وظيفة العصا عند الجاحظ، فهي تأكيد منه على أهميتها في باب البيان العربي، الذي جاست الشعوبية خلال ديارة، فطعنت فيه وفي كل ما يحمله هذا المعنى من موروث حضاري وثقافي وديني.

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبين: 119/3.

[2]-المصدر نفسه: 119/3.

[3]-المصدر نفسه: 120/3.

[4]-المصدر نفسه: 126/3.

[5]-البيت من الطويل. وهو منسوب لصفوان الأنصاري. (الأغاني، ج.4، ص.10).

جدول يلخص الإشارات غير الجسمية كما وردت في "البيان والتبيين":

دلالة الإشارة	نوعها	موضعها في البيان	غرضها
1-الإشارة بالملابس	1-النّعال والخفاف	-البيان، ج1، ص77 -البيان، ج3، ص43. ، ج3، ص88. ،ج3،ص106-107 ،ج3، ص108-109 ،ج3، ص110-111	-لبسها هو مظهر من مظاهر التحضر -هي علامة من علامات حسن الهيئة وجمال المظهر. -هي تزيد صاحبها هيبة ووقارا -تنقل معاني الترف والبذخ والأريحية -تستخدمها النساء في التعبير عن مصائبهن العظيمة بضرب صدورهن بالنّعال
	2-القلانس والعمائم	-البيان، ج1، ص89-90 -البيان،ج2،ص88، 287 -البيان، ج3، ص6. ، ج3، ص87-89 ، ج3، ص92. ،ج3، ص97 ،ج3، ص100-101 ،ج3، ص102-103 ،ج3، ص104-105 ،ج3،ص114، 117	-طريقة ارتدائها تخبرك عن جنس الشخص وموطنه الذي يعيش فيه. -هي دليل الجمال وحسن المظهر. -تقي من الحرّ والبرد. -ارتداؤها يدل على الانتماء الحضاري والديني والثقافي لهذه الأمة. -ألوانها المختلفة بيان لفئات مشاركة في المجتمع متنوعة تنوع وظائفها. -هي علامة الخطيب والعالم والحكيم والشاعر وجميع الفئات المثقفة.
	3-القناع	البيان، ج3، ص100 ، ج3، ص102 ، ج3، ص118	-تستخدم في بعض المناسبات كلواء خاصة في الحروب، للتمييز بين العدو والصاحب. -ارتبطت بسلوك سلبي يحمل معنى الجناية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دلالة الإشارة	نوعها	موضعها في البيان	غرضها
2-الإشارة بالعصا وأنواعها	1-المخاصر	البيان، ج1،ص370-371 البيان، ج3، ص6-11 ، ج3، ص41-42 ، ج3، ص116. ، ج3، ص120	1-الاستعانة بها في مآرب الحياة المختلفة -تستخدم في الدفاع عن صاحبها. -تزيده هيبة ووقارا -الاعتماد عليها في الخطب فهي: -دليل الخطيب للتهيؤ للخطبة. -تقويه وتساعده على الكلام.
	2-القناة والقسي والعكازة والقوس والرماح	البيان،ج1، ص370،383 البيان، ج2، ص6 البيان، ج3، ص6 ، ج3، ص12-14 ، ج3، ص91-93	-الإشارة بها في أي موقف يستدعي ذلك -تستعمل للزجر والتخويف والترهيب والترغيب. -هي ثقافة منظر حسن وهيئة جميلة إذا استخدمت في القتال.
	3-العصا	البيان، ج3، ص31، 53-58 ، ج3، ص67، 69 ، ج3، ص82. ، ج3، ص90-93 ، ج3، ص117 ، ج3، ص120.	.استعمالها قد يؤثر في السامعين أكثر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: نتائج واستنتاجات ومقارنات

تمهيد

إنّ لجهود القدماء فضلا كبيرا على المحدثين، إذ مهّدوا لهم من خلال دراساتهم القيمّة في مجالات متنوعة، أن يصلوا إلى تفعيل نظرياتهم الخصبة وتطبيقها على الواقع بـــالتعليل والتفسير. وقد تطوّرت الدراسات اللغوية والبيانية على يد علماء غربيين أمثـــال: بلومفيلـد (1887م)، وأندريه مارتينه(1908)، وماريوباي، وقندريس، وغيرهم كثير، فتنوعت دراساتهم في مجال الإشارة أيضا. ورغم أنّه لم تعالج وسائل الاتصال غير اللفظية معالجة علميـة، إلا منذ أوائل الخمسينات من هذا القرن، إذ نشر عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي برودسل، دراسته العلميّة التنظيمية عن حركات الجسم عام 1952 في كتابه "مدخل إلى علم الحركة الجسـمية"، إلا أنّه هناك بوادر لعلماء اهتموا بهذا المجال أيضا، أمثال هدسون في لسانياته الاجتماعيـة، وإدوارد هول في كتابه "اللغة الصامتة"، وقاست في كتابه "لغة الجسد"، وجاك كـوراج فـي كتابه: "الاتصال غير الكلامي".

وإذا ما حولنا أن نقارن بين مفهوم الإشارة عند الجاحظ، ومفهومها عند المتـأخرين، وجدنا الفرق يكمن في تطوّر هذا المصطلح بتطوّر تقنية الدراسات العلمية الحديثة، وبالتـالي كثر مجال دراسة الإشارة وتشعب حتى صار معقدا، رغم أن الفكرة واحدة، إلا أن التصـوّر اختلف باختلاف الاتجاه الذي اتجه إليه الغربيون في الدراسة. فلغة الإشارة التي أطلق عليـها الباحثون اسم اللغة المرئية، أو غير المنطوقة أو غير اللفظية، هي عند الجاحظ من الـدلالات غير اللفظية، وكما تصفها دراسات أخرى بأنها: تعبير جسمي، تواصل جسمي، لغة الجسـم، اللغة الصامتة، فهي عند الجاحظ كما جاءت في بيانه: إشارة باليد والرأس والعيـن، إشـارة بالجوارح، إشارة الوحي والإيماء، إشارة النطق والصمت.

والمقارنة بين إشارة الجاحظ وإشارة المتأخرين، تستدعي تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

1-المقارنة من حيث تعريف الإشارة كمصطلح بياني، لغوي، دلالي.

2-المقارنة من حيث أنواعها وأقسامها.

3-المقارنة من حيث الوظيفة والأداء.

1-من حيث المصطلح[1]:

1-قد تعني الإشارة رمزا من رموز اللفظ، يوصف به، ويشير إليه، وذلك بالتعبير عن اللفظ القليل بالمعنى الغزير، وقد كان الجاحظ على وعي كبير بهذا المعنى، حين راح يصف لنا الكلام البليغ بقوله: (وكان لفظه في وزن إشارته، ومعناه في طبقة لفظه، ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك) [2]. فالجاحظ يستعين بالكلمات التي عدّها علامات لتوصيل دلالات اصطلاحية «وسواء اتسعت دائرة هذا الاصطلاح أم ضاقت... فإن دراسة الجانب الرمزي من الكلمة هو في الواقع جزء من علم أوسع وأشمل هو السيميولوجيا* أو السيميوتيك»[3]، وهو ما أدركه الجاحظ، فجمعه تحت مصطلح البيان. «ومعنى هذا أنّه كان يدرك قيمة الإشارة، كرمز في الدلالة، -إذ يدل- هذا على أن للرمز عراقة وقدما في الفكر الإنساني، وتاريخا طويلا، قد يلوح منه شيء في الإشارة والرموز التي اتخذها العرب قبل الإسلام، وحفلت بها كتب الأخبار والأدب، فلم يخل الأمر عندهم، أو عند غيرهم من الشعوب القديمة، من تمثيل المعاني بصورة مشخصة، وتجسيد الأفكار في المحسوسات، بل لقد ذهب بعض العلماء إلى أن الإنسانية قد ظلت صامتة لا تتكلم إلا بالإشارة. وأن التعبيرات اللغوية التي بقيت على شكل صور وإشارات في كثير من الكتابات القديمة ليست إلا بقايا عصور التفاهم بالإشارة كالكتابة الفرعونية»[4]. فالتعبيرات التي كانت تؤدّي بالإشارة، كانوا يسقطونها على شكل رموز مختلفة، تجدها في الحجارة وفي غيرها، وهذه الرموز هي علامات اصطلحوا عليها كعلامات للتفاهم، -كما جعلوا هذه الإشارات كدليل على هذا التعارف والتخاطب بينهم. وقد نقل مصطلح الرموز والعلامات إلى مجال أوسع وأشمل هو مجال السيميائية، فأصبحت الإشارة جزءا هاما من هذا العلم الواسع.

---

[1]-لقد قامت الباحثة: فاطمة محجوب في كتابها، دراسات في علم اللغة بدراسة جادة في هذا الموضوع، إذ وضعت مبادئ لهذا العلم من خلال "البيان والتبيين" وقارنتها بالدراسات الحديثة.

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين: 111/1.

*-السيميولوجيا أو السيميوتيك: علم حديث يهتم بمدلولات الجملة أو الكلمة. (أي يهتم بالمعنى أكثر)، ويدخل في علم الدلالة.

[3]-حلمي خليل: الكلمة: دراسة لغوية معجمية: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص89.

[4]-المرجع نفسه: ص88.

هذا وقد أدلى الباحثون بدلوهم في التركيز على البيـــان عنـد الجـاحظ، ومقارنتـه بالمصطلح الحديث الدّال عليه وهو السيميائية، فكان الفرق بين التسميتين فرقا شكليا ينبع من اختلاف المكونات الثقافية «فإن ما يسميه الجاحظ هنا البيان هو هـــو العلـم الـذي سـماه دي سوسير "Semiology" (1857–1913)، والفرق بينهما فرق منظوري تصوّري، ففيمـــا ركّز الجاحظ على غاية العلم، وهي الإبانة والتعبير والإفصاح، فقد ركـــز سوسـير علـــى العلامة كمكوّن آلي، لذلك أسماه الأوّل "البيان" وأسماه الثاني "العلاماتيـــة"، أو مـــا ترجمتـــه "السيميائية"، ثم إن الفرق بين الباحثين والتسميتين هو فرق بين ثقافتين لا بين عالمين فقـــط، ثقافة تركز على المعنى، وثقافة تركز على المكوّن الشكلي و آليات التشكيل»[1].

2–الإشارة من جانب آخر هي تعبير عن التواصل الجسمي وغير الجسمي للأشخاص فيما بينهم، كما جاء في البيان (أما الإشارة فباليد والرأس والعين... بالثوب والسـيف...)[2]، والإشارة بهذا المفهوم قد تكون علامة Sign أو سمة Trait، تصور حالة معينة يكون عليـــها المتكلم، وبناء على هذا التصور لظاهرة الإشارة الجسمية يمكن تعريفها بأنها: «تعبير أو فعل أو وضع جسمي اصطلحت عليه الجماعة اللغوية، يصاحب الكلام أو لا يصاحبه ويدل علـــى معنى يقصده المتكلم ويدركه المستمع»[3].

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الإشارات الجسمية هي قسمين:

أ–«قد تصدر عن أعضاء الجسم كما تصدر الأصوات الكلامية عن أعضاء المنطـــق مثل: الرأس والحاجبين والشفتين والرقبة والكتف والذراع والكف والأصابع»[4]. عبّر عنـــها الجاحظ بقوله: (وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكـــون مع الإشارة من الدّل والشكل والتقتل والتثني واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الأمور) [5].

(1)–كمال أبو ديب: "السيمائية أحدث العلوم الإنسانية"، مجلة العربي، ع.334، الكويت، سبتمبر، 1986، ص.62.

(2)–الجاحظ: البيان والتبيين، ج.1، ص.76.

(3)–كريم حسام الدين: الإشارات الجسمية، ص.121.

(4)–المرجع نفسه، ص.121.

(5)–الجاحظ: المصدر السابق، 79/1.

ب-أو قد تكون الإشارة بعضو جسمي بالتعاون مع شيء آخر مثل الإمساك بالعصا أو العلم أو أي شيء يحمل دلالة اصطلاحية»[1]، وقد تحدث الجاحظ عن هذا خلال دفاعه عن العصا، وأهميتها في الخطبة عند العرب[2].

3-قد تكون الإشارة مصاحبة للكلام، وذلك في مجال الخطاب الشفاهي الذي يتم بين المتحدث والسامع. وقد عدّت البلاغة من باب الخطاب الشفاهي عند العرب، لأنها تستخدم فنون القول الجميلة، من استعارة وكناية ومجاز، وإذ لا بد من الخطيب أن يكون على مستوى عال من التأثير في الآخرين، فعليه الاستعانة في كلامه البليغ بأدوات إشارية تزيد المستمع شعورا بضرورة الانتباه والتركيز أكثر. وقد نوّه الغربيون بهذا المجال في دراساتهم الحديثة، واشترطوا استخدام العلامات غير اللغوية في الاتصال الشفاهي، والمتمثلة فيما يصاحب الصوت من هزّ الرأس وتحريك اليد،... يقول أونج: «ينبغي ملاحظة أن الذاكرة الشفاهية تختلف اختلافا مهمّا عن الذاكرة النصية، من حيث إن الذاكرة الشفاهية يدخل فيها مكوّن جسدي عال»[3].

«وقد لاحظ بيبودي أن الإنشاء التقليدي في كل أنحاء العالم وفي كل مراحل الزمن يرتبط بنشاط اليد... والنشاط الجسدي الذي يتعدى مجرّد النطق، ليس عارضا أو احتيالا في التواصل الشفاهي، لكنّه أمر طبيعي لا يمكن تجنبه، كذلك يعد سكون الجسد التام إشارة ذات أهمية بالغة بحد ذاته عند التعبير الشفاهي، خصوصا عندما يجري هذا التعبير أمام الجمهور، واستخدام هذه العلامة الجسدية، إضافة إلى العلامة الصوتية يجعل الرسالة مخاطبة حاستي السمع والبصر، ومن ثم يكون التلقي مركبا، سمعي، بصري، وهذا يتيح للاتصال الشفاهي إمكانية أكبر وأفضل لإحداث تفاعل اشد، وتأثير أعمق، وتفقد هذه العلامة ما قد يكون لها من تأثير حين ترسل الرسالة كتابة، ولن تفلح الكتابة عن تعويض هذه العلامة إلا بدرجة محدودة»[4].

---

(1)-كريم حسام: الإشارات الجسمية: ص.122.

(2)-لقد أفرد الجاحظ بابا كاملا هو "باب العصا" في "البيان"، ج3.

(3)-جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال: دار غريب، القاهرة، ص.68.

(4)-المرجع نفسه: ص.68-69.

«وقد نص قندريس على أن الإشارة Le geste تصاحب الكلام La parole في استعمال اللغة، ولا يوجد شخص يتكلم دون التوسل بالإشارة التي يتوقف استعمالها على مزاج الشخص وثقافته وتقاليده الاجتماعية... ولا يكفي أن نقول إن الإشارة لا تفارق الكلام، لأن الكلام نفسه يعدّ جزءا من الإشارة ليس فقط في الأداء الشفهي، ولكنه أيضا يمكن أن يصاحب قراءة كل نص مكتوب، إن الخطباء والشعراء يجب عليهم الحضور بكل إمكاناتهم الأدائية عند إلقائهم لكلماتهم وقصائدهم»[1]. وفي هذا المعنى يقول الجاحظ: (... ولو قبضت يده ومنع حركة راسه لذهب ثلثا كلامه) [2].

هذا وقد تحدث ابن جني (ت392هـ) في كتابه الخصائص عن ضرورة الحضور والمشاهدة في الكلام، فقال: «يا فلان، أين أنت، أرني وجهك، أقبل عليّ أحدثك، أما أنت حاضر يا هناه، فإذا أقبل عليه، وأصغي إليه اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه، أو نحو ذلك، فلو كان استعمال الأذن مغنيا عن مقابلة العين، مجزئا عنه لما تكلف القائل، ولو كلف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه....، أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلا على ما في النفوس»[3].

لقد أدرك ابن جني (ت392هـ) أهمية الحضور مع السماع، في الخطاب والكلام، وذلك لما فيه من تأثير بالغ على النفوس.

وعليه فإن الاتصال الشفاهي مع الآخرين يكون أكثر عمقا وأشد تأثيرا، إذا ما استخدمت فيه العلامة الجسدية بالإضافة إلى العلامة الصوتية. وقد عبّر عنه الغرب بكونه مكوّنا عاليا من المستوى الرفيع[4]، مركبا من ثنائية "السمعي- البصري" الذي يتيح للاتصال إمكانية أكبر لإحداث تفاعل أشد وأعمق. بينما عبّرت عنه الجماعة العربية بالبلاغة الشفاهية، لأنّها أمة بيان ولسان.

---

(1)-كريم حسام الدين: الإشارات الجسمية: ص.33.

(2)-الجاحظ: البيان والتبيين: 119/1.

(3)-أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص: ت: محمد علي النجار: دار الكتاب العربي، بيروت، ج.1، ص.247.

(4)-للتوسع أكثر انظر: البلاغة والاتصال: جميل عبد المجيد: ص.68-69.

وقد أطنب الجاحظ في بيانه للحديث عن البلاغة والبليغ، وتأثير الخطيب على السامع، مع ما يجب أن يستعين به من إشارات وحركات: يقول (وكان أبو شمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه، ولم يقلب عينيه، ولم يحرّك رأسه، حتى كأنّ كلامه إنما يخرج من صدع صخرة...)[1]، وقوله في موضع آخر: (... لو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة، لاستغنى جعفر عن الإشارة، كما استغنى عن الإعادة...)[2].

2-من حيث أقسامها وانواعها

لقد تعدّدت الإشارة من حيث أقسامها بتعدد طبقاتها ردلالاتها، والجاحظ يؤكد ذلك بقوله: (وبعد فهل تعد والإشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها) [3]، وللباحثين جهودهم في هذا المجال، حيث راح بعضهم يقسمها من حيث حركاتها، وآخرون قسموها على حسب الأنظمة التي تنتمي إليها، واتجاه آخر اتجه إليه هدسون في لسانياته بأن تعرّض لدراسة الإشارة منطلقا من موضوعاتها ومضامينها المتعددة الاتجاهات.

1-الدراسة الأولى: قسمت الإشارة من حيث حركاتها:

1-حركة ذات دلالة رمزية.

2-حركة ذات دلالة وصفية.

3-حركة تعبر عن المشاعر والانفعالات.

2-الدراسة الثانية: قسمت الإشارة من حيث الأنظمة:

1-الأنظمة الدلالية العضوية.

2-الأنظمة الدّلالية الأداتية.

3-دراسة هدسون: قامت دراساته على تقسيم الإشارات إلى ثلاثة شواهد:

1-شواهد البنية.

2-شواهد المضمون.

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 91/1.

[2]-المصدر نفسه: 105/1.

[3]-المصدر نفسه: 78/1.

3-شواهد العلاقات.

الدراسة الأولى:

1-الحركة ذات الدلالة الرمزية: «وهي التي تحلّ محل الكلام في قول الجاحظ (وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط) [1]. ويقول علم الحركة الجسمية أن الحركة من هذا النوع تحددها عادة ثقافة الشعب وتقاليده، ومن ثم فإن فهم دلالتها يكون قاصرا على شعب أو شعوب بعينها»[2].

في حين عبّر عنها آخرون، بأنها تؤدي غرض التواصل غير الكلامي: «فقبضة اليد مثلا تعني الاتحاد والتضامن، وقبضة اليد المرفوعة إلى المرفق تعني العداوة مع الخصم، وكل شكل من أشكال تقطيب الوجه أو انبساطه ترافق الكلام لتعززه في بعض الأحيان لتنوب عنه»[3].

وقد عبّر الجاحظ عن هذا النوع من الحركة بقوله: (قد قلنا في الدلالة باللفظ، وأما الإشارة فباليد، والرأس، والعين، والحاجب، والمنكب إذا تباعد الشخصان ...)[4]. وقوله على لسان الشاعر[5]:

(أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ) [6]

2-حركة وصفية: «تتخذ شكل الأشياء التي يتحدث عنها المتكلم، كأن يصف إنسان مئذنة جامع طولون بأداء حركة توضح تركيبها المعماري»[7]. أو هي بمعنى آخر: «اتصال غير كلامي يتخذ أنماطا متعددة ليصف هذه الحركات:

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 78/1.

(2)-فاطمة محجوب: "اللكنة والحركة الجسمية من خلال البيان والتبيين": مجلة الثقافة: ع.21، ص.2، القاهرة، ص.34.

(3)-نور الدين رايس: "الأدوات غير اللغوية ووظيفتها في التواصل الشفوي": مجلة التجديد: ع.7، س.4، 2000، ص.190.

(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 77/1.

(5)-البيت من الطويل. مجهول قائله.

(6)-الجاحظ: المصدر السابق: 78/1.

(7)-فاطمة محجوب: المقال السابق: ص. 34، 35

-النمط الأول[1]: «التعابير المصوغة لإقامة قواعد نحوية لما هو غير كلامي، حيث يعبّر شكل الحركة عن الجزم، أو النفي، أو الاستفهام، ... وتساعد اليدان والعينان على إبراز تلك الطريقة، فلكي نستفهم نرفع شيئا من أجفان عيوننا، كما نعقد شيئا من الحواجب والجبهة أثناء رفعنا لرأسنا بشكل طفيف»، وفي البيان شيء من هذه التعبيرات بواسطة العين:

(وَعَيْنُ الفَتَى تُبْدِي الَّذِي فِي ضَمِيرِهِ   وَتَعْرِفُ بِالنَّجْوَى الحِدِيثَ المُعَمَّسَا) [2]

(العَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا   مِنَ المَحَبَّةِ أَوْ بُغْـضٍ إِذَا كَـانَـا) [3]

-النمط الثاني[4]: «هي التعابير الإشارية التي في حقيقتها حركات للأصبع (السبابة على الخصوص)، وتصلح لتعيين المتكلمين، وموضوع التخاطب والمكان الذي نستحضر فيه الأشياء».

3-حركات تعبّر عن المشاعر والانفعالات تدخل ضمن التواصل غير الكلامي التأثيري: «إن التعبير عن المشاعر والانفعالات معقد جدّا وغني في الآن نفسه، ونستطيع أن نلاحظ في ثقافتنا - بعضا من الحركات والإيماءات التي تضفي عليها دلالات اعتباطية آتية من التأثيرات، فتحريك طرف الرّجل يدل على القلق وعدم الصبر، ووضع السّبابة على حافة ملتقى الشفتين يدلان على درجة الانشغال أو التردد في مسألة ما، والذرعان المنفتحان يرحبان»[5]. وقد نقل لنا الجاحظ هذا المعنى في قوله: (وقد يتهدد رافع السيّف والسّوط، فيكون ذلك زاجزا ومانعا، ويكون وعيدا وتحذيرا) [6]، وقوله: (... مع الذي يكون مع الإشارة من الدلّ والشكل والتقتل والتثني واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الأمور) [7].

الدراسة الثانية:

لقد اتفقت الجماعات الغربية على تقسيم الإشارة إلى نظامين هامين هما:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-نور الدين رايس: مجلة التجديد: ص.189.

(2)-البيت من الطويل، مجهول النسبة، الجاحظ: البيان والتبيين: 79/1.

(3)-البيت من البسيط: جرير ، المصدر السابق، 79/1.

(4)-نور الدين رايس: المقال السابق: ص.189.

(5)-المقال نفسه: ص.189.

(6)-الجاحظ: البيان والتبيين: 77/1.

(7)-المصدر نفسه: 79/1.

النظام الذي يدرس الدلالات العضوية والنظام الذي يدرس الدلالات الأدائية:

أ-الأنظمة الدلالية العضوية: تستخدم الإشارات بأعضاء الجسم كبديل عن الكلام، والأمثلة على ذلك كثيرة في البيان:(باليد والرأس والعين والحاجب وبالجوارح...).

ب-الأنظمة الأدائية: تستخدم الإشارات بواسطة الأشياء والوسائط المختلفة من أغراض أخرى كالملابس، وغيرها: (بالسيف، وبالثوب، وبالعصا والمخاصر والقسي...).

فالقسم الأول: حدّده السيميولوجي الإيطالي "روزي لاندي" بأنّه يشمل الأنظمة الدلالية العضوية، التي تعتمد على جسم الإنسان[1]. وهي نوعان:

1-الإشارات الجسمية والحركات والأوضاع الجسمية والتجاور.

2-بالتواصل اللمسي والذوقي والبصري والسمعي.

1-أ-بالإشارات الجسمية: كالعين والرأس واليد والحاجب والمنكب.

ب-بالحركات: كرفع السيف والسوط، والتهديد به بالزجر والنهي والوعيد.

جـ-بالأوضاع الجسمية المختلفة: كإشارات طرف العين، التي تتخذ تعبيرات مختلفة حسب الانفعال.

د-بالتجاور: لأن (مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوب) [2].

2-التواصل اللمسي والشمي والذوقي والبصري والسمعي: وهذا النظام يدخل ضمن علم السيميولوجيا الذي يهتم بجميع هذه العلامات غير اللسانية، ومجالاتها واسعة ومعقدة.

والقسم الثاني[3]: يشمل الأنظمة الدلالية الأدائية، حسب الدراسات الحديثة، وهي إشارات تعتمد على أشياء خارجة عن جسم الإنسان، وهي قسمان:

-قسم يشمل الأشياء: كاستخدام العصا والسوط والسيف...

-قسم آخر يشمل المؤسسات: «وهو نظام محدد من سلوك الجماعة تتواصل من خلاله، ويخضع للتواضع والاتفاق، ويعد جزءا أساسيا من ثقافة الجماعة، ومثال ذلك نظام القرابة الذي ينظم العلاقات الاجتماعية، ونظام الدين الذي ينظم سلوك المجتمع ومعتقداته.

---

[1]-كريم حسام الدين: الإشارات الجسمية: ص.29.

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين: 79/1.

[3]-كريم حسام الدين: المرجع السابق: ص.29-30.

ونظام الاقتصاد، ونظام الفن، الذي يلبي حاجات الفرد ومشاعرهم النفسية والجمالية»[1]، والأمثلة في البيان كثيرة:

-نظام القرابة والعلاقات الاجتماعية تتم بالإشارة لقول الجاحظ: (لولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة)[2].

-نظام الدين والعادات والتقاليد: قوله على لسان الشاعر[3]:

(أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ)[4].

-نظام الفن الذي يلبي حاجات الأفراد ومشاعرهم النفسية والجمالية:

(العَيْنُ تَنْطِقُ وَالأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ القَلْبِ تِبْيَانَا)[5]

الدراسة الثالثة:

تتمثل في الدراسة التي قام بها هدسون، في لسانياته الاجتماعية، حيث قسم السلوك غير الكلامي إلى ثلاثة أقسام هي: شواهد البنية، شواهد المضمون وشواهد العلاقات يقول:

«فالسلوك غير الكلامي يرتبط بجانبين من جوانب الكلام التي نبحثها في هذا الفصل. تحديد العلاقة بين المتحدث والمتلقي، وتحديد شواهد، وتحديد بنية الخطاب، كما يرتبط أيضا بتوصيل مضمون الخطاب، أي القضايا والمدلولات»[6].

«ومن أوضح جوانب السلوك غير الكلامي التي قد تساعدنا على فهم علاقات القوة والتضامن دراسة المسافة التي تفصل شخصا ما عن الآخر، وقد تطوّرت الدراسات الخاصة بذلك الموضوع، حتى صار لها اسم خاص هو "علم التجاورات Proximics"، وليس من الصعب أن نتصوّر أن المسافة المادية التي تفصل بين شخصين تتناسب مع المسافة الاجتماعية في كل الثقافات»[7].

---

(1)-كريم حسام الدين: الإشارات الجسمية: ص.30.

(2)-الجاحظ: البيان والتبيين: 78/1.

(3)-البيت من الطويل، مجهول قائله.

(4)-الجاحظ: المصدر السابق: 78/1.

(5)-البيت من البسيط: **جرير** : الجاحظ: المصدر السابق: 79/1.

(6)-هدسون: علم اللغة الاجتماعي: ترجمة: محمود عياد: عالم الكتب، ط.2، القاهرة، 1990، ص.210.

(7)-المرجع نفسه: ص.210.

ملاحظة:

القسمان الأخيران وهما: شواهد البنية وشواهد المضمون جمعهما هدسون في الحركاتية[1] La Kenestique. وشواهد العلاقات جمعها في التجاورية.

أ-شواهد البنية: وهذه الشواهد تحدد بنية التواصل غير الكلامي، ونمط السلوك «فالسلوك بالأيدي يحل محله في بعض الثقافات حك الأنف وتكمله في بعض الثقافات الأخرى بالأحضان والقبل حسب العلاقات الموجودة بين المشتركين»[2].

«ويُعد السلام بالأيدي إشارة لعلاقة بداية جديدة بدلا من الإشارة إلى وثوق العلاقة. فغالبا ما يستخدم السلام بالأيدي للتصالح بين الأصدقاء بعد القطيعة أو العراك، أو عند التعارف على غريب لأول مرة، أو عندما يرى الفرد شخصا لم يره منذ أمد طويل»[3]. وهذه الأمثلة من الدواعي التي تستدعيها الإشارة باليد عند استعمالها في السلام. وهي تعين الناس على أن يتفاهم بعضهم إلى بعض، ولو في أمور قد تكون مستورة وخفية على الجليس وغير الجليس (وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس) [4].

ب-شواهد المضمون: وهذه الشواهد حسب هدسون، تصلح في التواصل غير الكلامي للدلالة على مضمون الخطاب أو الرسالة. «وذلك مثل استخدام حركة الرأس للدلالة على إجابة نعم أولا، مع اختلاف الثقافات في أنواع إيماءات الرأس..» [5].

«فالحركة هي التي تدل على مضمون الخطاب أو الرسالة، مع اختلاف في كيفية أدائها من شعب إلى آخر، وحسب العادات والتقاليد التي تحكمهم، وفي هذا المعنى يقول الجاحظ على لسان الشاعر[6]:

---

(1)-إذا كانت الحركاتية لصيقة بجسم المتكلم وذاته، فإن التجاورية تهتم بحيّز المكان أي المقام المباشر للمتخاطبين، (للتفصيل أكثر انظر نور الدين رايس: مجلة التجديد: ص.194-195).

(2)-هدسون: علم اللغة الاجتماعي: ص.211.

(3)-المرجع نفسه: ص.211.

(4)-الجاحظ: البيان والتبيين: 78/1.

(5)-هدسون: المرجع السابق: ص.213.

(6)-البيت: مجزوء الخفيف، وصاحبه مجهول.

(رُبَّ طَرْفٍ مُصَرَّحٍ عَنْ ضَمِيرٍ بِهَا هَجَس) [1].

جـ-شواهد العلاقات: وشواهد العلاقات الذي يشمل مصطلح التجاورية Le proximique عدّه علماء الغرب عنصرا هاما في مثل هذا التواصل. وهي الدراسة التي تهتم بالمسافة بين المرسل والمستقبل، مع ما يحتله المكان في المجلس من دور، إذ تعدّ علامات تختلف أدوات التفاعل معها حسب الثقافات وحسب علاقة التقارب بين الطرفين. فإن التجاورية تهتم بحيز المكان أي المقام المباشر للمتخاطبين. وقد عدّه الجاحظ عنصرا هاما للإشارة. إذ يقول: (هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت، وهو باب تتقدم فيه الإشارة الصوت) [2]، «ويقول علم الحركة الجسميّة أن الحركة تستخدم بدلا من الكلام حين تكون المسافة بين المتكلم والمخاطب كبيرة، بحيث لا يسمع الصوت، أو عند وجود ضجيج ما يحول سماع الصوت، فنحن نودّع المسافرين بالبحر، وتكون السفينة ابتعدت عن الميناء، نلوح بأيدينا لأنهم لا يسمعون صوتنا...» [3].

3-من حيث الوظيفة والأداء:

وظيفة الإشارة هي وظيفة اجتماعية، اصطلح عليها البشر منذ القديم، وارتبطت عندهم بكل ما هو خارجي، فكانت معقدة جدا في عالم لا يخلو من هذه الإشارة، وقد اهتم الجاحظ بأدائها في توصيل الرسالة من نواحي عديدة، أشار إليها المحدثون بعده، فوظيفتها تكمن في الفرق بينها وبين اللفظ وبينها وبين الكلام، ولعل اللغوي الإيطالي ماريوباي، قد تفطن في كتابة أسس علم اللغة» [4]، إلى أن الإشارة هي أسبق وجودا من الكلام لما تؤديه من معاني جليلة، رغم تفضيله للكلام يقول «إن الكلام يمكن أن يتم بينما يباشر الإنسان عملية الحديث مع شخص آخر، ولعلّ هذا هو السبب الذي حدا بأجدادنا القدماء أن يفضلوا الحديث على غيره من طرق التفاهم، مثل الإيماءات التي ربما كانت أسبق وجودا من الكلام، ومثل التعبير

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين: 287/2.

[2]-المصدر نفسه: 79/1.

[3]-فاطمة محجوب: "اللكنة وعلم الحركة الجسمية من خلال "البيان والتبيين"، مجلة الثقافة: ع.21، س.2، ص.34.

[4]-العنوان الأصلي لهذا الكتاب هو " Invitation to Linguistics" وقد اختار له الكاتب عنوانا عربيا هو أسس علم اللغة، آخذا من وصف المؤلف لهذا الكتاب بأنه: A Basic introduction to the language.

بالصوّر الذي ربما كان متأخرا في الوجود وأدى لاختراع الكتابة»[1].

وها هو الجاحظ يجعل الإشارة في المنزلة الأكثر تداولا من اللفظ والخط لما لها من أهمية في تأدية دورها، وهذا الفرق الجوهري بينها، «يدل على تفطن الجاحظ لطبيعة الإشارة ووظيفتها في التأدية الكلامية، ويؤيّد هذا الرأي تأكيده على أن الإشارة ذات صور معروفة وحلية موصوفة»[2]، «... فهي لا تعتمد على الصوت ولا على الحبر، وإنما هي عبارة عن حركة مختصرة كرفع السيف، وتحريك الحاجبين، تجعل علامة على معنى واحد أو معان كثيرة في الوقت نفسه»[3]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن «الإشارة يجب أن تنقل الصورة معنى المصوّر نقلا يميزه عن جميع المصورات الأخرى، لكن باستعمال أقصد الوسائل وأقلها تركيبا، ومن ثم عدم اشتراط التوازي بين الإشارة والمعنى المشار إليه، فرفع السيف حركة واحدة ينطوي تحت معاني كثيرة لا يمكن التعبير عنها باللفظ إلا من خلال كلمات متعددة متسلسلة كقول: «رافع السيف: إن دنوت مني خطوة اخرى ضربتك بهذا السيف» بدل الإشارة إلى هذا كلّه برفع السيف»[4]. ومن المهام التي تؤديها الإشارة كفعل يعين على الكلام ويساعده، «فيتفاهم الناس معنى خاص الخاص»[5] مايلي:

1-تسهل على المتحدث الذي ذهب إلى بلد ما ولا يعرف لغة تلك البلد، فتأتي الإشارة لتنوب عن هذه اللغة، وخصوصا في مجال الطلبات.

2-يلجأ إلى الإشارة إذا أراد الشخص أن يخفي ما يريد البوح به جهرا.

3-تنقل لنا مشاعر الفرد وأفكاره بواسطة الحركات المستخدمة بالجسم سواء كانت إرادية أو غير إرادية.

4-تكسبنا فهما جديدا للموضوع الذي يدور بين شخصين ولو على بعد مسافة معينة.

---

(1)-ماريوباي: أسس علم اللغة: ترجمة: أحمد عمر مختار: عالم الكتب، ط.2، القاهرة، 1987، ص.39.

(2)-محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والأدبية والبلاغية من خلال البيان والتبيين: ص.82.

(3)-المرجع نفسه: ص.83.

(4)-المرجع نفسه: ص.84.

(5)-الجاحظ: البيان والتبيين: 78/1.

5-كما نجدها تعبّر من ناحية أخرى على دلالات مختلفة لا يحققها اللفظ، فقد لا تعني الابتسامة المصاحبة للفظ حسن الإعجاب أو الموافقة، ولكن قد تعني السّخرية أو الاستهزاء.

وهذه محاولات قندريس[1] في تذكيره لأهم الأدوار التي تستطيع الإشارة أن تقوم بها عوضا عن الألفاظ والعبارات.

2-«يضاف إلى هذا أن الجاحظ كان سباقا إلى الكشف عن العلاقة بين النص والعالم الذي يستدعي ذلك النص، وهو ما أشار إليه بقوله: (ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص) [2]، فإن استدعاء هذا العالم هو أخص خصوص الدلالات، وقد أصبح البحث عن العالم الذي يكشف عنه النص ويستدعيه، محور اهتمام كثير من العلماء المعاصرين، فهذا تيو دوروف، يبالغ في محاولة الكشف عن العالم الذي يستدعيه النص أكثر من اهتمامه بالنص ذاته كعمل لغوي، والذي نراه هو أن الكشف عن العلاقة بين النص والعالم الذي يستدعيه فرع من فروع الدراسة السيميائية اللغوية»[3].

3-لقد كان الجاحظ على وعي كبير لما يجب أن تؤديه الإشارة كدلالة من الدلالات الخمس، والمصنفة في البيان، حيث حملت إشاراته في معظم نصوصه معنى التبليغ كجزء من هذا البيان الواسع، وإن كانت هذه النية غير مباشرة، إلا أنها تعددت بتعدد أدوات الإشارة المختلفة والأمثلة على ذلك كثيرة في البيان منها قوله على لسان الشاعر[4]:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

1-إشارة بطرف العين: هي إشارة جسمية، أداتها العين وغرضها إيصال المعنى.

2-إشارة مذعور: هي وصف لحالة هذه الإشارة التي لم تكن طبيعية، إذ حملت في طياتها معنى الخوف في قوله (خيفة أهلها).

3-لم تتكلم: -إشارة من نوع إخفاء الشيء الذي لا يراد البوح عنه، لأن حركة طرف العين هي بديلة عن الكلام.

---

[1]-كريم حسام الدين: الإشارات الجسمية: ص.125.

[2]-الجاحظ: البيان والتبيين: 78/1.

[3]-سمير ستيتية: "السيميائية اللغوية وتطبيقاتها": مجلة أبحاث اليرموك: ص.42.

[4]-الجاحظ: المصدر السابق: 78/1.

والشّطر الأول من البيت: هو بيان وتوصيل من الطرف الأول الذي يسمّى في الدراسات الحديثة المرسل. ويمثل الجانب الهام من هذه العلاقة الاجتماعية.

4-فأيقنت أن الطّرف قد قال مرحبا[1]: لقد وصل معنى المرسل إلى الطّرف الثاني ولكن بالإشارة فقط.

5-وأهلا وسهلا بالحبيب المتيّم: ترحيب من الطرف الآخر، بعد ما فهم معنى الإشارة التي نقلت مشاعر الفرد وأحاسيسه، وهي لغة خاصة جدّا، لا يفهمها إلا من تعرّض لمثل هذه المواقف والحالات.

وهذه الوظيفة التي قامت بها إشارة العين، تأكيد آخر على قوة هذه الدلالات في فعلها، وقدرة توصيلها للمعنى الخفي الذي لا يراد الكشف عنه إلا بإشارة بسيطة قد توضح بعض مكنوناته، أو قد تجعله غامضا أكثر، إذ يستطيع المعنى أن يؤوّل على أكثر من وجه.

هذا وقد تستخدم الإشارة عند الجاحظ عوضا عن الكلام والأفعال، وذلك في قوله: (ويتهدد رافع السيّف والسّوط، فيكون ذلك زاجرا ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا) [2]، فالإشارة التي تعوض الكلام والأفعال هي الزجر والمنع والردع.

وفي قوله:

(العَيْنُ تُبْدِي الّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا مِنَ المَحَبَّة أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَا.
وَالعَيْنُ تَنْطِق وَالأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ القَلْبِ تِبْيَانَا) [3].

فدلالة العين تكشف عما في نفس صاحبها، دون الكلام، فبحركتها تستطيع أن تعبر عن المحبة والبغض، لأنّها احتلت صفة النطق التي هي ميزة اللسان، ونقلت صفة الصمت إلى الأفواه، فالعين خاطبت القلب قبل أن تخاطب اللسان.

3-للإشارة عوامل أثرت فيها، فتميزت عن غيرها، منها الصوت والمكان والزمان والحركة.

---

(1)-الشطر الثاني من البيت:

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا   وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

(2)-الجاحظ: البيان والتبيين: 77/1.

(3)-المصدر نفسه: 77/1.

3-1-الصوت: تؤثر الإشارة في المتلقي أحسن من الصوت، لأنها تمارس معاينة ومشاهدة، وأثرها كما يقول الجاحظ أبعد[1]، لأن التأثير في الحضور بالمشاهدة أبلغ من أنه يستعمل المتكلم الصوت، فتتحدد معالم شخصيته من خلال صوته. وقد أدخل هذا النوع من الصوت ضمن المعنى غير اللغوي عند الدارسين الغربيين أمثال: دافيد كريستال الذي يقول: «نموذج آخر من نماذج المؤثرات الصوتية نستبعده أيضا من اللغة هو ما نطلق عليه"نوعية الصوت" Voice quality، فنحن عندما نتكلم وبغض النظر عن الرسالة الفعلية التي نحاول توصيلها، نقوم أيضًا بتوصيل معلومات من نوع مختلف تماما عن طريق مستوى آخر يختلف كلية أيضا، وهذه المعلومات تتصل بشخصيتنا، لأننا إذا تكلمنا اتضحت شخصيتنا للعالم الخارجي، لأن هناك ملامح خاصة لكل صوت إنساني يسمح للآخرين بالتعرف على شخصيته حتى دون رؤيته. وهذه الملامح من الصعب تحديدها بدقة، ولكنها موجودة بوضوح، ولكنها موجودة بوضوح، كما أنها تختلف تماما عن بقية ما نتفوه به، فنوع الصوت من ملامح كلامنا الدائمة وتتغير فقط مع التقدم في العمر أو التغير الفسيولوجي كأن يصاب المرء ببحة في صوته مثلا»[2].

وقد تحدث الجاحظ عن أهمية الصوت في التأثير على الآخرين، كنموذج آخر لإبداء الشخصية القوية والمتزنة، وذلك أثناء الخطبة، يقول: (وكانوا يمدحون الجهير الصوت، ويذمّون الضئيل الصوت ولذلك تشادقوا في الكلام، ومدحوا سعة الفم، وذموا صغر الفم) [3]. وقوله: (وحدثني محمد بن يسير الشاعر قال: قيل لأعرابي: ما الجمال؟ قال: طول القامة، وضخم الهامة، ورحب الشدق، وبعد الصوت) [4]. وقد يعني الجاحظ في كلامه الذي مضى أن أثر الإشارة التي تتم بالرؤية أبعد أثرا من نوعية الصوت التي تحدث عنها دافيد كريستل، كتبرير لملامح الشخصية والتعرّف عليها، كما أنّه قد يقصد بالصوت، عامل البعد الذي لا يسمح بسماع الصوت ويسمح بالإشارة إلى المعنى، فقد اثبت علم الحركة الجسمية أن

---

(1)-الجاحظ: البيان والتبيين: 79/1.

(2)-دافيد كريستل: التعريف بعلم اللغة: ترجمة: حلمي خليل: دار المعرفة الجامعية، ط.2، 1993، ص.85.

(3)-الجاحظ: المصدر السابق: 120/1.

(4)-المصدر نفسه: 121/1.

«الحركة تستخدم بدلا من الكلام حين تكون المسافة بين المتكلم والمخاطب كبيرة، بحيث لا يسمع الصوت، أو عند وجود ضجيج ما يحول دون سماع الصوت»[1].

2-المكان: يتضمن معنى التجاور والتقارب، والمكان هو «موقع حدوث الحدث أو هكذا تنظر إليه السيميائية في ضوء هذا المفهوم نستطيع أن نتبين سرّا تجاه كثير من الآداب إلى مناجاة المكان الذي وقعت فيه بعض الأحداث، أو المكان الذي كان للشاعر فيه تجربة ما، وبيّن لنا هذا أيضا سرّ اندماج الكثيرين من الشعراء والأدباء في مختلف الثقافات والآداب، في المكان الذي هو محلّ التجربة»[2]. وإذ لأهمية المكان في الإشارة حدوث وتقريب للصورة أكثر في أذهان السامعين، فقد استخدم الجاحظ هذا العامل في قوله: (وقدم مصعب بن الزبير العراق فصعد المنبر ثم قال: ﴿طسم. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ...﴾[3]، وأشار بيده نحو الشام[4]، ثم أشار بيده نحو الحجاز[5]...، ثم أشار بيده نحو العراق[6] ...)[7]

3-الزمان: «يخضع الزمن الماضي لعمل يدور في ذهن العقل البشري ألا وهو الذاكرة، حيث تخضع هذه الذاكرة لحوادث إشارية متعددة ومتكررة، فالزمن لا يبقى من أداء الفعل سوى أن تتذكره الأذهان، كما أن الإشارة المتمثلة في زمن معين ستزول بعد حدوثها»[8]. وها هو الشاعر يصف لنا حدثا جرى في زمن معين ثم مضى لحاله، إذ لم يبق إلا أثره المحفور في الذاكرة:

(أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ)[9]

---

(1)-فاطمة محجوب: مجلة الثقافة: ص.34.

(2)-مسير ستيتية: مجلة البرموك: ص.38.

(3)- القصص، [1-4].

(4)-المقصود بأهل الشام عبد الملك والأمويين.

(5)-والمقصود بأهل الحجاز: عبد الله بن الزبير وشيعته.

(6)-وبأهل العراق: المختار وأنصاره.

(7)-الجاحظ: البيان والتبيين: 299/2، 300.

(8)-سمير ستيتة: المقال السابق: ص.58.

(9)-الجاحظ: المصدر السابق: 78/1.

وهذه الإشارة حدثت في الماضي، «والماضي هو الوقت الذي تتذكر فيه حدوث أمر معين من قتل، أو لقاء، أو فراق، أو أي نشاط بشري»[1].

أما الحاضر فيخضع «للتصوّر حسي مباشر لواقعة ما في زمن معين، حيث تجعلك تستحضر الصورة في أي وقت، فتحس بها مباشرة، بارتسامها في ذهنك، لأنّها صورة تكاد أن تتحرك فهي في واقعتها تدلي بأحداثها أينما وجدت وكيفما كانت»[2]، يقول الشاعر[3]:

(تَرَى عَيْنُهَا عَيْنِي فَتَعْرِفُ وَحْيَهَا   وَتَعْرِفُ عَيْنِي مَا بِهِ الوَحْيُ يَرْجِعُ) [4]

وقد يلعب الزّمان دورا هاما في حالات الإنسان النفسية، حيث يظهر انعكاس تلك الحالات على سلوكه الشخصي وأدائه الحركي، فالإنسان وحده هو «الذي يعيش الساعات والدقائق كما يعيش الزمان الذاتي التي تحدده مشاعره النفسية التي يحسها، وحالته الجسدية التي يشعر بها، فالحزن والمرض يجعلانه يعيش زمانا بطيئا متثاقلا، والفرح والنشاط يجعلانه يعيش زمانا سريعا خاطفا»[5].

وهذه الحالات تؤثر في أدائه الحركي. «فالشخص الخزين المثقل بالهموم أو ضعيف الإرادة يختلف في حركته عن الشخص المنشرح الصدر أو قوي الإرادة»[6].

وهذا يجعلنا نقترب أكثر من التعرف على شخصية الإنسان، ومعرفة زمانه الذاتي من خلال أفعاله وحركاته وسلوكه الذي يظهر خارجيا، وبمعنى آخر فإن كل ما يشعر به الإنسان من داخله تترجمه أفعاله وحركاته، ولكن بنسب متفاوتة، يتدخل فيها عامل الزمن البطيء أو السريع «فربّ ساعة من زمان تمر بشخص وكأنّها دقائق، وتمر بآخر وكأنها ساعات، وفي الحقيقة أن الزمان لم يقصر عند هذا ولم يطل عند ذاك، إلاّ باختلاف الحالة النفسية التي أسرعت بحركة الزمان، بدوافع شعورية مثل السعادة والإطمئنان، وأخرى أبطأت بحركة الزمان بدوافع شعورية مثل الحزن والقلق واليأس»[7].

---

(1)-سمير ستيتة: مجلة اليرموك: ص.58.
(2)-المرجع نفسه: ص.58.
(3)-البيت من الطويل.
(4)-الجاحظ: البيان والتبين: 78/1.
(5)-كريم زكي حسام الدين: الزمان الدلالي: مكتبة الأنجلو المصرية، ط.1، 1991، ص.16.
(6)-المرجع نفسه: ص.33.
(7)-المرجع نفسه: ص.45.

فالزمن عامل فعّال في تغيير سلوك الإنسان من حالة إلى أخرى، مع ما يبديــــه مــن انفعالات شعورية تساهم في معرفة بعض الملامح المحيطة شخصية الإنســان. وفــي هــذا المعنى نقل لنا الجاحظ حالة الشاعر التي وصفها بدقة بقوله:

(اسْتَمِعْ أُنَبِّئْــكَ بِــآيَاتِ الــكِبَرْ   نَوْمُ العِشَاءِ وَسُعَالُ بالسَّــحَــرْ

وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيجُ النَّظَر   وَتَرْكِي الحَسْنَاءَ فِي قُبل الطُّهَر) [1].

4-الحركة: تلعب الحركة دورا هاما في الاتجاه غير اللغوي، لما تنطوي عليــه مــن دلالات، وما تؤديه من وظائف، فهي تعد نمطا آخر من أنماط تصوير الفعل وتطبيقه علــى الواقع، مهما كانت نوعية الإشارة التي تؤديها، إمّا بصمت عميق، أو إخفاء دقيــق. وصفــه الجاحظ في كثير من الأبيات التي استشهد بها في باب الإشارة، «لما فيها من إبداع حركــي يمثل الواقع خير تمثيل»[2]. يقول الشاعر:

(العَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا   مِنَ المَحَبَّةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَا

وَالعَيْنُ تَنْطِقُ وَالأَفْوَاهُ صَــامِــتَــةٌ   حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ القَلْبِ تِبْيَانَا) [3]

وهذه الصورة تمثل صورة رائعة من صور البديع لأنّه: «نمط إشاري أو أنموذج مـن نماذج السيميائية اللغوية، ينفذ به الشاعر إلى بعض المعالم الكونية أو الاجتماعية أو النفســية فتراها واضحة جلية»[4].

لقد كان الجاحظ على إدراك كبير لقيمة الإشارة، سواء بالجارحة أم كرمز من رمــوز اللغة. وقد تقدم المتأخرون شوطا كبيرا، حين تعمقوا في دلالة الإشــارة ودراســة وظائفــها المتعددة، فكان الاختلاف القائم بين جهود الجاحظ، وجهودهم اختلاف شكلي مــتزامن مــع المراحل التي مرّ بها مصطلح الإشارة.

[1]-الابيات من الرجز: للهيثم بن الأسود بن العريان. (البيان والتبيين، 399/1).

[2]-سمير ستيتة: مجلة اليرموك؛ ص.49.

[3]-الأبيات من البسيط: موجو دة في (البيان والتبيين، 79/1).

[4]-سمير ستيتة: المقال السابق: ص.49.

وسواء اتسعت دائرة هذا الاصطلاح أم ضاقت، فإن هذه المادة أدخلت في نظام كبير ومعقد هو نظام السيميولوجية، التي تعنى بدراسة العلامات وأنواعها. فكانت جزءا هاما من النظام الذي اتجه إليه دي سوسير (1857-1913) وأتباعه، إذ انطلق من العلامة اللسانية المتكونة من الدال والمدلول. وقرن الفكرة المرتسمة في الذهن بالصورة السمعية، فتشكلت علاقة اعتباطية غير معللة، أي ليست لها وجود في الواقع الخارجي. وبذلك قد تطوّر مفهوم السيمائية على يديه بارتباطها بالعلامة المتعددة الاتجاهات[1]، حيث اهتم بدراسة حياة الإشارات وإنتاج الدلالات كرموز لفظية وغير لفظية.

وقد كان الجاحظ سباقا لهذه الدراسة، إذ تفطن لقيمة الإشارة كجزء هام من هذه العلامات غير اللسانية، مع تأكيده لاشتراك هذه العلامة، بالعلامة اللسانية في تحقيق البيان، واشتراكهما في خاصية البيان يؤكد تحقيق هذه الدلالة وظيفتها في نظامها من حيث التواصل والتبليغ، وذلك بتنوع أقسامها وطبقاتها مع تعدد مجالاتها.

[1]- للتعمق أكثر. انظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.

الخـــاتـــــمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن المنطلق الأول لأي بحث عند أبي عثمان الجاحظ، هو الفكر الاعتزالي ذو الطـــابع العقلـــي. فكتاباته هي انعكاس للعصر الذي كان يعيش فيه، إذ تمثل ثقافته أزهـــى العصور من حيث التصنيف والرواية والنقل والجدل. فهو يخضع الأشياء للـــنقد، ويجعل الشك طريقا لليقين، ولا يروي غليله إلى الحقيقة سوى العيان الشاهد والخبر الصادق.

وها هو في "البيان والتبيين"، يعرض لقضايا متنوعة في مجالات متعددة، من بلاغة ولغة ونقد وأدب، لهذا تلونت كتاباته بألوان الثقافات الوافدة، وتنوعت اتجاهاته بتنوع أساليب أدائها.

ومـــا البيان إلا ثمرة من ثمرات جهوده المبذولة في مجال الدراسات اللغوية والأدبية؛ حيث خصه بالعناية لما له من دور فعّال في توصيل المعنى بتعبير جميل وأداء متميز.

ولأن كلمـــة البـــيان تدل في أصل معناها اللغوي على التعبير باللغة عما في النفس من خواطر وأفكار. وهو بهذا المعنى يعدّ خاصية تميز الإنسان عن غيره من الكائـــنات، ارتـــبط فـــي بدايته بالقرآن الكريم، الذي مدحه الله بالبيان وبجودته في الإبلاغ والإفهام لهذا الإنسان، الذي تميز بالعقل والمنطق.

والمتثبـــت في التراث العربي، يدرك أن الخلفيات الكامنة وراء كتاب "البيان والتبيـــن"، لا يقتصـــر علـــى البعد العقائدي والديني، فهناك أسباب أخرى جعلت مساهمة الجاحظ تحركه إلى هذا التأليف. أهمها على الإطلاق هي نيته في التصدي للتيارات المذهبية، التي اتخذت من الطعن في الموروث العربي أداة للهجوم اللاذع قصد الحط من قدرة العرب على الخطابة والبيان. فكان لزاما على المؤلف أن يرد

بحجج دامغة، وبراهين قوية تدل على أصالة هذا الموروث، ودوره الفعال في جميع المجالات.

فالبيان الذي عنى به الحاجظ في كتابه نوعان: نوع اهتم بالناحية التعبيريـــة بلغة راقية، والآخر تعرض للناحية الدلالية بأدواتها المتنوعة. فكان مـــن نصيـب النوع الأول أن اشتمل على ثنائية "الفهم والإفهام" المتكونة مـــن القـائل والســامع والرسالة واللغة. وهذه العناصر مجتمعة خضعت لمعايير وشروط محددة. فكان من واجب المتكلم الإفصاح بلغة سليمة من العيوب النطقية، وبأسلوب بليغ تميزه القـدرة على التصوير والتشبيه، كما تميزه عباراته الموحية التي تستخدم الألغاز والرمـــوز والإشارات لغة لها.

أما السامع، فشرطه لا يتعدى حسن الاستماع بحسن التفـــهم والإدراك، مـــع تفاعله الإيجابي بهذا المتكلم.

واللغة هي القناة التي تمر بواسطتها الرسالة المتضمنة لنوع الخطاب، الـــذي يتعدد بتعدد مجالاته الاجتماعية والدينية والسياسية.

أما البيان الذي غرضه الإظهار والتوضيح، هو الدليل الآخر الموصل بالتأمل إلى اكتساب العلم في جميع المجالات. فكما أن بيان الشيء يكون بالكلام، فقد يكـون بالإشارات والرموز. هذه الإشارات التي تعددت مصطلحاتها في مجال استعمالها في الحركات والأفعال التي تعبر عن سلوكات الإنسان التي يبديها كبديل عـــن الكـــلام، تعكس الحالات النفسية والشعورية المتفاوتة في الأداء من شخص لآخـــر، وذلـــك بحسب المواقف والسياقات والظروف التي يوضع فيها. ومن أمثلة هذه الحركـــات، إشارات العين المتعددة الأفعال، والهيئات من لحظ، وتلميح، وتقطيع،...، وإشـــارات اليد من تلويح، وإلواء، ولمع..، وغيرها من الأفعال التي تشارك فيها جميع أعضاء الجسم.

وخلاصة القول، فإن البيان من الناحية الدلالية بمعناها الواسع، قد تعلق بـهذه الدلالات الخمس المصنفة في البيان والتبيين، وسائلها اللفظ، والخـــط، والإشـــارة، والعقد والنصبة.

وانطلاقا من هذه العناصر، نستطيع تقسيم هذا البيـــان الدلالـــي والعلامـــي واللساني إلى قمسين:

قسم تعلق بالدلالات اللفظية، التي تتم باللفظ أو الخط. وهي تلك التي ســميت في الدراسات الحديثة بالعلامات اللسانية، حيث تهتم بدراســـة مختلـــف العلامـــات المستعملة في التواصل الإنساني. وهو عمل الدراسات السيميولوجية المعاصرة.

أما القسم الآخر، فقد خص الدلالات غير اللفظية، إذ تتم بواســـطة الإشـــارة والعقد والنصبة، وقد أطلق المحدثون على هذه الدلالات اسم العلامات غير اللسانية، غايتها إيصال المعنى بتعبير آخر، وذلك باستعمال علامات متواجدة في الإنســـان، كالعلامات الشمية واللمسية والذوقية إلى المجالات الأكثر استعمالا وهي العلامـــات الإشارية التي تهتم أكثر بالحركات الجسمية التي تؤديها أعضاء الجسم المختلفة.

فالبيان إذن بمعناه الواسع، يصنف ضمن علم العلامات الشامل، وهو المسمى بعلم السيميولوجيا Sémiologié. وأهم عناصره المميزة حسب المخطط هي:

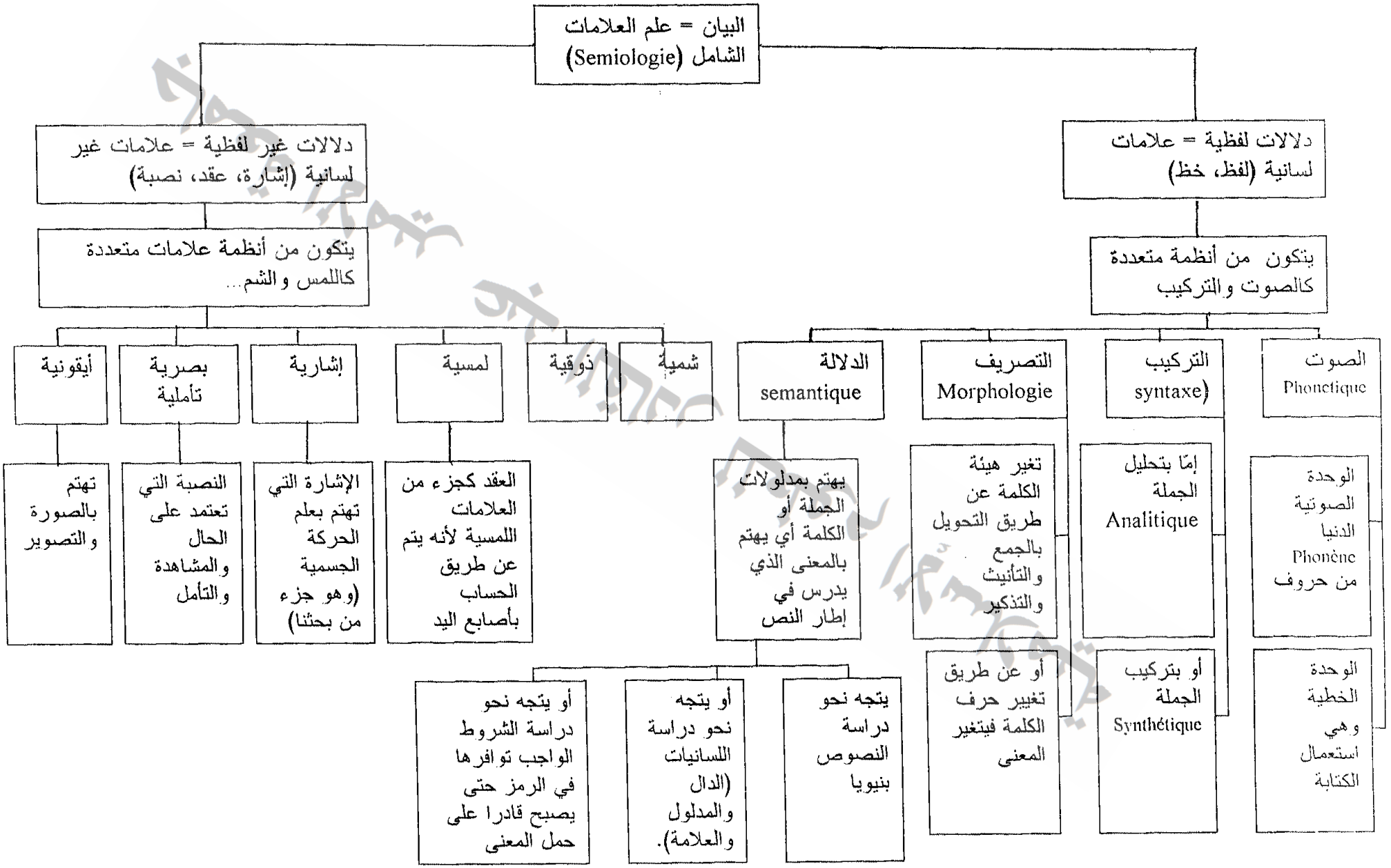
البيان = علم العلامات الشامل (Semiologie)
دلالات لفظية = علامات لسانية (لفظ، خظ)
دلالات غير لفظية = علامات غير لسانية (إشارة، عقد، نصبة)
يتكون من أنظمة متعددة كالصوت والتركيب
يتكون من أنظمة علامات متعددة كاللمس والشم...
الصوت Phonetique
التركيب syntaxe)
التصريف Morphologie
الدلالة semantique
شمية
ذوقية
لمسية
إشارية
بصرية تأملية
أيقونية
الوحدة الصوتية الدنيا Phonème من حروف
الوحدة الخطية وهي استعمال الكتابة
إمّا بتحليل الجملة Analitique
أو بتركيب الجملة Synthétique
تغير هيئة الكلمة عن طريق التحويل بالجمع والتأنيث والتذكير
أو عن طريق تغيير حرف الكلمة فيتغير المعنى
يهتم بمدلولات الجملة أو الكلمة أي يهتم بالمعنى الذي يدرس في إطار النص
العقد كجزء من العلامات اللمسية لأنه يتم عن طريق الحساب بأصابع اليد
الإشارة التي تهتم بعلم الحركة الجسمية (وهو جزء من بحثنا)
النصبة التي تعتمد على الحال والمشاهدة والتأمل
تهتم بالصورة والتصوير
يتجه نحو دراسة النصوص بنيويا
أو يتجه نحو دراسة اللسانيات (الدال والمدلول والعلامة).
أو يتجه نحو دراسة الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يصبح قادرا على حمل المعنى

الفهـــارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة التي وردت فيها
-سورة البقرة- (2)		
﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ...﴾	204	15
﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾	221	36
-سورة آل عمران- (3)		
﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ...﴾	14	59
﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾	41	56، 60، 61
﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ...﴾	138	3،6، 12
-سورة النساء- (4)		
﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ ...﴾	163	62
-سورة الأنعام- (6)		
﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ...﴾	19	62
﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ...﴾	55	3
﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا...﴾	96	48
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ...﴾	112	62
﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾	121	62
-سورة الأعراف- (7)		
﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾	46	60
﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ.. .﴾	107	22
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى...﴾	117	22
-سورة يونس- (10)		
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾	5	48

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-سورة الرعد- (13)		
﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾	37	6، 12
-سورة إبراهيم- (14)		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ...﴾	4	4، 14
-سورة الحجر- (15)		
﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ...﴾	4	58
-سورة النحل- (16)		
﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	16	58
﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ...﴾	68	61
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾	89	6، 12
﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾	103	6، 12
-سورة الإسراء- (17)		
﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ...﴾	12	48
﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾	12	6، 12
-سورة مريم- (19)		
﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ...﴾	11	56، 62
﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ...﴾	29	57
﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا...﴾	97	15
-سورة طه- (20)		
﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ...﴾	18	23
﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾	27	14، 33
﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ...﴾	63	103
﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾	69	103

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-سورة النور- (24)		
﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ...﴾	30	116
-سورة الشعراء- (26)		
﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾	210	36
-سورة القصص- (28)		
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ... ﴾	4	100، 158
﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا...﴾	5	100
﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾	6	100
﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ...﴾	30	22
﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا...﴾	34	3
-سورة لقمان- (31)		
﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾	19	116
-سورة الأحزاب- (33)		
﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾	19	15
-سورة سبأ- (34)		
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ...﴾	14	21
-سورة ص- (38)		
﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾	1	36
-سورة الشورى- (42)		
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ...﴾	51	62
-سورة الزخرف- (43)		
﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ...﴾	52	14
-سورة الفتح- (48)		
﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾	29	60، 106

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-سورة القمر- (54)		
﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾	50	121
-سورة الرحمن- (55)		
﴿الرَّحْمَانُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ...﴾	1-4	4، 12، 17
﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾	5	60، 106
﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾	41	60
-سورة الحشر- (59)		
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾	24	36
-سورة المنافقون- (63)		
﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾	4	15
-سورة القلم- (68)		
﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	1	44
﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾	16	59
-سورة القيامة- (75)		
﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾	19	2
-سورة المطففين- (83)		
﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾	30	80
-سورة العلق- (96)		
﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ...﴾	3-5	44
-سورة الناس- (114)		
﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾	4	63

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«إن من البيان لسحرا»	6
«كان يشير في الصلاة...»	54
«كان إذا أشار بكفه...»	54
«المسلم من سلم المسلمون...»	78
«هلاّ أو مضت إليّ يا رسول الله...»	82، 119
«رآها تلمع من وراء الحجاب...»	84
«إذا كان أحدكم في الصلاة...»	85

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري	الصفحة
-ء-	
1-أبو داود الإيادي: ..... بحر الكامل يَرْمُونَ بِالخُطَبِ الطِّوَالِ وَتَارَةً وَحْيَ المَلاَحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ	81، 122
2-زهير بن أبي سلمى ..... بحر الوافر فَإِنِّي لَوْ لَقِيتُكَ وَاتَّجَهْنَا لَكَانَ لِكُلِّ مُنْكِرَةٍ كِفَاءُ	70
-ب-	
3_الميساني ..... المتقارب وَفَرْقَعَهُنَّ بِتَقْعِيبِهِ كَفَرْقَعَةِ الرَّعْدِ بَيْنَ السَّحَابِ	38
4-جرير ..... الوافر فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلاَ كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلاَبَا	117
5-مجهول النسبة ..... الطويل أَرَادَتْ كَلاَمًا فَاتَّقَتْ مِنْ رَقِيبِهَا فَلَمْ يَكُ إِلاَّ مَوْؤُهَا بِالحَوَاجِبِ	86
6-النابغة الذبياني ..... الطويل رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ يَحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ	129
7-أوس بن جابر ..... الكامل قَدْ ظَلَّ يُوعِدُنِي وَعَيْنُ وَزِيرِهِ خَضْرَاءَ خَاسِفَةٍ كَعَيْنِ العَقْرَبِ	116
8-يحي بن نوفل ..... البسيط وَأَلْحَنُ النَّاسِ كُلُّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الخُطَبِ	38
9-عنترة بن شداد ..... الطويل وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ القَعُودُ وَحِدْجَهُ وَابنُ النَّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي	117
10-أبو نواس ..... الطويل فَإِنْ تَكُ مِنْ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ بِقِيَّةٍ فَإِنَّ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبِ	103

-د-	
11-أبو نواس ..... المجتث وَذَاتُ خَدٍّ مُوَرَّدٍ قُوهِيَّةَ المُتَجَرِّدِ	68
12-مجهول النسبة ..... الوافر يُقَطِّعُ طَرْفَهُ عَنِّي سُوَيْد وَلَمْ أَذْكُر بِسَيِّئَةٍ سُوَيْدَا	117،114
-ر-	
13-يزيد بن مفرغ ..... مجزوء الكامل العَبْدُ يَقْرَعُ بِالعَصَا وَالحُرُّ تَكْفِيهِ الإِشَارَهْ	98
14-مجهول النسبة إِذَا لَبِسُوا عَمَائِمَهُمْ لَوَوْهَا عَلَى كَرَمٍ وَإِنْ سَقَرُوا أَنَارُوا	131
15-الأفوه الأودي ..... الكامل أَلْوَتْ بِإِصْبَعِهَا وَقَالَتْ إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِمَّا لَا تَرَى مَا قَدْ تَرَى	110
16-احكم بن عبدل الأسدي ..... الطويل بَعِيدُ مَرَادِ العَيْنِ مَارَدَّ طَرْفَهُ حَذَارِ الغَوَاشِي بَابُ دَارٍ وَلَا سِتْرُ	114
17-ابن الأعرابي .....الرمل فَمُسِرُّ الخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ وَمُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرّ	105
18-الهيثم بن الأسود بن العريان ..... الرجز وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيجِ النَّظَر وَتَرْكِيَ الحَسْنَاءَ فِي قُبُلِ الطُّهْرِ	1،119،113 60
19-سويد بن الصامت الأنصاري ..... الطويل تُبِينَ لَكَ العَيْنَانِ مَاهُوَ كَائِنٌ مِنَ الشَّرِّ وَالبَغْضَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّزْرِ	121
20-عتيبة بن مرداس ..... الطويل إِلَى مَعْشَرٍ لَا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُم وَلَا يَلْبَسُونَ السِّبْتَ مَا لَمْ يُخَصَّرِ	129
21-إمام بن أرقم ..... الوافر فَلِلَّهِ لَمْ يَمْنُنْ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُد وَابْنُ أَبِي كُثَيْرِ	113

22-الكميت بن يزيد ..... مجزوء الكامل وَنَزُورُ مَسْلَمَةَ الْمُهَذَّ بِ بِالْمُؤَبَّدَةِ السَّوَائِرْ	135
23-مجهول النسبة .....الطويل مَجَالِسَهُمْ خَفْضَ الْحَدِيثِ وَقَوْلَهُم إِذَا مَا قَضَوْا فِي الأَمْرِ وَحْيَ الْمَخَاصِرِ	134
24-صفوان الأنصاري ..... الطويل وَسَارَتْ بِنَا سَيَّارَةٌ ذَاتُ سَوْرَةٍ بِكَوْمِ الْمَطَايَا وَالْخُيُولِ وَالْجَمَاهِرْ	134
-ز-	
25-الخنساء ..... المتقارب تَعَرَّقَنِي الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَزًّا وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ قَرْعًا وَغَمْزَا	80
-س-	
26-مجهول النسبة .....مجزوء الخفيف رُبَّ طَرْفٍ مُصَرَّحٍ عَنْ ضَمِيرٍ بِهَا هَجَسْ	153
-ع-	
27-مجهول النسبة .....الطويل أَكَلْنَا الشَّوَى إِذَا لَمْ نَجِدْ شَوًى أَشَرْنَا إِلَى خَيْرَاتِهَا بِالأَصَابِعِ	98، 109
28-مجهول النسبة .....الطويل تَرَى عَيْنُهَا عَيْنِي فَتَعْرِفُ وَحْيَهَا وَتَعْرِفُ عَيْنِي مَا بِهِ الْوَحْيُ يَرْجِعُ	159
-ف-	
29-درهم بن زيد بن ضبيعة .....المنسرح فَأَبْدِ سِيمَاكَ يَعْرِفُوكَ كَمَا يُبْدُونَ سِيمَاهُمْ فَتُعْتَرَفِ	107
30-أبو العتاهية .....الكامل لَوْ أَنَّ عَيْنًا وَهَّمَتْهَا نَفْسُهَا مَا فِي الْفِرَاقِ مُصَوَّرًا لَمْ تَطْرُفِ	114
31-جران العود ..... الطويل أُرَاقِبُ لَمْحًا مِنْ سُهَيْلٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرُفُ	114، 120

-ق-	
32-مجهول النسبة .... الطويل بِهِ نَدَبٌ مِمَّا يَقُولُ ابْنُ غَالِبٍ يَلُوحُ كَمَا لاَحَتْ وُسُومُ المُصَدَّقِ	77، 106، 110
-ل-	
33-امرئ القيس .... الوافر فَإِنْ تَهْلِكْ شَنُوءَةُ أَوْ تَبَدَّلِ فَسِيرِي إِنَّ فِي غَسَّانِ خَالاَ	70
34-إبراهيم بن هرمة الفهري .... المتقارب أَشَارَتْ إِلَيْكَ أَكُفُّ الوَرَى إِشَارَةَ غَرْقَى إِلَى سَاحِلِ	98، 109
35-أبو يعقوب بن حسان الخزيمي ....الطويل وَخَلْجَةِ ظَنٍّ يَسْبِقُ الطَّرْفَ خَرْمُهَا تُشِيفُ عَلَى غُنْمٍ وَتُمْكِنُ مِنْ دَحْلِ	113
36-الأخطل ....الكامل وَلَقَدْ وَضَعْتُ عَلَى الفَرَزْدَقِ مِيسَمِي وَعَلَى البَعِيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ	59
37-الفرزدق .... البسيط فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ بِكَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إِلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ	98، 134 116
38-مجهول النسبة .... الرجز بِهِنَّ مِنْ خَطَّافِنَا خَبْطٌ وَسِمْ وَحَلَقٌ فِي أَسْفَلِ الذِّفْرِيِّ نُظِمْ	105
39-مجهول النسبة .... الطويل أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ	97، 112
40-دريد بن الصمة ....البسيط أَبْلِغْ نُعَيْمًا وَعَوْفًا إِنْ لَقِيتَهُمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمَمُ	131
41-ابو عطاء السندي ....بحر الخفيف لاَ أُحِبُّ النَّدِيمَ يُومِضُ بِالعَيْنِ إِنَّمَا مَا خَلاَ بِعِرْسِ النَّدِيمِ	83، 120

-ن-	
43- جرير .....البسيط الْعَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا مِنَ الْمَحَبَّةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَا	156،115،112
44- جرير .....البسيط الْعَيْنُ تَنْطِقُ وَالأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ الْقَلْبِ تِبْيَانَا	151
45-الشريف الرضى .....الطويل وَمُلْتَبِسٍ بِالرَّكْبِ بَادَرْتُ خَلْفَهُ أَلُوَّحُ بِالأَرْدَانِ وَهُوَ يَرَانِي	77
46-أبو تمام ..... الطويل كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ عِنْدَ حَيَائِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ	113، 116
47-زهير بن أبي سلمى ..... السريع الْوُدُّ لاَ يَخْفَى وَإِنْ أَخْفَيْتَهُ وَالْبُغْضُ تُبْدِيهِ لَكَ الْعَيْنَانِ	76
-هـ-	
48-قاسم التمّار ..... المنسرح إِنَّ سُلَيْمَى وَاللهِ يَكْلَؤُهَا ضَنَّتْ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزَؤُهَا	37
49-كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي ..... الطويل إِمَامٌ لَهُ كَفٌّ يَضُمُّ بَنَانَهَا عَصَا الدِّينِ مَمْنُوعًا مِنَ الْبَرْيِ عُودُهَا	114، 115

فهرس المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم.

1-المصادر:

1. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت256هـ):

- صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1981.

2. الترمذي: محمد بن عيسى (ت:279هـ):

- صحيح سنن الترمذي، مكتبة التربية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط.1، 1988.

3. الجاحظ: أبو عثمان بن بحر (ت 255هـ):

- البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط.2، 1960.
- رسائل الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط.1، 1991.

4. الجرجاني: عبد القاهر (ت474هـ).

- دلائل الإعجاز، ت: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 1997.

5. ابن جني: أبو الفتح عثمان (ت392هـ):

- الخصائص، ت: محمد علي النّجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

6. أبو حجة الحموي: أبو بكر علي (ت837هـ):

- خزانة الأدب وغاية الإرب، شرح: عصام شعيتو، دار الهلال، لبنان، ط.1، 1987.

7. ابن حزم الأندلسي:

- طوق الحمامة في الألفة والإيلاف، ت: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط.1، 1993.

8. ابن حنبل أحمد:

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

9. أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف:

- تفسير البحر المحيط، دار الفكر، ط.2، 1983.

10. ابن خلدون: عبد الرحمن (ت808هـ):

- المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2000.

11. ديورانت ول:

- قصة الحضارة، تقديم: محي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

12. الرازي، محمد فخر الدين (ت604هـ):

- تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، لبنان، ط.1، 1980.

13. الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد:

- المفردات في غريب القرآن، ت: محمد خليل غيتاني، ط.1، 1998.

14. الرمّاني: أبو الحسن علي بن عيسى (ت384هـ):

- النكت في إعجاز القرآن، ت: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1991.

15. الزمخشري: جار الله محمود بن عمر (ت538هـ):

- الكشـــاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، مطبعة مصر، ط.1، 1354هـ.

16. السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت626هـ):

- مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط.2، 1987.

17. ابن عاشور: محمد الطاهر:

- تفسير التحرير والتنوير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1984.

18. ابن عبد ربه الأندلسي: أبو عمر أحمد بن محمد (ت327هـ):

- العقد الفريد، شرح أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 1983.

19. أبو عبيدة: معمر بن المثنى التيمي (ت210هـ):

- مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت.

20. العسكري: أبو هلال الحسن عبد الله بن سهل (ت 395هـ):

- الصـــناعتين، ت: علـــي محمـــد البجاوي، محمد أبو أفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1986.

21. ابن عطية الأندلسي: أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت546هـ):

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 1993.

22. الفراء: أبو زكرياء يحي بن زياد (207هـ):

- معاني القرآن، ت: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة: علي النجدي، د.ط، د.ت.

23. ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ):

- تأويل مشكل القرآن، ت: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط.2، 1979.
- تفسير غريب القرآن، ت: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1978.
- عيون الأخبار، تعليق: يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ط، 1986.

24. قدامة بن جعفر: أبو الفرج (ت337هـ):

- نقد الشعر، ت: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.3، د.ت.

25. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري:

- الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، ط.3، 1967.

26. القيرواني: ابن رشيق (ت456هـ):

- العمـــدة فـــي محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط.5، 1981.

27. ابن القيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت 751هـ):

- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.2، 1988.

28. المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ):

- الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ط، د.ت.

29. مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ):

- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

2-المعاجم وفقه اللغة:

30. الأمير نديم آل ناصر الدين:

- معجم دقائق اللغة، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، ط.1، 1997.

31. التهانوي: محمد علي الفاروقي:

- كشاف اصطلاحات الفنون، ت: لطفي عبد البديع، ترجمة: عبد النعيم محمد حسنين ، مراجعة: أمين الخولي، المؤسسة المصرية، د.ط، 1963.

32. الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429هـ):

- فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت.

33. الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت 393هـ):

- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفار عطار، دار العلم للملايين، ط.2، 1984.

34. الراجحي عبده:

- فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت.

35. ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت244هـ):

- إصلاح المنطق، ت: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، ط.4، د.ت.

كتاب الألفاظ، ت: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط.5، 1998.

36. ابن سيده الأندلسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت458هـ):

- المخصص، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1978.

37. ابن منظور: محمد بن مكرم (ت 711هـ):

- لسان العرب، دار المعارف، د.ط، د.ت.
- لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله العلايلي، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

3-الدواوين:

38. ديوان الأخطل، شرح: يوسف عبد، دار الجيل، بيروت، ط.1، 1992.

39. ديوان امرئ القيس، ت: حنا فاخوري، دار الجيل، بيروت، ط.1، 1989.

40. ديوان أبو نواس، دار بيروت للطباعة والنشر، 1982.

41. ديوان أبو العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، 1980.

42. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، 1978.

43. ديوان الحماسة، أبو تمام، مطبعة السعادة، مصر، ط.2، 1913.

44. ديوان الخنساء، دار الأندلس، بيروت، ط.9، 1983.

45. ديوان زهير بن أبي سلمى، دار بيروت للطباعة، بيروت، 1982.

46. ديوان الشريف الرضي، دار بيروت للطباعة والنشر، 1981.

47. ديوان عنترة، دار بيروت للطباعة والنشر، 1978.

48. ديوان الفرزدق، دار بيروت للطباعة، 1984.

49. ديوان النابغة، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ط، د.ت.

3-المراجع:

50. البستاني صبحي:

- الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، دار الفكر اللبناني، ط.1، 1986.

51. بناني محمد الصغير:

- النظـــريات اللســـانية والبلاغـــية والأدبية عند الجاحظ من خلال "البيان والتبيين"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

52. بوملحم علي:

- المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط.2، 1988.

53. البوشيخي الشاهد:

- مصـــطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.1، 1982.

54. توسان برنار:

- ماهية السيميولوجيا، ترجمة: محمد نظيف، ط. إفريقيا للشرق، لبنان، ط.2، د.ت.

55. خليل حلمي:

- الكلمة، دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1996.

56. داود محمد:

- الدلالة والحركة، دار غريب، القاهرة، د.ط، د.ت.
- الدلالة والكلام، دار غريب، القاهرة، د.ط، د.ت

57. راضي عبد الحكيم:

- نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي، مصر، د.ط، د.ت.

58. زكي حسام الدين كريم:

- الإشارات الجسمية، دار غريب، القاهرة، ط.2، د.ت.
- الـــزمان الدلالي، دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.1، 1991.

59. السعران محمود:

- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت.

60. صالح الشذر طيبة:

- ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، دار رقباء للطباعة، القاهرة، د.ط، د.ت.

61. الصاوي الجويني مصطفى:

- البيان فن الصورة، دار المعرفة الجامعية، د.ط، د.ت.

62. صمود حمادي:

- التفكيـــر البلاغـــي عـــند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، د.ط، 1981.

63. ضيف شوقي:

- البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط.8، د.ت.

64. طالب الإبراهيمي خولة:

- مبادئ اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط، 2000.

65. طبانة بدوي:

- البـــيان العربي، دراسة في تطوّر الفكرة البلاغية عند العرب، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.6، د.ت.

66. الطيبي: الحسين بن محمد بن عبد الله:

- التبيان في البيان، درا البلاغة، بيروت، ط.1، 1991.

67. عاصي ميشال:

- مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، دار العلم للملايين، بيروت، ط.1، 1974.

68. عبد الجواد إبراهيم رجب:

- دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب، القاهرة، د.ط، د.ت.

69. عبد المجيد جميل.

- البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، د.ط، د.ت.

70. العمري أحمد جمال:

- المـــباحث البلاغـــية فـــي تطوّر قضية الإعجاز القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 1990.

71. غنيمي هلال محمد:

- النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

72. كريستل دافيد:

- التعريف بعلم اللغة، ترجمة: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ط.2، 1993.

73. كندرا توف:

- كتاب الأصوات والإشارات، ترجمة: شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، د.ت.

74. مختار عمر أحمد:

- محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ط.1، 1995.

75. ناجي مجيد:

- الأثـــر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، د.ط، 1976.

76. هدسون:

- علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط.2، 1990.

4-الدوريات والرسائل:

77. مجلة أبحاث اليرموك، م.7، ع.2، الأردن، 1989.

78. مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع.34، س.9. يوليو 2001.

79. مجلة التجديد، ع.7، س.4، ماليزيا، فبراير، 2000.

ع.11، س.6، ماليزيا، فبراير، 2002.

80. المجلة التونسية للاتصال، ع.26، تونس، جويلية/ديسمبر، 1994.

81. مجلة الثقافة، ع.21، س.2، القاهرة.

82. مجلة العربي، م.1، ع.99، الكويت، 1967.

ع.334، الكويت، سبتمبر، 1986.

83. مجلة العلوم الإنسانية، ع.1، بسكرة، 2001.

84. مجلة الفكر العربي المعاصر، ع.(80-81)، بيروت، 1990.

85. مجلة اللغة العربية، ع.5، بسكرة، 2001.

86. مجلة مجمع اللغة العربية، ج.24، القاهرة، يناير 1969.

87. ناصـــر لوحيشـــي، "الرمـــز الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر"، رسالة ماجستير، إشراف: صلاح يوسف عبد القادر، جامعة مولود معمرى، تيزي وزو، 1996.

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ

المـــــدخل : مفهوم البيان

1-البيان في اللغة 2

2-البيان في لغة القران 3

3-البيان في كتب البلاغة 5

الفصل الأول: مناحي البيان عند الجاحظ

المبحث الأول: المنحى الديني 12

1-أصل البيان 12

2-وظيفة البيان 14

3-نوع البيان 16

المبحث الثاني: المنحى المذهبي 18

1-ظهور فرقة الشعوبية 18

2-مظاهر الشعوبية في عدائها للعرب 19

المظهر الأول: طعنهم في العصا وما يناظرها 20

المظهر الثاني: طعنهم في صناعة العرب للخطابة 24

المبحث الثالث: المنحى الأدبي والفني 29

1-البلاغة وعلاقتها بفن البيان 29

1-1-البيان والبلاغة 29

1-2-البيان واللسان 32

2-البيان والدلالة 39

2-1-الدلالة عند الجاحظ 39

2-2-أصناف الدلالات 41

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: دلالة الإشارة في اصطلاح أهل اللغة والبيان

1-في المعاجم اللغوية 54
2-في كتب التفسير 57
المبحث الثاني: الإشارة في اصطلاح البلاغة 64
1-بلاغة الإيحاء 64
2-اللمحة الدالة باللفظ الموجز 69
3-الكناية والرمز 71
المبحث الثالث: حركات الإشارة وهيئاتها 79
1-بعض الأفعال التي تؤديها العين 79
2-بعض هيئات الإشارة باليد 84
3-بعض الحركات التي تشارك فيها أعضاء الجسم 86

الفصل الثالث: دلالة الإشارة في اصطلاح البيان عند الجاحظ

المبحث الأول: الإشارة عند الجاحظ 90
تقديم 90
1-نظرية الإشارة عند الجاحظ 93
2-مصطلحات الإشارة من خلال البيان والتبيين 97
المبحث الثاني: تطبيقات دلالة الإشارة من خلال البيان والتبيين 108
1-الإشارات الجسمية 108
2-الإشارات غير الجسمية 128
المبحث الثالث: نتائج واستنتاجات ومقارنات 143
1-من حيث المصطلح 143
2-من حيث الأقسام والأنواع 147
3-من حيث الوظيفة والأداء 153
الخاتمة 163

الفهارس

فهرس الآيات 167
فهرس الأحاديث 171
فهرس الأبيات الشعرية 172
فهرس مصادر البحث ومراجعه 177
فهرس الموضوعات 185

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية